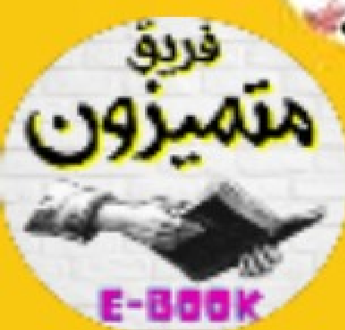
نظرية برما

عمر طاهر



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

نظـــرية برمـــا

عـــمر طــاهــر

إهداء..

إلى عاليا..



مقدمة

ظهر برما بدون سابق ترتيب.

يطاردني سكرتير تحرير جريدة الدستور في 2009 لتسليم مقال اليوم التالي، لا توجد أفكار مهمة، وتكرَّر اعتذاري عن عدم الكتابة أكثر من مرَّة خلال الفترة الماضية. فتحت فايل وورد، وقررت أن أكتب عنوانًا عشوائيًّا وأسمح له أن يسحبني إلى عوالمه.

كتبت جملة شعبية شائعة، حسبة برما، ثم قررت أن أضع نفسي مكان برما الذي أهلكته الحسبة، أنا أيضًا لديَّ الكثير من الحسابات المُعقَّدة في حياتي، ويمكنني أن أفردها تحت هذا العنوان. وبدأت ثم طَوَّرت الفكرة نفسها، فوجدتني أشكو إلى برما بما أننا شركاء في المعاناة، ثم جاءت اللحظة المعجزة عندما بدأ برما يرد عليَّ موبخًا وناصحًا ومواسيًا.

ما هي حمولة برما التي هبط بها في غرفتي الصغيرة؟

مئات القصص القديمة، والأمثال الشعبية، والحكم الأجنبية، والمأثورات، وخلاصة قراءات عشوائية قديمة لم أعتقد يومًا أنني سأحتاج إليها، مضافًا إلى كل ما سبق حس يتجاوز السخرية إلى العدمية، وتجسيد حي لصوت مجهول يستقر في رأس كل كاتب.

كنت أرى حمار توفيق الحكيم، وصديق إحسان عبد القدوس على المقهى السياسي، وعبد ربه التائه شيخ نجيب محفوظ، وفلاح كفر هنادوة أحمد رجب، وسكوش صديق طفلتي الافتراضي الذي تدعوه للعب معها.

كان برما صديقًا نموذجيًّا، يُشجعني على فكرة ألَّا يرتاح الواحد لأفكاره بسهولة، ويساعدني في تكسيرها بوجهة نظر أكثر مني حرية وقدرة على التجريب والتمرُّد، ويسمح لي أن أنقل من خلال الحوار معه أفكارًا أخاف من مناقشتها، وخبرات تخص آخرين، ومعارف متنوعة لم تكن هناك مساحة لاستخدامها يومًا ما، وبعض الأفكار دون أن أبدو متفلسفًا، ورسائل تجعلني أتقي شر تهمة العمق، وأقوالًا من مؤخرات التكاتك إلى الأعمال الكاملة لمارك توين، وخُضت من خلاله معارك جعلها وجوده أقل حدة.

ثم صار صديقي نجمًا، سؤال ثابت عنه في كل الندوات على اختلاف نوعيات رُوادها، وشخصًا يفتقده الناس ويسألون عنه إذا غاب، ثم بدأ كثيرون يرسمونه، ورأيت له صورًا كانت كلها بعيدة عن صورته الحقيقية التي لا وجود لها أصلًا، ثم طلب أحد المنتجين شخصيته كبطل لفيلم سينمائي، ثم مشروع حلقات كارتون، ثم مشروع حلقات إذاعية قصيرة بصوت نجم كبير، ثم انتهى كل ذلك في لحظة.

اختفى برما فجأة، مثلما ظهر فجأة.

كنت قد انشغلت لفترة في تقفيل أعمال مفتوحة في رأسي: صنايعية مصر، أثر النبي، إذاعة الأغاني. وعندما عُدت إلى غرفتي لم يكن هناك، وكنت أعتقد أنه لن يختفي أبدًا.

أفتقده كثيرًا!

أفتقد الدعم الذي كان يُقدمه لي، والوسائد الآمنة التي وفرها لي فارتحت أمامه واعترفت كثيرًا.

أفتقد وجهة نظره في كل شيء: مبارك، والثورة، والمجلس العسكري، والبرلمان، والحب، وكرة القدم، والسينما، والغناء، وفيس بوك، والأمراض الاجتماعية، والتأجيل، والعُقد الشخصية، والطعام، والزواج، والصداقة.

أفتقد صحبة المُهرِّج الحكيم، والصعلوك الموسوعي، واللص النبيل، والساخر ابن الكئيبة.

أراه صاحب الحق الأصلي في أي نجاح حققته تجربة عملنا معًا، وهو ليس شبحًا أو روحًا شاردة، وهو ليس أنا أيضًا. هو شخص مر في اتجاه الآخرين من خلالي، وليته يعود!

عزيزي برما..

في هذا الكتاب وضعتُ تجربتنا كاملة بعد التنقيح، وهي كتابان: برما يقابل ريا وسكينة ـ ألبوم اجتماعي غامض، والكلاب لا تأكل الشيكولاتة ـ حكايات برما، على أمل أن يجد فيها القارئ ما يستحق التوثيق، وعلى أمل أن نلتقي مرَّة أخرى يا صديقي العزيز.

عمر طاهر

مايو 2019

☆ ☆ ☆

برما (بطل الكتاب) شخصية خيالية عاشت في واقعي بما يكفي لأن تتحول إلى شخصية واقعية تعيش في خيالي.

القسم الأول

برما.. بوذا الحرفيين..

قال برما: هل تعرف أن التمساح هو الكائن الوحيد الذي يحرك فكه العلوي عندما يأكل، وبقية الكائنات تحرك الفك السفلي؟.

فتحت فمي لأتأكد مما يقوله برما فوجدته صحيحًا.

سألته: هل يمكن اعتبارها ميزة؟.

فقال: غالبًا هي عاهة، لأن كل ذي عاهة جبار.

سألته: هل يوجد جبابرة بدون عاهات؟.

فقال لي: الستات طبعًا.



رسالة برما إلى سليم تيظهر

صديقي العزيز سليم تيظهر نجم الموسيقى التركية..

أعرف أنه كان قرارًا صعبًا أن تترك موطنك الأصلي تركيا، وتقرر السفر لمصر لتستقر فيها لفترة قلت إنها قد تطول، أتمنى لك إقامة سعيدة في القاهرة، وأن تستمتع بتدريس العزف على آلة الكلارينيت في أحد المعاهد الموسيقية الخاصة، وأن تنتهز أقرب فرصة لتقيم لنا حفلًا تمتعنا فيه بعزفك الرائع، وبموهبتك التي أشاد بها رائد عزف الكلارينيت في العصر الحديث مصطفى حسنو.

سليم، لا أعرف حجم معلوماتك عن طبيعة الحياة في مصر، أنا شخصيًّا لا زلت أجمع المعلومات حتى هذه اللحظة رغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا على الإقامة فيها، ووصلت لنتيجة إن محدش فاهم حاجة، لكن ولأنك كنت مضيافًا وكريمًا عندما زرتك في إسطنبول، فسأحاول أن أقدم لك نبذة عن شكل الحياة في مصر، والتغييرات التي حدثت بها في السنوات الأخيرة، وأتمنى أن تكون هذه الرسالة خير معين لك أثناء إقامتك في بلد الألف مئذنة والأذان الموحد:

لا تشغل بالك يا صديقي بالفكرة التي يروج لها المغرضون القائلة: إن بلدنا هج منه بلا عودة عالم مصري حاصل على جائزة نوبل، انظر للنصف المليان من المج، فبلدنا استقر فيه ربما إلى الأبد مطربة لبنانية تعاني من أح في الواوا.

ولا تنصت لفكرة مغرضة تقول: إن بلدنا يخلو من أي شكل جمالي، فبلدنا يفخر بوجود هيئة متخصصة في تشجير الشوارع بغض النظر عن أن عدد الموظفين في هيئة التشجير في عاصمتها أضعاف عدد الأشجار الموجود في العاصمة.

يكفيك أنك ستعيش في بلد يرفع منذ سنوات شعارًا حضاريًّا راقيًا لن تجد له مثيلًا في كل دول العالم، شعار القراءة للجميع، بغض النظر عن كونه بلدًا يقرأ المواطن فيه حسب آخر إحصائية نصف كتاب في العام، وبغض النظر عن كونه بلدًا تُعرض الكتب فيه على الرصيف بينما تُعرض الأحذية في الفتارين، وصحيح أنه بلد يشهد 120 ألف حالة عض سنويًّا من الكلاب الضالة، لكن للأمانة المواطنين كلهم متطعمين، ولا خوف منهم على الكلاب.

بلد يؤمن سكانه بكل المتناقضات، فهم يؤمنون بأن النار ما بتحرقش مؤمن، ويؤمنون أن المؤمن منصاب، ويؤمنون أن ما تسألش طبيب، ويؤمنون بضرورة أن تعطي العيش لخبازه، ويؤمنون بـاصرف ما في الجيب، ويؤمنون بنظرية القرش الأبيض، ويؤمنون بنعمة الستر، ويقتلون بعضهم بسبب خلاف على 2 جنيه. أرجوك لا تجعل هذا الكلام يشعرك أننا بلد المتناقضات، صحيح أن شارع 26 يوليو (تاريخ انتهاء الملكية على يد ثورة يوليو)، يقطعه بالتوازي كوبري 15 مايو (تاريخ انتهاء ثورة يوليو على يد السادات بثورة التصحيح)، لكن الاثنين يصبان في

ميدان لبنان المؤدي لأكتوبر والشيخ زايد رمز الثورة العمرانية في عهد الرئيس مبارك.

الغريب أنه لا ثورة يوليو، ولا ثورة التصحيح، شهدت قطرة دم واحدة، لكن الثورة العمرانية تشهد سنويًّا سقوط عشرات الضحايا على طريق المحور.

كل ما سبق يجب ألا يُخيفك، ويجب أن تراه دليلًا على أننا بلد فاير لا يعرف الوسط. نحن نعيش الحياة بأقصى طاقة ممكنة. البلد في حالة حراك محموم لدرجة أننا حسينا في لحظة ما أن البلد بتتقدم بينا، ثم اكتشفنا أنه شعور مركب، فكلنا نراها بأعيننا ترجع إلى الخلف، لكن قلوبنا مؤمنة أنها تتقدم للأمام، قد تقول: إن هذا الكلام يعني أن البلد ماشية عكسي، ممكن طبعًا، لِمَ لا يكون التقدم إلى الخلف إذا كان أحد أهم أفلام السينما المصرية أثبت إمكانية الصعود إلى الهاوية؟!

المهم، لا أعرف إن كنت ستُحضر معك أطفالك، أم أنك ستتركهم في إسطنبول، عمومًا يجب أن تذهب بهم، قبل أن تقرر، إلى طبيب أمراض صدرية محترم عندكم لتتأكد من قدرة الأجهزة التنفسية لأطفالك على المعيشة في بلد يتكون الهواء فيه من 11% أكسجين. هذه الكمية من الأكسجين تُستخدم في حرق المخلفات وقش الأرز والسولار، لتنتج لنا ما سيُشكل النسبة الباقية من الهواء، وهي عبارة عن 89% ثاني أكسيد الكربون. هذه النسبة العالية من الكربون التي تطبق على أنفاسنا جعلت خلقنا ضيقًا، ونتنفس بصعوبة، لذا يجب التأكد من قدرة أطفالك على التعايش مع هذا المناخ الجديد.

عمومًا سيكون ممنوعًا على أطفالك قيادة السيارات، حتى لو لاحظت أن من هم في مثل أعمارهم يقودون الميكروباصات والتوك توك على الخطوط الداخلية. وسيكون التدخين ممنوعًا بالنسبة لهم، حتى لو رأيت من هم في مثل أعمارهم يقومون باستنشاق الكولة تحت الكباري من آنٍ لآخر. ولا بد أن تتفهم رغبة الأمهات المصريات في تقوية علاقة أطفالهن بالله، فلا تندهش إذا قابلت واحدة تخبر ابنها أنهم لقوه على باب الجامع. أعرف أن أطفالك مغرمون بالموتوسيكلات، لكن ممنوع شراء موتوسيكل لطفل هنا في مصر إلا إذا توفر مكان آمن يسمح له بالانطلاق بحرية ودهس الآخرين، مثل الساحل الشمالي. وإذا كنت ستستقر إلى الأبد بأطفالك، فأرجوك ألا تُرغم أي واحد منهم على دراسة شيء لا يحبه، لأنه لا يوجد مستقبل مضمون لأي شغلانة في البلد. ستسألني عن موقف الآباء المصريين، سأقول لك: يقوم الآباء حاليًّا بإجبار أطفالهم على الالتحاق بمدارس الكرة.

بمناسبة الكرة أنصحك بتشجيع النادي الأهلي، فهو أكثر الأندية المصرية استقرارًا وحصدًا للبطولات، ويعتبره الكثيرون بارقة الأمل الوحيدة في ظلام الإحباط اليومي الذي نعيش فيه. لن أقول لك شجِّع المنتخب، لا لأني أعرف أنك مغرم بالمنتخب التركي، ولكن لأن المنتخب سيكون شبه عاطل عن العمل حتى بطولة الأمم القادمة بعد كام سنة. ابتعد قدر الإمكان عن التعاطف مع فريق الزمالك، لأن الفريق نفسه غير متعاطف مع جماهيره.

تشجيع الأهلي سيضمن لك منفذا للترويح عن نفسك. وبالمناسبة يجب أن تعرف أنه ممنوع اللعب الخشن على كابتن أبو تريكة، بالضبط هو اللي لبس فانلة التعاطف مع غزة، أسمعك تقول: ولماذا لم يرتدِ فانلة التعاطف مع مصر؟، وهو تعليق أنصحك ألا تجرب أن تكتبه في خانة تعليقات القراء في أي مطبوعة إلكترونية مصرية حتى لا تُتهم بالكفر أو بالعمالة لجمال مبارك، أو بأنك زبلكاوي على أدنى تقدير (الزبلكاوية هو اسم الزملكاوية على النت، بينما الجهلاوية هو اسم الأهلاوية). ستستمتع بتشجيع الأهلي لأنه ممنوع خروج الأهلي خالي الوفاض في أي موسم، لا بد أن يفوز ببطولة محلية واحدة على الأقل بأي طريقة. ولأنه ممنوع أن يقوم اتحاد الكرة بمعاقبة الأهلي، لكن يسمح بتغريم جماهيره بمبالغ ضئيلة إذا تجاوزوا في حق الجماهير الأخرى أو الشرطة. ستستمتع بتشجيع الأهلي لأنه النادي الوحيد الذي يمتلك محطة فضائية تبث كل مبارياته على مدى تاريخه.

والمتعة الأكبر في هذا الموضوع أنه ممنوع أن تبث قناة الأهلي أي مباريات اتهزم فيها الأهلي.

لا تسألني أين يمكنك البحث عن شقة في القاهرة. أنت في بلد يؤمن بمبدأ اختار الجار قبل الدار. حقيقي أن الطموح في مصر حاليًّا هو أن تسكن في مكان به أقل قدر ممكن من الجيران، ومحاط بالأسوار العالية، ويطلق عليه اسم كومباوند. وحقيقي أن الأماكن التي يقل فيها عدد الجيران هي الأغلى، مثل القطامية هايتس وغيرها، لكن مفيش حاجة كبيرة على ربنا، وشعبنا قادر، واستطاع أن يبدد صفو العزلة في أماكن كثيرة في مصر بداية برأس البر التي كانت مصيف علية القوم في الثلاثينيات، مرورًا بالمعمورة والمنتزه مصيف علية القوم في السبعينيات والثمانينيات، نهاية بمارينا مصيف الصفوة في بداية الألفية الجديدة. وحقيقي أن أكثر من ربع محاضر البوليس هي محاضر متبادلة بين الجيران، لكن نحن في بلد يؤمن أيضًا أن مصارين البطن بتتخانق. لم يفطن أحد يومًا ما أن عراك مصارين البطن هو إشارة لحدوث تسمم، لكن ليست هذه قضيتنا، القاعدة أنك لن تستمتع بالمكان ما لم تستمتع بعلاقة مستقرة مع الجيران، ولكي تستمتع بالجيرة لا يشترط أن تكون اجتماعيًّا مرحًا حبُّوبًا، لكن عليك أن تعرف حدودك جيدًا وتلتزم بها.

لذلك أرجوك ألا تدهن السلم كله عندما تقوم بتجديد شقتك، عليك أن تخترع فاصلًا وهميًّا بينك وبين شقق الجيران، ويجب أن ينتهي الطلاء عند هذه الحدود. واحرص على ألا تتجاوز صفيحة القمامة هذا الخط الوهمي، وإذا بعثرت القطط محتويات الصفيحة وتجاوزت المحتويات هذا الخط الوهمي فأنت ملزم بجمعها، أما إذا لم تتجاوز الخط فيمكنك أن تتجاوزها أنت في طريقك إلى الأسانسير، هي اسمها صفيحة الزبالة بالرغم من أنها لم تعد صفيحة، وأصبحت وعاء من البلاستيك، لكن لِمَ اللوم على الصفيحة التي تغيرت إذا كانت محتويات الزبالة نفسها تغيرت خلال السنوات العشر الماضية؟! أين كنت عندما كانت القطط تقلب الصفيحة فتتناثر عظام الدجاج وهيكل السمكة العظمي وقشر البيض البلدي؟ الآن سيطرت المعلبات وأكياس المجمدات على الموضوع، وأصبح واردًا أن تجد في الصفيحة كميات من الفاكهة لم تمس سوى بقضمة واحدة، ثم تم التخلص منها بعد أن ضرب الباكابورت

في محتواها. لا تنزعج لأننا نروي الفاكهة بماء المجاري، لأننا ـ والحق يُقال ـ نروي ملاعب الجولف بالماء النقي.

لا يوجد أي داعٍ للطرق على باب الجار إذا سمعت أصواتًا متقطعة وحادة مدوية بعد العشاء (غالبًا بنتهم اتخطبت ودي زغاريد)، يمكنك فقط الاتصال بالشرطة ومتابعتهم عندما يكسرون الباب إذا انبعثت من الداخل رائحة كريهة. تأكد قبل أن تتصل بالشرطة أن هذا اليوم ليس يوم شم النسيم.

وتفادَ تعليق الملابس الداخلية المغسولة في الصف الخارجي من أحبال الغسيل حرصًا على مشاعر الجيران، لكنك تستطيع أن تفرد سجادة الصالون طول اليوم على سور بلكونتك بحيث تحجب الشمس والرؤية عن الجار اللي تحتك. لكن لا تنزعج إذا قام الجار اللي تحتك بإشعال النار في شراشيب السجادة أو جذبها بحيث تقع في بلكونته، لا تقلق سيعيدها لك، لكنك ستتلقى درسًا قاسيًا في أصول تعليق وتنفيض السجاد، وحتى لا تتعرض لشخص يحجب عنك الرؤية بسجادته، ركِّب تندة.

وضع في اعتبارك أن ممتلكات الجيران تقع تحت مفهوم الملكية التعاونية، الذي يسمح لك باستعارة طقم الصيني لو فيه عريس جاي لبنتك، أو استعارة بعض البصل والثوم والتوابل لو عازمين عريس بنتك، واستعارة مدخل شقته في ليلة الخطوبة، ده إذا تمت أصلًا (تعتبر الزيجة في مصر زيجة ناجحة إذا كان العريس عايز العروسة بالفستان اللي عليها).

بالمناسبة، يُفضل أن تضع على باب شقتك لافتة عليها اسمك ومنصبك في الحياة (علشان كل واحد يعرف حدوده). يُفضل أن تضع صيغة واسعة قدر الإمكان للمنصب. فإذا كنت مديرًا ضع لافتة وكيل وزارة، وإذا كنت مجرد موظف عادي ضع اسم المصلحة التي تعمل بها (محمد شلبي.. الجهاز المركزي للمحاسبات). وحاول أن تتفادى النظر إلى عيني جارك إذا ما انغلق عليكما باب أسانسير واحد، ويفضل أن تعمل الموبايل سايلنت احترامًا لجلال الموقف. خلق مسافة بينك وبين الجار تكفيك شر عبء الملكية التعاونية.

هنا لا نعرف الفرق بين النجاح والشهرة. الناس حافظة مش فاهمة. لذلك تجد عندنا مائدة رحمن للإفطار، ولن تجد مائدة رحمن واحدة للسحور، ربما لأن وعد سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام كان لمن أفطر صائمًا، لكنه أيضًا قال إن السحور به بركة، ولا أعرف لماذا يستهبل أصحاب الموائد في السحور، بالرغم من أن هذا البلد يعيش منذ وعيت عليه بالبركة فقط، وفي حماية بعض من يقولون لا إله إلا الله وهم يعنونها بالفعل. المهم، لا يعي الناس عندنا الفرق بين النجاح والشهرة، فكل ناجح مشهور، لكن ليس كل مشهور ناجحًا بالضرورة.

أرجو أن تصدقني عندما أقول إن بلدنا يحظى بأكبر عدد من المشاهير، وأقل عدد من الناجحين. بلدنا به أكبر كمية من السيارات التي تحمل أرقامًا مميزة، وزجاج فاميه أسود، وستائر ثقيلة في المقعد الخلفي، لكنه في الوقت نفسه يمتلئ بحمير السواقة.

بمناسبة السيارات، إذا اشتريت سيارة جديدة فيجب أن تعرف أن القاعدة الأشهر في مصر لصيانة هذه السيارة قاعدة التوكيل حرامية. ويجب أن تعرف أنه ممنوع أن تدخل على لجنة (اللجنة تجمُّع بوليسي الهدف الأساسي منه تعطيل المرور للبحث عن المشتبه فيهم.. نجح الجزء الأول فقط من مهمتها.. وهي مكان يتواجد فيه ضابط شرطة حصل على ترتيب متأخر في دفعته بكلية الشرطة ـ التي أصبح اسمها أكاديمية مبارك للأمن..

من بعدها والشرطة أصبحت أكثر قسوة في التعامل مع الشعب ـ ويقف مع هذا الضابط عدد 4 أمناء شرطة وهم فئة تثبت أن الله عادل، فمثلما خلق لكل داء دواء خلق لكل سواق ميكروباص أمين شرطة.. المشكلة أن هذا الدواء يعالج سوء أدب واستبياع قائدي الميكروباص، لكنه يحفل بأعراض جانبية قاتلة مثل الشعور بحاجة ملحة لابتلاع أي شيء إذا رأيت واحدًا منهم). المهم، ممنوع الدخول على اللجنة وأنت مشغل النور العالي، لكنك تستطيع ألا تتوقف في اللجنة أصلًا إذا كنت تمتلك صلاحية سؤال: إنت مش عارف أنا مين؟.

ويجب الحذر من أتوبيسات النقل العام أثناء قيادتك، لأنك في حالة تعرضك للاصطدام بها ستخسر كثيرًا، لأن قائدي هذه المركبات تلقوا تدريبًا مكثفًا على هذا الموضوع، فإذا صدمك وقررت أن تضربه ستكون وقتها متورطًا في الاعتداء على موظف حكومة أثناء تأدية وظيفته، وإذا أمسكت به قائلًا: استنى لحد ما ييجي أمين شرطة ونعمل محضر، ساعتها هيهبط من الأتوبيس (سعة 52 راكبًا) مش أقل من 200 مواطن مدربين على ترضيتك واستعطافك أولًا، فإذا فشلوا في هذا الجزء ستجدهم يجمعون على أنك إنت الغلطان على فكرة.

وللعلم، من العادي أن تكون الإشارة حمراء والناس كلها واقفة، لكن القانون منح الحق لمن يقف خلفك إنه يدي لك كلاكسات علشان يعدي منك، لا تسأل نفسك: هوَّ عايز يعدي مني يروح فين والدنيا واقفة؟، فهذا سؤال وجودي لن تعرف له إجابة مثل السؤال الشهير: يا لجنة الحكام.. الأهلي بيدفع كام؟.

طبعًا في كل بلاد العالم معروف سلفًا إن اللي يسأل ما يتوهش، لكن في مصر قد تجد نفسك فجأة خارج الكوكب إذا سألت شخصًا عن العنوان. في كل بلاد العالم تسأل عن الطريق فتحصل على إجابة، لكن في مصر ستحصل على سؤال جديد: إنت إيه اللي جابك من هنا؟، أو هما قالولك فين؟، أو ما تعرفش جنب إيه؟.

ويجب أن تعرف أن سائق سيارة الوزير يُعامل معاملة الوزير، وهذا ليس ظلمًا، فأنت في بلد ينعم بالعدل. يكفيك أن تعرف أنه في مصر دونًا عن سائر بلاد العالم إذا كنت فوق أحد الكباري ـ أيًّا كانت مكانتك الاجتماعية ـ

وفاتك منزَل مهم (مثل نزلة غمرة)، فمن حقك أن ترجع بظهرك على الكوبري وتنزل دون أن يعترض أحد.

أعرف أنك تحمل هم المصاريف في مصر، هي صعبة، لكنها لن تقودك إلى التسول. وإذا اضطررت إليه، فممنوع التسول أمام المصالح الحكومية، لن تجد شخصًا يتعاطف معك، لأن الناس تخرج من هذه الأماكن كفرانة، فيما عدا ذلك نحن شعب طيب. فنحن الشعب الوحيد الذي يشتري ماء تواليت في زجاجات ولها ماركات شهيرة مثل الشبراويشي، ونحن شعب مضياف، شعارنا في التجمعات: اقعدوا بالعافية، ونحن الذين نشك دومًا في الشحاتين، ونغلق آذاننا أمامهم، بينما نذهب إلى النصَّابين بأقدامنا، ونستحلفهم بالله أن ينصبوا علينا، ونحن الذين وافقنا على مبدأ أن القانون لا يحمي المغفلين، ولم يكن هذا نكاية في المغفلين، بل كان من أجل توفير فرصة عمل للبلطجية القادرين على استرداد الحقوق الضائعة بمهارة يحسدون عليها.

في كل الأحوال، أرجوك لا تشعر بالقلق من الزحام، فنحن شعب نزيد بمعدل أسرع من المعدل الذي زادت به اتصالات في 3 سنين، لأننا لم نقتنع بشعار: قبل ما نزيد مولود نتأكِّد إن حقه علينا موجود، حيث إن الموجودين منذ سنوات أصلًا حقوقهم ضائعة، ونحاول أن نحسن أوضاعنا بزيادة أعدادنا كما فعلت الصين، لا يوجد صيني واحد لديه شك في أن المولود الجديد سيزيد دخل أسرته، لأن الرك على الحكومة التي تجيد استعمال هذه الزيادات، ونحن نستخدم هذه الزيادات بعقلية محدودة، فنمنحهم الفرصة للعب أدوار مجاميع في المسلسلات التاريخية، أو لعب دور حائطٍ بشري عند مرور تشريفة السيد الرئيس، أو أتوبيس المنتخب الوطني، ونتخلَّص من الفائض بالحرائق الجماعية في القطارات والمسارح أو العبَّارات المثقوبة، أو عن طريق صخور جبل المقطم.

عمومًا عندما تنوي أن تقضي مشوارًا في شوارع القاهرة، ابتعد عن ساعات الذروة (من 8 صباحًا، حتى الحادية عشرة مساءً)، وإذا اضطرتك الظروف للحركة في هذه المواعيد فلا تطلب تاكسي، لكن اطلب دليفري ماكدونالدز، وتفادَ أن تضطرك الظروف لأن تسلك الطرق التالية: نزلة المحور في ميدان لبنان - كوبري أكتوبر - إشارة العباسية - شارع الأزهر - إشارة رابعة العدوية - ميدان الحلمية - نزلة رمسيس - ميدان الإسعاف - دخلة فيصل - ميدان الجيزة. فيما عدا ذلك يمكنك التحرك براحتك في أي مكان أو أي وقت يحلو لك، لكن لا تعطِ وعدًا لأحد بموعد ما، لأنك ستفقد مصداقيتك بمرور الوقت، ومن أجل الالتزام بموعد مع شخص ما لأمر يهمك يفضل أن تبيت قبلها بليلة في أقرب نقطة من مكان اللقاء. عمومًا لا تشغل بالك بموضوع المواعيد، لأن الفكرة اتضربت مننا خلاص، فقد صرنا نعطي بعضنا مواعيد خرافية مفتوحة لا يملك أحد أن يمسك بك متورطًا بعدم الوفاء بها، مثل: بكرة العصر - بعد الماتش - على تمانيات - على عشرة حداشر - هاكلمك وأنا في الأنحاء - أول ما أبقى عندك هارن لك - هاخلص ونتقابل - هاريح ساعتين وآجي لك. حتى في السينما حفلة تسعة تبدأ عشرة وربع، هناك دائمًا فرق توقيت لا يقل عن ساعة. ربما ستندهش لأن الشخص الذي غيَّر وجهة نظر العالم في موضوع الوقت، واخترع وحدة قياس للوقت جديدة اسمها الفيمتو ثانية كان مصريًّا (د. أحمد زويل). الأنقح أن مخترع لعبة اسمها كرة السرعة مصري أصلًا. لا تندهش، ولا تحاول أن

تربط بين زويل وكرة السرعة وطبيعتنا كمصريين، لأنك تعرف جيدًا أن الإبداع يتولد من رحم المأساة، والمأساة أكبر مما تتصور، يكفيك أن تعرف أنه في مصر فقط دونًا عن سائر بلاد العالم القطن على العروسة لكن أجرة التنجيد على العريس.

في السينما، ممنوع اصطحاب الحيوانات، لكن مسموح باصطحاب البيبيهات الرُّضع إلى حفلات منتصف الليل، وحقيقي أن دخول السينما حق مكفول للجميع، لكن إذا كنت تريد أن تستمتع بالفيلم فابتعد عن مشاهدته في أي حفلة مع شباب خليجي.

في صلاة الجمعة، ممنوع التحدث إلى من بجوارك خلال الخطبة، لكن يمكنك تلقي رسائل عبر المحمول والرد عليها، ممنوع أن تكون منافقًا أثناء الصلاة، لكن من الممكن أن تفرد صحيفة قومية وتصلي عليها.

حاول ألَّا تسخر من المنايفة، فهم مركز قُوى. وممنوع أن تتناصح على الدمايطة، فهم أنصح العالمين (يُقال إن تاجرًا يهوديًّا نصب على تاجر دمياطي، وباع له شحنة من مشدات الصدر، فما كان من الدمياطي إلا أن أعاد تصديرها لليهودي كشحنتين من طواقي الرأس التي يرتديها الحاخامات). ممنوع العند مع الصعايدة، فأنت تقف في وجه جبل جرانيت. ممنوع الزواج من أهل النوبة، لأنهم لا يزوجون بناتهم خارج القبيلة النوبية. وممنوع استخدام لفظ رشوة لتسيير مصالحك، يمكن استخدام مصطلح هدية للولاد إذا كان الموظف يشغل منصبًا كبيرًا، أو مصطلح الشاي إذا كان موظفًا بسيطًا. تعرف جيدًا أنه لا خاب من استشار، لأ في مصر بالذات خاب، فلا تستشر أحدًا في بلد به 80 مليون مفتي، واشترِ دائمًا من بائع لا يعرفك، سيحاول أن يكسبك في أول مرَّة كزبون بتقديم أفضل خَدمة، ثم يستدرجك إلى البضاعة التالفة بالتدريج في الزيارات القادمة. أما إذا كنت من المهتمين بالكتب، فيجب أن تعرف أنه ممنوع أن تنشر صحيفة الشروق في قائمة الكتب الأكثر مبيعًا أي كتاب ليس من إصدار الشروق، لذلك لا تعتمد عليها كثيرًا.

ممنوع الاعتراض على الحَكم أو الحاكم، ووجه الشبه بين الاثنين في مصر أن كليهما قد يحتاج إلى الشرطة لتأمين خروجه من الملعب! وممنوع التعليق على شيئين: الأغاني التي يستمع إليها قائد التاكسي الذي تركبه، وأحكام القضاء.. ممنوع التعليق بالسلب تحديدًا، لكن ممكن تعلق بالإيجاب، من الممكن أن تقول للقاضي: علِّي الكاسيت يا أسطى، ومن الممكن أن تهتف في وجه السائق عند نزولك: يحيا العدل.

صديقي سليم..

يحكمنا الآن السيد الرئيس محمد حسني مبارك، وفي 17 أكتوبر 1981 عندما تولى سيادة الرئيس حكم مصر، كنت طفلًا طلبت منه المعلمة في حصة الخط أن يكتب على السبورة جملة من اختياره، فكتب: قدامك سكة سفر، وهو ما حدث بالفعل. أنهيت دراستي في ظل أربعة وزراء للتعليم، وشهدت زلزالًا مدمرًا حصد أرواح العشرات، وهلَّلت مع الجماهير لوصولنا إلى كأس العالم على يد الجوهري، قبلها كانت خريطة الغناء تغيَّرت مع ظهور حميد الشاعري، في الوقت نفسه الذي كان

فيه الكابتن حسن شحاتة يقود فريق المنيا للصعود إلى الدرجة الأولى قبل أن يكون شحاتة سببًا في ميلاد عشرات قصص الحب في جنبات استاد القاهرة في 2006، وبالرغم من كل هذا الحب ارتفعت خلال الأعوام الثمانية والعشرين نسبة الطلاق والعنوسة، كما ارتفعت الأسعار بانتظام، ويمكن معرفة ذلك من سعر تذكرة العودة إلى بلدتي في القطار، التي سافرت منها بعشرين جنيهًا، وأسافر إليها الآن بخمسة وستين، هذا في حال عثوري على تذكرة في الشباك أصلًا، وفي إحدى رحلاتي مررت بالقطار المحترق، كنت أستقل القطار الذي يسبقه. أما السفينة الغارقة، فقد استمعت إلى مكالمة الاستغاثة الأخيرة من قبطانها بفضل الثورة التكنولوجية الهائلة التي ظهرت بعد سنوات من بداية سنوات حكم الرئيس بدخول مصر عصر الفضائيات، ثم عصر الإنترنت، ثم عصر الفيس بوك واليوتيوب، قبلهم ظهر الموبايل، وقد استهلكت خلال الأعوام الماضية ثماني معدات، بدأت بالمعدة ذات الإيريال، وانتهيت عند معدة أهم ما فيها إذاعة نجوم إف إم التي أعادت العلاقة بين المصريين والراديو من جديد، وغيَّرت رقم هاتفي أربع مرات لأسباب لها علاقة بأن المناخ العام أصبح يسيطر عليه حالة من التطفل المجاني.

ثمانية وعشرون عامًا، تم تكريم يوسف شاهين في كان، وحصل نجيب محفوظ وزويل على نوبل، وتولى بطرس غالي قيادة الأمم المتحدة، والبرادعي قيادة هيئة الطاقة الذرية، وزارتنا السيدة فيروز مرَّة واحدة، ويبدو أنها أقسمت ألا تكررها فاستبدلها منظمو الحفلات بشاكيرا، وستينج، وبيونسيه، وبوتشللي، وأنريكو أجلاسيس، وعروض والت ديزني على الجليد.

تعرضنا لخسائر بشرية موجعة بفقداننا لكثيرين، محفوظ متأثرًا بطعنات قديمة تلقاها على يد مكفريه، ومحمود عوض وحيدًا في منزله، مات جمال حمدان محترقًا، وجاهين مكتئبًا، وأحمد بهاء الدين عاجزًا عن الحركة، وسعاد حسني غريبة عن وطنها، وسعاد نصر بجرعة بنج زائدة، ومحمد عبد الوهاب إثر سقوطه على الأرض بقوة بعد أن تعثر في إحدى سجاجيد بيته، ورفعت المحجوب وفرج فودة على يد الإرهابيين، وسليمان خاطر في زنزانته، وأحمد زكي قبل أن ينهي تصوير حليم، ويحيى الطاهر عبد الله في حادث سيارة، وعاطف الطيب في سن الأربعين، وفقد كل واحد منا شخصين على الأقل من أفراد عائلته.

ظهرت بيننا مخلوقات جديدة مثل السلعوة، وشهدنا خسوفين للشمس، وأول تحليل للدي إن إيه في المحاكم لتصبح قضايا إثبات النسب هي الموضة، وكان ذلك منطقيًّا، لأن الموضة التي سبقتها كانت الزواج العرفي. خضنا حربًا واحدة في الخليج حررنا فيها الكويت الحمد لله، لكن الجيش تدخل قبلها للسيطرة على شغب جنود الأمن المركزي في بداية الثمانينيات، ثم عاد وتدخل منذ عام للمساعدة في حل أزمة رغيف العيش. استقر العراقيون بيننا، وكانوا أفضل من سكن مصر من الإخوة العرب، ولم يعبهم شيء سوى أنهم تسببوا في ارتفاع أسعار العقارات. فرحنا بدخول المترو، لكن معظمنا يشعر بإحباط يومي في ميدان لبنان، ويتمنى أن يصل المترو إلى أكتوبر وضواحيها التي تتسع يومًا بعد يوم في الوقت الذي تتآكل فيه

الرقعة الزراعية بمعدل سيقودنا سريعًا إلى اليوم الذي لن يكون فيه فلاحون إلا في القرية الذكية!

خلال الأعوام الثمانية والعشرين دخلنا في ألفية جديدة استقبلناها بحفل ساذج عند سفح الهرم، تغيرت بعدها خرائط كثيرة في مصر. في الفن أصبح هناك نجم للجيل كاد تهرُّبه من التجنيد أن يفقده جماهيريته، لكن المفاجأة أن تهرُّبه وطد نجاحه، وزاد من عدد محبيه، في إشارة مهمة لتضاؤل حجم تقدير الوطن في قلوب الجيل الجديد. انتهت موضة أفلام المخدرات، وظهرت الكوميديا، ويلفظ المسرح أنفاسه الأخيرة تحت وطأة المربع الذي يخيم على حياتنا (الفقر، والجهل، والمرض، والمسلسلات بنوعيها العربي والمكسيكي). انتهت ظاهرة أفلام المقاولات، ثم ظاهرة أفلام السوبر جيت، وظهر الفيديو كليب، ثم راحت زهوته، وظهرت كليبات المحمول، كان أشهرها لمواطن تضع الشرطة عصا في مؤخرته. انتهى عصر الشواربي، وبدأ عصر سيتي ستارز وأشباهه، لكن بقيت وكالة البلح صامدة بفضل دعم البسطاء لها. لم نحقق فكرة المدينة الفاضلة، لكننا نجحنا في تحقيق فكرة مدينة الحرفيين. تغيرت خريطة الترفيه، ودخلت محطات البنزين في اللعبة، هناك يمكنك أن تبدأ اليوم بأصناف شتى من القهوة المستوردة. وانتهى عهد المعمورة والعجمي والمنتزه مع انطلاق ظاهرة البورتو في مارينا والعين السخنة. انتهى عصر المقاهي التي تُقَدِّم السحلب والطاولة مع انتشار كافيهات البلاي ستيشن والفرابتشينو. تغيرت خريطة السير، أصبح القصر العيني شارعًا ذا اتجاه واحد، وزود كوبري أكتوبر بملاحق ومنازل ومطالع عديدة إلى أن ظهر المحور والدائري، لكن المثير للجنون أن الزحام يزداد مع ظهور كل طريق جديد. تغيرت خريطة الدين عدة مرات، هناك من اتبع التيار المتطرف بكل ما فيه من عنف وقسوة، وهناك من اتجه لعبادة الشيطان، ثم اعتدلت الأمور قليلًا بظهور مشايخ الفضائيات، إلى أن عادت النبرة المتشددة من جديد على يد بعضهم، في الوقت نفسه الذي كان البهائيون فيه يحاربون من أجل تغيير خانة الديانة في البطاقة الشخصية حتى يحافظوا على هويتهم بعيدًا عن محاولات التنصير والأسلمة التي تشعل كل يوم حربًا خفية في الأقاليم. تغيرت خريطة التعليم بإلغاء السنة السادسة، ثم إلغاء شُعبتي العلوم والرياضة، ثم بقرار الحصول على الثانوية العامة على سنتين قبل أن تظهر الجامعات الخاصة. تغيرت خريطة النظافة، فلم نعرف التلوث إلا بعد استحداث منصب وزير البيئة، وطال التلوث كل شيء في حياتنا، بداية من الدم، مرورًا بالماء والغذاء والهواء، نهاية بالذمم. تغيرت خريطة الرجولة بظهور فن البلطجة. تغيرت خريطة النساء بثورة عمليات النفخ والزرع. تغيرت خريطة العلاقة بين الطرفين بظهور الفياجرا.

تغيرت أشياء كثيرة خلال تلك الفترة، لكن سيادة الرئيس كان الشيء الوحيد المستقر في حياتي، أصبح سيادة الرئيس قطعة من تاريخي الشخصي لا يمكن تجاهلها، صحيح أنني لا أعيش الحياة التي أحلم بها لنفسي وللآخرين، لكنني في الوقت نفسه أسأل: هل كان من الممكن أن تصبح الأمور أسوأ؟ سؤال إجابته سؤال آخر: هل كان

من الممكن أن تصبح الأمور أفضل؟ الإجابة صعبة، خاصة أن الطريق من السبورة حتى لحظة كتابة هذه الرسالة لم يكن به أي شيء واضح على الإطلاق.

عزيزي سليم..

نحن دولة مسلمة بالرغم من أن الناس كلها كفرانة، وتشريع القوانين هنا بما يرضي الله، بغض النظر عن أنه لا يوجد نص قانوني يجرم الشذوذ الجنسي، لكن يوجد بالقانون مادة تحدد المواصفات القانونية لبدلة الرقص الشرقي. وعمومًا نحن شعب متمسك بالوحدة الوطنية (وليس هناك دليل على الوحدة الوطنية أقوى من أن أحد أهم الرموز الاحتفالية الإسلامية والذي نطلق عليه لقب فانوس هو اسم قبطي شائع في بلدنا)، ونؤمن بالعدالة الاجتماعية، بحيث إن الفقراء يزدادون فقرًا والأثرياء يزدادون ثراء، ونحرص بشدة على حقوق العمال، فالقانون ينص على أن يضم مجلس الشعب 50% عمالًا، كنا نعتقد أنهم يجب أن يتواجدوا داخل المجلس فاكتشفنا أنهم يتواجدون على رصيف المجلس للاعتصام. ومن المهم أن تعرف أنه ممنوع ممارسة نشاط سياسي أو قيام أحزاب سياسية على أي مرجعية دينية أو أساس ديني حتى لو عرفت بالصدفة أن هناك 80 نائبًا إخوانيًّا في مجلس الشعب (الإخوان ينجحون دائمًا في الانتخابات رغم تنبيهات الحكومة المستمرة وتأكيدها على أن الدين ما بيدخلش في المجموع؟!). العملة الرسمية الجنيه، وهو تعبير مشتق من الجن لصعوبة الإمساك به، وأطلق عليه مؤخرًا لقب جندي (يُقال مثلًا: علبة السجاير بعشرة جندي)، وذلك لأن الجميع يقفون أمامه انتباه! الظروف صعبة مما يجعل الزي الرسمي للمصريين هو لبس الشغل.

اللغة العربية هي اللغة الرسمية، لكن الهذيان هو اللغة الشعبية.

والبلد تبلغ مساحته مليون كيلومتر مربع. استطعنا بعد 7000 سنة أن نشطب 10% من هذه المساحة لنعيش عليها، لنا حدود شرقية يهج إلينا عبرها سكان الأرض المحتلة، وحدود جنوبية يهج إلينا عبرها ضحايا الحرب الأهلية في دارفور، وحدود غربية صحراوية تهج إلينا عبرها أسراب الجراد كل ربيع، أما حدودنا الشمالية فهي بطول شاطئ البحر المتوسط، وعبرها يهج المصريون من البلاد كل فترة في زوارق صغيرة.

مع أطيب تمنياتي لك بإقامة سعيدة.

☆ ☆ ☆

برما على شط البحر

عندما كان برما يقف على شاطئ البحر سألوه عن الأمواج، فقال: الجايات أكتر من الرايحات.

وسألوه: هل تتفاءل بالمستقبل؟، فقال: لو هتمطر كانت غيِّمت.

سألوه: إذا كان عندك توك توك، ماذا ستكتب على مؤخرته؟، فقال: سأكتب: بيقولوا الصبر طيِّب. ثم صمت قليلًا وقال: إذا سحبوا مني التوك توك مثلما سحبوا مني كل شيء سأكتب على مؤخرتي نفسها: دلوقتِ وقتها.

سألوه عن الزحام الذي يسيطر على البلد، فقال: البلد فاضية قدام.

سألوه عن ضميره، فقال: ضميري مستريح، لأن الحمد لله ذاكرتي رديئة.

ثم جاء الدور عليَّ، فسألني برما عن موقف لا أنساه، فقلت له: لن أنسى ما حييت يوم أن زار سيادة محافظ سوهاج لجنة امتحان الفيزياء ليتأكد أن الامتحان في مستوى الطالب المتوسط، قلت للمحافظ يومها إن الامتحان جاء من الجزء الملغي من المنهج، فربت على كتفي وابتسم قائلًا: القانون لا يحمي المغفلين، لذلك عندما سألني والدي عن سر رسوبي في المادة، قلت له بضمير مستريح: لا تعليق على أحكام القضاء.

قال لي: يبدو أنك عانيت كثيرًا في التعليم، فقلت: عمومًا أنا أحمد الله كثيرًا على ما أنا فيه، يكفي أنني خرجت من فترة المراهقة دون أي عاهات فكرية. ففي هذه الفترة لم يكن الكمبيوتر يعمل إلا في وجود كاسيت.

وكانت موتوسيكلات الفترة كهربائية وتعمل بالبدال. وكان نجم الشباب وقتها وائل نور. وكان فتى أحلام البنات أحمد عبد العزيز الذي نجح مسلسلاه: الوسية، ثم المال والبنون فأصبح بطلًا، وأطلقوا اسمه على أهم شارع في المهندسين (البطل أحمد عبد العزيز). وكانت فتاة الأحلام جيهان نصر، ثم شيرين سيف النصر، ثم نضجنا فانتبهنا بقوة لفريدة سيف النصر. وكانت النجومية مرتبطة بنظافة الترننج الذي ترتديه على المسرح، وكانت الأناقة تقاس بعدد الكُسر الموجودة في البنطلون، وبلون الساتان الموجود في تنية كُم الجاكيت. وكان الكليب الأكثر شهرة وقتها: شك شك مرزوقة تعالي جنبي. وكنت أشجع نادي الزمالك، لكنني لم أكن أمتلك أي عضوية إلا في نادي السينما. وكانت البلد كلها محتلة، ولكن كانت بورسعيد هي المدينة الحرة الوحيدة إلى أن نجح النظام في احتلالها مؤخرًا. كان وقتها الدين ما بيدخلش في المجموع، إلى أن كسر الإخوان المسلمون هذه القاعدة ونجحوا بدرجات الدين فقط. وكانت هدية النجاح دائمًا ساعة ضد الماء، ومع ذلك كانوا ينبهون علينا ما ننزلش الميه بالساعة. وكنا نقضي أوقات الفراغ في تجميع 10 أحمر و10 ألوان لإرسالهم لشركة الشمعدان طمعًا في جهاز أتاري. وبالرغم من أن القنوات التلفزيونية المتاحة كانت 3 محطات فقط، فإننا خسينا النص بسبب

المشاوير الكثيرة التي قطعناها من الكنبة للجهاز لتغيير القناة. كان ظهور الشيش طاووق انقلابًا وقتها، حيث كان طعامنا المفضل الأستيكة أم ريحة والتيكيت الذي كنا نبلله بألسنتنا لنلصقه على الكراسات، وكان الصمغ الموجود به من القوة ما جعله يلتصق بأفواه معظم أبناء الجيل، والنتيجة أن معظمنا مش قادر يفتح بقه لحد النهارده. كانت معظم الأبواب مغلقة في وجوهنا، لذلك خصصوا لنا يومًا لجبر خاطرنا، وسموه اليوم المفتوح. ووقتها قالوا لنا إن ألوان علمنا: الأسود يعبر عن الماضي البائد، والأبيض يعبر عن المستقبل، والأحمر يعبر عن الدماء التي بُذلت فداءً للوطن، إلى أن كبرنا فعرفنا أن الأسود يعبر عن الأيام اللي عايشينها، بينما الأبيض يعبر عن مستوى العقول التي تسيطر على البلد، بينما الأحمر يعبر عن أن الأهلي فوق الجميع. أما النسر الذي قالوا لنا إنه لا يعيش إلا في مصر ولم يره أحد منا، فقد اكتشفنا أنه يعيش في درج مكتب رئيس المصلحة فقط.

أثناء كلامي مع برما كان يبدو عليه الاكتئاب، فسألته: مالك؟، فقال: بعد سنوات من البرامج والفضائيات ما زال بيننا ناس عندما يتصلون بالبرامج على الهواء يرفعون صوت التلفزيون ليسمعوا أنفسهم وهم يتكلمون، ما زال بيننا ناس يكاد المذيع يُقبِّل أياديهم: ممكن توطي التلفزيون وتسمعني من التلفون؟، كام مرَّة تصادف هذا الموقف وأنت تتجول بين الفضائيات؟ ماذا تتوقع من شعب يمتلك جهاز تلفزيون وريكوردر وتلفون ووقت فاضي للاتصال بالبرامج، ولم يتعلم درسًا تافهًا مثل هذا؟ وكيف يمكنك أن تثق بوجهة نظره التي اتصل ليقدمها وهو أساسًا مش عايش معانا؟.

قال برما: نعيش في أجواء غرائبية، يمكنك أن تلاحظها مثلًا في صالة الجيم التي تم افتتاحها قريبًا من منزلي، وقد كُتب على بابها: المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، أو في صديقي الذي نقل لي معلومة طبية تقول إن العوازل الطبية ليست دائمًا آمنة، فابن خالته كان يستخدمها لكنه مات في حادث سيارة، أو في صديقي الذي أرسل تلغرافًا لزميله في العمل يعزيه في وفاة والده قائلًا: ما حصلش حاجة!.

عمومًا، لقد اعتدت هذه الأجواء بمرور الوقت، وأصبحت أتعلَّم شيئًا جديدًا كل يوم من كتب الحكمة، فقد تعلَّمت من متابعة الحكيم الخواجة صدق وجهة نظره، فقد قال:

1- المشاعر الجنسية قد تقود الرجل إلى تصرفات حمقاء ومجنونة، لأنه في لحظة الشهوة ينسحب الدم الذي يُفترض أن يغذي المخ ليصب كله في عضو آخر.

2- الكثيرون مشغولون بالحياة التي تلي الموت، للدرجة التي تجعلهم ينسون الحياة التي تسبق الموت.

3- مسابقات الـ0900 تخاطب أذهانًا بعينها، ولا تخطئها أبدًا، فلم يحدث يومًا أن وجدت عالم فيزياء قد فاز بهذه الجائزة.

4- مشي الأطفال في الظلام قد يؤدي إلى ارتطامات، والارتطامات في الظلام تؤدي إلى أطفال.

5- الصيغة خاطئة عندما تسأل شخصًا ما: عرفت كام واحدة جميلة في حياتك؟، والصيغة الأصح هي: عرفت الحياة الجميلة في كام واحدة؟.

6- اضحك تضحك لك الدنيا، لكن شخَّر وستضطر أن تنام بمفردك.

ثم التفت برما ناحيتي وسألني لو أنني أعيش في فيلم ماذا سيكون اسمه؟ فكرت كثيرًا، ووجدت اسمًا جاهزًا: عمر طاهر في مستشفى المجانين.

حياتي عمومًا سلسلة من الأفلام، تبدأ بفترة الخوف من العقاب المنزلي طفلًا، ويمكن تسميتها: عمر طاهر يقابل ريا وسكينة. عندك فترة المراهقة التي طلعت فيها عين أهلي، ويمكن تسميتها: عمر طاهر للبيع. ثم فترة القدوم إلى القاهرة والاستقرار فيها، ويمكن تسميتها: عمر طاهر في جنينة الحيوانات. ثم فترة الوحدة والعزوبية، ويمكن تسميتها: عمر طاهر في متحف الشمع. ثم فترة النجاح وتحسين ظروف المعيشة، ويمكن تسميتها: الفانوس السحري. ثم فترة الزواج، ولا بد من تسميتها: عفريتة عمر طاهر.

ضحك برما، ثم قال لي: بص، أنا عايز أعلمك حاجة، صلِّ على النبي، فصليت: اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، فقال:

1- خرجت المرأة في أول ظهور لها من تحت باط الرجل، لذلك تقضي عمرها وهي تحاول أن تجيب أي رجل تحت باطها.

2- يقول الفيلسوف الهندي إن الزوج يجب أن يعرف أنه مُعرَّض للعقاب في أي وقت، إذا لم يكن على حاجة عملها فسيكون على حاجة ما عملهاش.

وأوصاني ألَّا أتردد في فعل ثلاثة أشياء كلما أتيحت لي الفرصة لذلك، قبل أن يأتي زمن لا أقوى فيه على أيٍّ منها، وهي: المشي، والأكل، والقفز بالزانة.

وقال لي: لا تُصدِّق أن في السفر سبع فوائد. مبدئيًّا هم خمسة، وجاء ذكرهم على لسان الإمام الشافعي: تفريج هم، واكتساب معيشة، وعلم، وآداب، وصحبة ماجد.

قلت له: والله إنت عمِّي، فقال لي: عمى الدِّبب. وعندما شعر أنني انزعجت من تعليقه أعطاني رقم تلفون منزله، ثم قال: على فكرة عمى الدِّبب عمى ألوان بس، لكنه خطر، حيث تفشل في التمييز بين الجليد وصغار الدِّببة، والنتيجة أنهم يدهسونهم طول الوقت لحد ما قربوا ينقرضوا.

قلت له: ربنا يديك طولة العمر، فقال لي: كلنا هنموت ما عدا واحد. فكرت لثوانٍ، وهززت رأسي بالموافقة، فقال لي: أنا قصدي ربنا يا حيوان!. قلت له: وبماذا ستوصي عند وفاتك يا برما؟، فقال لي:

1- عندك قول الأكابر: لا تقل رأيك في صديق حتى تطلب منه أن يقرضك. ولا تقل رأيك في امرأة حتى تتأكد أنها ماتت خالص.

2- عندك القاعدة التي أحبها كثيرًا: إذا لم تستطع أن تكون قدوة فكن عبرة على الأقل.

3- واجه نفسك بالحقيقة، ولا تكن مثل معظم مطربي هذه الأيام الذين يعرفون أن صوتهم قبيح للغاية، لكنهم ولأنهم نجحوا يجدون صعوبة في الإقلاع عن الغناء.

4- تيك كير، ولا تثق في أحد، فقد غنَّى هيثم شاكر لمصر ارمي حمولك عليَّ، راحت مصر مشيلاه سنة سجن.

5- لا تفرح بعروض البنوك. تقول الحكمة الشهيرة: البنك هو مكان يقرضك مظلة عندما يكون الطقس معتدلًا، ويطلب منك استعادتها عندما تمطر.

6- لا تثق أبدًا في شخص يبدأ كلامه معك بجملة: أصلي عيبي إني صريح. كيف يمكنك أن تُصدِّق شخصًا يرى الصراحة عيبًا أصلًا؟!

7- انتبه للفرص، وخد بالك. تبدو الفرص أوضح وهي في طريقها للضياع.

8- يقول ابن القيم: لما طلب آدم الخلود في الجنة عن طريق الشجرة عُوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن عن طريق صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين، فليكن سؤالك عن طريق الله.

9- عمومًا يا عمر ضع في يقينك أنه حسب الشاعر الفرنسي المجهول فإنه ليس هناك مكان ينام فيه الشخص بأمان مثل غرفة أبيه.

كان كلام برما مؤثِّرًا، فانهمرت دموعي.

بعدها اختفى برما لفترة، وتذكرت أنه أعطاني رقم تلفون بيته، فاتصلت وسألت عنه، فقال لي الشخص الذي رد: لا والله، النمرة غلط، فقلت له: ولما النمرة غلط بتردوا ليه؟.

(بعض الأقوال الواردة على لسان برما خلال الحوار معه، مستوحاة من أمثال شعبية عالمية وأقوال مأثورة أجنبية).

☆ ☆ ☆

برما ناقد فني

بدأ منحنى نجومية سيمون في الهبوط بعد أن خانت عمرو دياب في آيس كريم في جليم مع عزت أبو عوف. لم تضع سيمون في حساباتها شعبية عمرو الواسعة، ولم تتعلَّم من سعاد حسني عندما رفضت أن تخون عبد الحليم في البنات والصيف، آثرت سعاد أن تلعب دور شقيقته بدلًا من دور حبيبته الخائنة، وهو الدور الذي لعبته زيزي البدراوي في أول ظهور لها، ليظل موقف الناس منها مرتبكًا حتى اليوم.

عمرو دياب الذي نجح البلوفر الذي ارتداه في تملِّي معاك أكثر من تملِّي معاك نفسها، تعلم من سيمون الدرس، فأقلع عن العمل في السينما نهائيًّا.

أما أحمد آدم الذي أكمل تعليمه في مدرسة محمد صبحي الفنية، فقد حصل على تقدير ممتاز في مادة واحدة فقط من المواد التي يُدرِّسها صبحي، مادة: كيف تتفادى بمهارة النجاح في السينما.

بينما تعلَّم كريم عبد العزيز الذي كان ظهوره الأول مع الزعيم في المشبوه أن الزعيم صنع رصيده الحقيقي من الأعمال الجادة (المشبوه، والحرِّيف، ودموع في عيون وقحة)، فابتعد عن محرقة الكوميديا نسبيًّا، بينما لم يتعلَّم الزعيم من كريم عبد العزيز ألَّا يتحدث للإعلام سوى عن أعماله دون أن يفتي في الدين أو السياسة.

تعلَّم اللمبي من إسماعيل يس الذي مات مفلسًا مديونًا، أن الفن لا أمان له، وأن نجوم الكوميديا غالبًا ما يموتون ميتة مأساوية، فغالى في أجره كثيرًا، ولم يتعلَّم أن إسماعيل يس مات مفلسًا، لأنه في الأساس كان قد أفلس فنيًّا!

تعلَّم علي الحجار من صلاح جاهين أن يكون صادقًا فيما يغنيه، لكنه لم يتعلَّم منه كيف يختار ما يغنيه.

تعلَّمت أنغام من عمها عماد عبد الحليم إحساسًا ما بالحزن يُغلِّف ما تغنيه، لكنها لم تتعلَّم منه كيف أن حياته الشخصية أعاقته عن أن يحتل مكانته التي يستحقها. أخذ عماد من عبد الحليم حافظ اسمه، لكنه لم يأخذ عنه طموحه، في الوقت الذي تعلَّم فيه هاني شاكر من حليم أن يكون باكيًا قدر المستطاع، لكنه لم يتعلَّم منه كيف يكون نحيفًا. كان عبد الحليم يغني للأمراء، وهو درس آخر تعلَّمه هاني، فأطلق على نفسه لقب أمير الغناء.

تعلَّم عمر خيرت من عمه الموسيقار أبو بكر خيرت، أن البسطاء قادرون على تذوق الموسيقى الراقية، فأخلص عمر خيرت للرُّقي والبساطة، فنجحت مقطوعته الموسيقية قضية عم أحمد أكثر من عم أحمد نفسه، سقط الفيلم وعاشت الموسيقى، وهو الدرس الذي لم تتعلمه سيمون.

☆ ☆ ☆

برما في قهوة عم أحمد

حكى برما قائلًا:

المقهى أصلًا متر في متر، لكن بحكم موقعه الاستراتيجي في وسط البلد يديره عم أحمد كأنه مملكته الخاصة.

أخرج الموبايل عدة مرات من جيبه ينظر إلى شاشته ثم يعيده إلى جيب جلبابه، عم أحمد إذن يريد أن يسمعها مني مبروك يا عم أحمد على الموبايل، رد بعنف: مبروك على إيه؟.

وقفت المجذوبة أمام باب المقهى، وابتسمت لنا ابتسامة مخيفة، ثم انتقلت إلى الرصيف المقابل وأخرجت من البؤجة بطانية افترشت نصفها وتدثرت بالنصف الثاني، وقالت بصوت متعالٍ: هاتلي شاي. أخرج زبون أسمر اللون جنيهًا ووضعه على الصينية الموجودة أمامه، وقال لعم أحمد: هاتلها شاي على حسابي، لكن عم أحمد تجاهلهما.

دخل علينا رجل له هيبة لواءات المعاش ومعه زوجته الأرستقراطية، تغيرت ملامح عم أحمد، ألقى الرجل السلام، ودخلت زوجته في الموضوع مباشرة: إحنا آسفين يا عم أحمد ع اللي حصل، والله البيه ما نامش من إمبارح بسبب الموضوع ده. اكتست ملامح عم أحمد بالخجل وقال: وما ينامش ليه بس؟ ما حصلش حاجة. أخرجت الزوجة ورقة بخمسين جنيهًا من حقيبتها وقدمتها لعم أحمد: طيب علشان خاطري خد دول، ده تعويض بسيط عن اللي حصل. قابلها عم أحمد بالصمت. والنبي وحياة أولادي ما تكسفنيش قالت الزوجة. مد عم أحمد يده وأخذها: عشان بس حلفتيني أنا هاخدها، بس هاحطها في أقرب جامع، أنا ما باقبلش العوض. انكسرت نظرة الرجل ذي الهيبة وألقى السلام منصرفًا بعد أن ألقى نظرة أخيرة في وجه عم أحمد: يعني مسامح؟. قال له عم أحمد: مجيِّتكم لحد هنا تنسِّي الواحد كل اللي ضايقه. ابتسمت الزوجة وسحبت زوجها وانصرفا.

رن موبايل عم أحمد فأخرجه قائلًا: مش ممكن الصداع ده!، ثم رد: أيوه حضرتِك أنا في القهوة وفي انتظارك.. تشرفي يا بنتي. لمح عم أحمد الفضول يطل من وجهي: أصل الموبايل ده أنا لقيته في سيدنا الحسين إمبارح، والست صاحبته كل شوية تتصل تتطمن إنه لسه معايا، بتقول إنها كانت بتزوَّر أبوها العيان لسيدنا الحسين.

سألت عم أحمد عن الرجل الوقور وزوجته فقال لي: واحد من الورشة اللي جنبنا خد شاي، رجع الصينية والكوبايات وبدل ما يدخلهم جوه سابهم على عربية راكنة قدام القهوة، قبل ما آخدهم لقيت الراجل ده بيفتح باب العربية وبيرمي الصينية والكوبايات في الأرض وكسرهم ميت حتة، الناس الموجودين زي حضرتك هاجوا

عليه، ولسه هيكلموه قلت لهم ما حصلش حاجة، العيب على الحيوان اللي ساب الصينية على العربية وما احترمش صاحبها، الراجل اتكسف وقال لي: الكوبايات دي تمنها كام؟، قلت له لما زبون عندنا بيكسر كوباية ما بناخدش منه تمنها.. عيب!.

لاقت الحكاية استحسان الحاضرين، فعطف علينا عم أحمد بالدرس المستفاد منها: مش هو راجل أقوى مني وممكن ياكلني؟ بس أهو جالي لحد عندي عشان محدش كبير على الأدب.

قطع كلام عم أحمد وصول صاحبة الموبايل التي عرضت على عم أحمد ورقة بعشرة جنيهات، وأصرت أن يأخذها. يا ستي أنا لو عايز فلوس ما كنتش رجعت لك الموبايل أصلًا!.

انصرفت السيدة، ولمحنا في سيارتها رجلًا عجوزًا، وبينما السيارة تبتعد أطل المقعد المتحرك من حقيبتها، واختفت السيارة فأصبحت المجذوبة في مواجهتنا، أطلت من تحت البطانية وصرخت: فين الشاي؟. نظر إليها عم أحمد شزرًا وصرخ هو أيضًا: حاضر. أعد الشاي، وقبل أن يخرج به من المقهى باتجاهها مد يده بخفة والتقط من فوق الصينية الجنيه الذي تركه الزبون الأسمر ووضعه في جيبه.



في فرح أخت برما

دعاني برما لفرح شقيقته في أحد شوارع عين شمس الشرقية.

وقفت بالسيارة عند أول شخص شعرت تجاهه بالارتياح لأسأله عن العنوان، سألني: رايح فرح فلان؟، أدهشتني فراسته، قال لي إنه معزوم أيضًا، دعوته للركوب، ولمحت أسفل الجاكيت طبنجة. ابتسم وعرَّفني بنفسه

(أمين فلان)، كان طول الطريق يلوِّح لسكان المنطقة من شباك السيارة، وأشهد أن شعبيته كانت تدعو للغيرة.

عاتبني برما على التأخير، واختار لي مقعدًا قريبًا من مقطورة السيارة النقل التي تحوَّلت إلى مسرح يحمل كوشة العروسين والفرقة الموسيقية، ثم عرَّفني على شركاء المنضدة، وهم زهرة شباب المنطقة، معظمهم أصحاب محلات أدوات صحية في الفجالة، وكان إلى جواري الحاج سعيد الذي عرفني عليه صديقي قائلًا: ده الحاج سعيد.. الحاج سعيد بأه مش عايز أقول لك. لم يقل لي صديقي بالفعل أي شيء، وتركني أستكشف الحاج سعيد بنفسي. انصرف صديقي، فانهالت عليَّ من كل صوب واتجاه السجائر الملفوفة، اعتذرت بلباقة، فأخرج الحاج سعيد شريط دواء به حبات خضراء اللون، وأمسك يدي وأفرغ فيها حبتين في صمت، كاريزما الحاج سعيد حالت بيني وبين الاعتراض فوضعتهما في جيبي، وتأملت وجهه وكان باديًا أنه قد ابتلع شريطًا بمفرده على الأقل منذ بداية الفرح.

كانت الضوضاء محكمة، والفرقة في أوج نشازها بقيادة مطرب كان نسخة من الكابتن سيد معوض. تراصت أمامي أطباق لحمة الرأس والكفتة المشوية وزجاجات البيرة، وصعد الحاج سعيد إلى المسرح لإلقاء التحية وعمل واجب النُّقطة، وجَّه تحية إلى الإذاعة والتلفزيون وهو ينظر ناحيتي (عرفت فيما بعد أنه كان فاكرني الأستاذ علاء بسيوني، صحَّحت له المعلومة، سألته: إشمعنى علاء بسيوني؟، فقال لي: أصلك ما رضيتش لا تشرب ولا تضرب!.

الحاج سعيد كان يرتدي طاقية سقطت منه أثناء اندماجه في الرقص، فاكتشفت أن رأسه شبه مشوه، سألت برما، فقال لي: دي قصة قديمة، الحاج سعيد كان يقدم التحية في أحد الأفراح، وأصر أن يرقص بأنبوبة البوتاجاز المشتعلة فأمسكت النار في شعر رأسه، لكن أحد شركاء المنضدة صحح المعلومة قائلًا: يا معلم، ده كان يوم فرح الحاج سعيد نفسه.

صعد شخص ما إلى المسرح، وألقى بالتحية والنُّقطة، وطلب أن يرقص على أغنية وديع الصافي دار يا دار.. راحوا فين حبايب الدار، وما إن بدأ الكابتن سيد في الغناء حتى انقلبت الليلة جحيمًا، صعد برما وأقاربه وحدثت مشادة مع صاحب التحية، سرعان ما انقلبت إلى مشاجرة حامية تلقَّى خلالها المطرب صفعة طائشة جعلته ينزف من أنفه، تدخل صديقي أمين الشرطة وفض المشاجرة وصرف صاحب

التحية، وأصر المطرب على الانصراف، وفشلت كل محاولات استرضائه، ولم يتركوه يرحل إلا بعد أن أعاد العربون. فهمت فيما بعد أن سوء اختيار الأغنية هو السبب، فمن غير اللائق أن تكون أغنية التحية في فرح هي أغنية تتحدث عن حبايب الدار الراحلين، خصوصًا أن العروسة يتيمة الأب والأم، الأمر الذي أثار انزعاج أقاربها خوفًا على مشاعرها في ليلة فرحها.

الحاج سعيد أصر أن يحضر ابنه هاني جهاز الكمبيوتر من البيت ليلعب عليه كل الأغاني الممكنة حتى الصباح، هاني أحضر الجهاز بالفعل، وقام بتوصيله على السماعات، وأعلن في المايك أن الدي جيه هاني سعيد بيقول إن الفرح لسه هيبتدي، فعمت الفرحة أرجاء المكان، وظهرت من جديد السجائر الملفوفة، وتراصت زجاجات البيرة، وانتعشت الأجواء، أعلن الدي جيه عن الأغنية التي اختارها العروسان ليرقصا عليها، ودعا المحبين للصعود لمشاركتهما الرقص، وكانت الأغنية سيجارة بني، كان جهاز الكمبيوتر محملًا بفيروس، فكان يصدر بانتظام صوت جرس الويندوز الشهير الذي يحذرك من الفيروس، كانت الأغنية شغالة، وكان الجميع سعداء وفي حال اندماج رغم جرس الإنذار المتكرر (تخيله في السماعات الكبيرة)، بعد قليل بدأ صوت الجرس المزعج يذوب في إيقاع الأغنية وأصبح مألوفًا للجميع ماعدا أنا، كنت أشعر بانزعاج، نظر لي الحاج سعيد، ويبدو أنه قرأ أفكاري فقال لي بثقة وببطء: تلاقيها بس وساخة في الشريط!.

كان لا بد أن أشارك في الرقص ففعلت، كنت أشعر بخجل ما في البداية، لكنني لمحت في الوجوه ألفة صادقة وسعادة انتقلت لي بسرعة العدوى، فتركت نفسي للموسيقى المختلطة بريمكس جرس الويندوز، ورقصت وأنا أردِّد كلمات الأغنية: يا عم ولع.. يا سيدي ولع، لمحني الحاج سعيد فاقترب مني وأفرغ في قبضتي كمان حبتين.

☆ ☆ ☆

شلة الـ 18

قلت له: حدثني عن أصدقائك يا برما.

فتنهَّد بعمق، ثم قال:

1- عندي صديق لا يشرب الخمور لأنه يصلي، لذلك فهو يدخن الحشيش، لأنه لا يترك رائحة في الفم، وهكذا يستطيع صديقي أن يقف بين يدي الله وهو مستريح الضمير. هذا الصديق نفسه يرفض مبدأ الصحوبية المنتشر بقوة بين الأولاد والبنات هذه الأيام، ويتجنب إقامة علاقة غير شرعية مع أي فتاة خوفًا من الزنى، لأنه يجلب الفقر والعملية مش ناقصة، لذلك فهو يتحايل على الفقر ويُرضي رغبته الجنسية بمشاهدة الأفلام الجنسية، وهكذا يستطيع أن يظل في نظر نفسه وأمام الله شخصًا عفيفًا يستحق رزقًا واسعًا.

2- بخلاف صديق آخر يعتقد أننا قد متنا وتمت محاسبتنا، وكانت ذنوبنا كثيرة، فدخلنا النار التي نعيش فيها الآن تحت اسم مصر، بينما استقر الذين دخلوا الجنة في دبي. ويؤكد على أننا دخلنا النار بأن طعم شجر الزقوم لا يختلف كثيرًا عن الخضراوات والفاكهة التي تم ريها بماء المجاري، وتم نفخها بالهرمونات فتملأ البطون. أما الماء الذي يزيد سكان النار عطشًا فهو حولنا في كل مكان، ويكفيك أن تفتح الحنفية لتشرب فلا ترتوي، بل تمرض. هذا الصديق يؤمن أنه يعيش في النار، وعندما قلت له: هل دخل أبوك وأمك وأقاربك الصالحون الطيبون النار أيضًا؟، قال لي: إن وعد الله الحق أن الجميع واردها حتى لو كان المستقر الأخير في الجنة

3- بخلاف صديق ضاع عمره وهو أسير سؤال الحكيم الخواجة: هل يستيقظ فيفتح عينيه أم يفتح عينيه فيستيقظ؟. هذا الصديق نفسه يؤمن أنه عند النوم تخرج الأرواح لتدخل أجساد القطط، ويبرر ذلك بأن سلم عمارته لا يمتلئ بالقطط إلا ليلًا بعد نوم معظم الجيران، بينما لا يرى واحدة منهن صباحًا.

4- بخلاف صديق حياته نسخة من حياة فيلسوف خواجة قال إن حياته كلها مشاكل: مشكلته مع اللحظات الدرامية المؤثرة في حياته هي عدم وجود موسيقى مناسبة في الخلفية. ومشكلته مع أهله أنهم أتعبوا أنفسهم ليعلموه المشي والكلام، ظن أنهم سيستريحون بعدها، لكنهم أتعبوا أنفسهم أكثر ليعلموه أن يقعد على حيله ويخرس خالص، ويواجه مشكلة في الإقلاع عن المخدرات، ومبرره أنه يقول دائمًا: لا للمخدرات، بس واضح إن المخدرات مش سامعاه.

5- بخلاف صديق قال لي إن الأطفال نعمة، وقال: لا أعرف كيف سيكون العمل بعد أن قررت الدولة رفع الدعم عن المولود الثالث في كل عائلة كوسيلة لإجبار الناس على تحديد النسل حسب تصريحات المصيلحي، ولن يحصل الطفل الثالث على أي حصة تموينية (يبقى يأكل مع إخوته) ، ولن يتعلم بمصروفات حكومية (يبقوا إخوته يذاكروا له) ، لكنه بلا شك سيؤدي الخدمة العسكرية، وسيدفع الضرائب، إلخ.

المولود الثالث، الحكومة لا تعترف به، لكنها ستستخدمه وقت اللزوم، بالضبط زي جماعة الإخوان المسلمين.

6- بخلاف صديق لم يعد يثق في الحكومة بعد قانون الطوارئ، وقال: في كل مول أو سنتر أو مستشفى أو فندق ستجد دائمًا سلمًا مكتوبًا عليه سلم الطوارئ، أو باب الطوارئ، ستجد دائمًا مخرجًا يحميك في حالة الطوارئ، لكن مصر هي المكان الوحيد الذي توجد فيه طوارئ دون أن يكون هناك أي مخرج. الحقيقة أنا لا أفهم أن نعيش كلنا مهددين ومعرضين لمن يجيد لي عنق القانون ليطبق علينا قانون الطوارئ ولو في صورته الجديدة (الإرهاب والمخدرات)، لأن الطوارئ التي نعيش فيها وتخنقنا منذ ثلاثين عامًا لم تمنع لا الإرهاب ولا المخدرات، المفاجأة أن الطوارئ التي هرستنا واحد من أهم الأسباب التي قادتنا إليهما.

7- بخلاف صديق يرى أن بطولة الأمم الأفريقية نذير شؤم، فمع انتصاف البطولة هناك دائمًا كارثة: في 2006 غرقت العبَّارة، وفي 2008 اقتحم الفلسطينيون مدينة رفح، وفي 2010 داهمتنا السيول، ومع ذلك فقد فسرت له المتابعة الدقيقة للماتشات سر الهجوم على أي شخص ناجح، فكل من في الملعب لا يهاجم إلا الشخص اللي معاه الكورة (وهذا بالمناسبة هو أفضل تعريف للناجح) ، أما المتميز فهو الشخص الذي يفشل الناس في تصنيفه.

للتصنيف سقف إذا لمسته ستصبح ناجحًا، وإذا لمسته كثيرًا ستصبح شخصًا يحافظ على نجاحه، التميز أن تلمس في كل مرَّة سقفًا جديدًا.

8- بخلاف صديق يؤمن أن البياعين نوعان: نوع بياع أحسن من بضاعته، يجيد استقبالك بطريقة غاية في السمسمة، تجبرك على شراء ما لا تحتاج إليه تقديرًا له. ونوع بضاعته أحسن منه، لكن تكاسله وتعاليه وقلة حماسه يجعلونك تتراجع عن شراء شيء أنت في حاجة ملحة له. لذلك يتقبل هذا الصديق من زوجته بسعادة بالغة كل ما تضعه أمامه على السفرة، فهي تنتمي للنوع الأول، لكن الزواج جعل احترامه لعمال الدليفري يزيد، فعامل الدليفري يقطع كيلومترات طويلة متعرضًا خلالها للحوادث أو للاحتكاك بأمناء الشرطة، ويقف عند باب بيتك يقدم لك طلبك، ويرضى بأقل بقشيش ممكن، بينما الزوجة تكاد تطلب منك أن تسجد لها لأنها قطعت المسافة من المطبخ إلى الصالة حاملة لك كوبًا من الشاي.

9- بخلاف صديق حكى لي قائلًا: لم يكن أرشميدس نائمًا في البانيو يلعب في شعر صدره عندما صاح: وجدتها وجدتها.. الحكاية أن الملك طلب من صائغ شهير أن يصنع له تاجًا من الذهب الخالص، وبعد أن تسلَّمه شكٍ في أن الصائغ ربما يكون قد خلط الذهب ببعض الفضة، فاستعان بأرشميدس المتعلِّم الوحيد في المملكة، وسأله عن حل لهذا الشك الذي سيقتله، فذهب أرشميدس إلى حمَّام عام، وكان نادرًا ما يغتسل، وقفز في الماء فلاحظ أن المنسوب ارتفع وفاض خارج المغطس. شيء حدث من قبل مع شعوب من المستحمين، لكن أرشميدس وجد فيه الحل، كرر التجربة، فاكتشف علاقة بين حجم الماء المزاح ووزن الجسم المغمور، وهكذا أصبح حل الفزورة سهلًا، يكفيه أن يغمر التاج في الماء ومقارنة حجم الماء المزاح

ساعتها بحجم الماء المزاح من غمر كتلة من الذهب الخالص مساوية لوزن التاج. رزق الله أرشميدس قوة الملاحظة، لأن الصائغ كان عمره قد انتهى، فقد أعدمه الملك وأودع أرشميدس في مصحة عقلية.

10- بخلاف صديق يرى أن الحياة بها الكثير من المفاجآت، وقد وصل لهذه القناعة بعد أن اكتشف أن ارتداء الأسود على الميت تقليد يعني الحزن عليه منذ أن وعينا على الدنيا، لكن التقليد كانت له بداية مختلفة، حيث كان الأوائل يؤمنون أن الشخص عندما يموت تهيم روحه بحثًا عن جسد آخر لتستقر فيه، فكانت القبيلة كلها ترتدي السواد حتى تعمى الروح الهائمة عنهم وتُصرف بعيدًا، الأسود الذي قد تعتقد أنه وفاء للميت كانت بدايته مجرد ندالة.

11- بخلاف صديق قرر ألا يصارح أحدًا بعيبه في يوم من الأيام. بعد أن قرأ قصة الملك الأعور التي تحكي أن هذا الملك كان بعين واحدة وساق واحدة، وطلب أن يرسم له أحد الرسامين لوحة كبيرة، فجاء الأول فرسم الملك كما رآه بعين واحدة وساق واحدة، فغضب الملك وأعدمه، وجاء الثاني فرسم الملك بعينين سليمتين وساقين فغضب الملك وأعدمه، وجاء الثالث فرسم الملك من الوضع الجانبي بحيث تظهر ساقه وعينه السليمتان دون أن يُظهر أيًّا من عاهتيه، فأعجب الملك بذكاء الرسام وأجزل له العطاء، ثم أعدمه أيضًا.

12- بخلاف صديق قال لزوجته: هل تؤمنين بالحكمة التي تقول: إن الزوج مثل النبيذ كلما مر على تخزينه وقت طويل صار أكثر جودة، فكان أن خرجت وأغلقت عليه باب الغرفة من بره بالمفتاح.

13- بخلاف صديق يرى أن الزواج يجب أن يكون بكروت شحن، ومن حقك عندما ينتهي الرصيد أن تشحن مرَّة أخرى، أو أن تتخلص من الخط وتستبدله بآخر، بخلاف أن الرجل يمكنه أصلًا أن يعيش بتلفون البيت فقط.

14- بخلاف صديق آخر مدمن زواج، وهو في كل مرَّة يتزوج فيها يعقد قرانه في مسجد السيدة نفيسة، لدرجة أنه أصبح من أشهر المجاذيب في المنطقة، وقد سألت هذا الصديق عن أول زواج في حياته: هل كان صالوناتي ولَّا عن حب؟، فقال لي إنه اتجوز انفعالي، أبديت دهشتي، فقال لي إنه تزوج في لحظة انفعال، وإنه نادم لأن انفعاله كان زائدًا، فجعله ينسى وصية جده الذي قال له وهو على فراش الموت نقلًا عمن سبقوه من الحكماء: إوعى تبوس واحدة غبية، وإوعى بوسة تخليك غبي.

15- بخلاف صديقي المستقر في زواجه، ولم أسمع منه شكوى يومًا ما، والذي قال لي إنه مستقر في زواجه، لأن الستات كلها زي بعض، فقلت له: مش فاهم، فقال لي: أؤمن بالحكمة التي تقول إن الزوجة عاملة زي مصطلح درجة حرارة الغرفة اللي مكتوب على علب الأدوية، عمر تفاصيل الغرفة ما بتفرق، وعمرنا ما عرفنا درجة حرارة الغرفة المفروض تبقى كام، يبقى الواحد يخش في أي غرفة ويخلص نفسه وخلاص.

16- لي صديق آخر طلق زوجته، ثم أسس جمعية أهلية تطالب بمساواة الرجل بالمرأة، وعندما سألته عما يجعله يشعر بالظلم الذي يتعرض له الرجال، قال لي: أؤمن بالحكمة التي تقول: الست عندها اختيارات كتير طول الوقت.. تكمل تعليمها أو لأ.. تشتغل أو تقعد في البيت.. تتحجب أو تبقى بشعرها.. تتجوز أو ما تتجوزش.. تخلف وتتطلق وتاخد العيل أو تخلف وتتطلق وتسيب العيل لأبوه... لكن الراجل ما عندوش غير اختيارين: يا يبقى راجل، يا ما يبقاش.

17- بخلاف صديق حاول أن يقطع لسان زوجته بالمقص وهي نائمة، لكن لسانها خرج والتف حول المقص، ثم شفطه إلى جوفها، كل هذا وهي نائمة، سألته: لماذا فكر في قص لسان زوجته؟، فقال لي: الرغي، وأضاف أن الشيء الذي جعل رغيها قاتلًا أن صوتها واطي زيادة، فالنتيجة إنك قاعد جنب واحدة رغاية إنت مش عارف هيَّ بتقول إيه.. حاجة كده عاملة زي زنة اللمبة النيون.

18- بخلاف صديق آخر قال لي إنه زاهد في الزواج، وعندما سألته عن السبب، قال إن الزواج لا يفضي إلى شيء، قلت له: مش فاهم، فسألني: مين أهم واحد في مصر؟، فقلت له: رئيس الجمهورية طبعًا، فقال لي: هناك حكمة ملخصها أن رئيس الجمهورية آخره بعد عمر طويل إنه يبقى طابع بريد في زمن ما بقاش فيه حد بيستخدم البوستة.. أهو الجواز كده بالضبط. صديقي هذا سبق له أن مر بحريق ضخم شب في محل لبيع الشموع، فوقف أمام المحل وأخذ يغني: هابي بيرث داي تو يو، وهذه ليست نكتة، ولكن إذا كنت تبحث عن نكتة فبيقول لك: مرَّة واحد صعيدي بلدياتي قعد يدعي ربنا خمسة وعشرين سنة إنه يرزقه بحتة عيل، ولما حس باليأس راح لشيخ واشتكى له، فقال له الشيخ: المشكلة إنك لازم تتجوز!.

☆ ☆ ☆

برما والفتّايين

قلت لبرما: أكره الشخص الفتَّاي، فقال: الفتَّاي الطَّيب لا ضرر منه، لكن من يستحق الكراهية فعلًا هو الفتَّاي المؤذي، ثم حكى لي قصة أبو اليسر:

كان عند جدتي وابور جاز موجود للأزمات، وكعامل مساعد للبوتاجاز العادي أو الفرن البلدي، وكان هذا الوابور بالرغم من سُمعة ماركته الشهيرة بريموس، كثير الأعطال، لذلك كان أبو اليسر الذي يطوف بالبيوت كل عصر بصيحة وابور جاز آني صلّح ضيفًا دائمًا في أيام الطفولة، نراه يفترش مدخل البيت مستخدمًا أدواته في إصلاح الوابور، مع نفحات ضيافة الجدة من الشاي والحلويات، لكنه كان فاشلًا بشهادة الجميع. سمعتهم يقولون عنه فتَّاي، بخلاف وقاحته، حيث كان دائمًا يلوم الجدة على سوء الاستخدام، وكان يُسمعها كلامًا سخيفًا، ويُغرمها قطع غيار جديدة بغرض الإصلاح.

أقول للجدة يمكن الاستغناء عنه، فتقول لا نعرف غيره، وتحكي عن أيمن، ابن إحدى معارفها التي كانت تسكن على أطراف البلد، والذي قرر يومًا ما أن ينافس أبو اليسر في إصلاح البوابير، وكانت بداياته مُبشرة، وكان مؤدبًا وماهرًا في عمله، ولا يُشبه أبو اليسر في أسوأ خصاله، الذي كان يقتحم البيوت كأنه صاحبها، ويطب في أوقات راحة أو طعام فيفسدها بعصبيته وضحكته السخيفة. لكن أبو اليسر لم يُعجبه تدخُّل أيمن في الملعب الذي يسيطر عليه منفردًا، فقرر أن يُوجِّه ضربة قاصمة للمنافس. شاع الخبر في البيوت أن أيمن حرامي، ولم يقدم أحد دليلًا على ذلك، وتوارى أيمن خجلًا، ثم قرر أن يقيم عشة في مدخل بيته كورشة لتصليح البوابير، وهكذا لن يجرؤ أحد على اتهامه بالسرقة وهو لا يدخل إلى البيوت أصلًا. ارتاح الناس المتشككون للفكرة، وأقبلوا عليه من جديد، لكنَّ حريقًا شب في العشة جعله يتخلى عن إصلاح البوابير ويتجه لتجارة الفاكهة الموسمية.

تقول الجدة إنه، أبو اليسر، من فعلها، فظهور شخص فاهم مثل أيمن هو فضيحة في حق أبو اليسر، مسألة حياة أو موت، الأمر خرج من أكل العيش إلى كرامة شخصية، هو شخص محدود الإمكانيات يتعامل بالتلصيم الذي يقودنا كل مرَّة لمشكلة جديدة، ويُكابر في الاعتراف بالخطأ ويُلقي باللوم علينا.

ظل أبو اليسر يجوب البيوت، ونستقبله كأطفال مرَّة بالخوف ومرَّة بجرأة قصفه بنوى البلح، وقد نهتنا الجدة عن ذلك، لأن زعله وحش.

اختفت البوابير مع الوقت، وأصبح أبو اليسر يجلس على قارعة الطريق بعلب الملبن البلدي، ويغفو كثيرًا أمام بضاعته، ويستيقظ فجأة مرعوبًا عندما نصيح فيه من بعيد: وابور جاز آني صلّح.

☆ ☆ ☆

بتلومونو ليه؟

اتصل بي برما بعد فترة غياب. سألته عن سر غيابه، فقال لي إنه موجود مع مجموعة من الفدائيين للكفاح ضد الاحتلال الخليجي في توشكى، وعرض عليَّ أن أنضم لهم، فاعتذرت قائلًا إني متجوز جديد وما أقدرش أسيب البيت اليومين دول، فقال لي باقتضاب: للبيت رب يحميه.

قال لي: لقد أخطأ البعض إذ ربط بين حسبة برما، وبين شخصي، والحقيقة أن برما المذكورة في الحسبة قرية تابعة لطنطا، متخصصة في إنتاج وتجارة البيض. ويُحكى أن قروية كانت تحمل سلة من البيض في طريقها لبيعها، ولكن لسوء حظها تسبب أحد الفلاحين في سقوط السلة بدون قصد وكسر كل محتواها من البيض. وطلب الفلاح من السيدة إخباره بعدد البيض الذي كان في السلة حتى يعطيها ثمنه، وهنا أخبرته السيدة بأنها لا تعرف العدد بالضبط، ولكنها عندما كانت تعد البيض اللي في السلة اثنين اثنين تتبقى بيضة واحدة، وعندما تعده ثلاثة ثلاثة تتبقى بيضة واحدة، وعندما تعده أربعة أربعة، أو خمسة خمسة، أو ستة ستة، يبقى في كل مرَّة بيضة واحدة، ولكن عندما كانت تعده سبعة سبعة لا يتبقى أي بيض.

ثم سألني: هل تعرف كم بيضة كانت مع المرأة؟، فاعتذرت له لأني ما باحبش البيض، فطلب مني أن أفكر على أن يقول لي الحل قبل نهاية المكالمة.

سألني برما: ما هو أكثر شيء يستفزك؟، فقلت له: عندما أقول لشخص معلومة أنا متأكد منها فيضحك قائلًا: هاهاها.. كل الناس فاكرة زيك كده بالضبط.

وسألني عن أغرب حادثة سمعت عنها، فقلت له: قرأت يومًا مانشيتًّا يقول: قال له يا ابن العبيطة فمزق جسده بالمطواة. سألني عن سر دهشتي، فقلت له: إن المجني عليه كان يعرف من الأول أن الجاني ابن عبيطة..

يعني ما كانش فيه أي داعي للاحتكاك!.

انقطع الخط قبل أن أعرف عدد البيض، فاتصل برما مجددًا، وقال لي: التلفونات شكلها متراقبة، فقلت له: في السجن يشعر السجان بالخوف أكثر من السجين.

انقطع الاتصال ببرما مرَّة أخرى، قررت أن أفتح التلفزيون فوجدت المذيعة تنصح الزوجة أن تهتم بنفسها، لأنه حسب الحكمة الشائعة الزوج مثل الطفل، إذا لم يجد عندك ما يريده بحث عنه في مكان آخر. حاولت أن أتصل بالمذيعة، لكنني تذكرت أني بلا رصيد، فأرسلت لها على ميل البرنامج قائلًا: أصدق كلامك لأنه حسب الحكمة الشائعة مش كل واحد عنده مشاكل مادية بيسرق.. بس الحرامي بيسرق حتى لو ما كانش عنده مشاكل مادية، قرأت المذيعة رسالتي بإعجاب شديد، فأرسلت لها واحدة أخرى تقول: خلِّي برما يتصل بيَّ ضروري.

بالفعل اتصل بي برما بعدها، وقال لي: إحنا محتاجين ذخيرة، قلت له: البلد فيها أزمة حشيش اليومين دول، فطلب مني أن أرتب موعدًا مع إخواننا الفدائيين في أفغانستان للحصول على إمدادات. أزعجني طلب برما فصرخت فيه: إنت فاكرني إيه؟، فقال لي: إنت راجل متجوز وفاهم. طلبت منه أن يوضح كلامه، فقال: تأمل معي ما يقوله الحكيم الخواجة عن الزواج ولكن بترجمتي: الجواز هو البدلة اللي بتفصلها وتلبسها من غير ما تعمل لها بروفة، وأكبر غلطة في الجواز إنك ما تعترفش إنه غلطة، والفرق بين كراهية العازب للجواز وكراهية المتجوز ليه زي الفرق بين الهواة والمحترفين، والست ما بتنساش يوم الجواز، لكن الراجل بينساه، لأن الصياد بيفضل فاكر اليوم اللي اصطاد فيه سمكة كبيرة، لكن السمكة ما بتفتكرش حاجة خالص. قلت له: شكلك ضد الجواز، فقال لي: بالعكس، الراجل لما يتجوز بيبقى كمِّل نص دينه، والبنت لما تتجوز بتبقى لقت عدلها، يعني الست ماشية مقلوبة لحد ما تلاقي اللي يعدلها، والراجل ماشي نص كافر لحد ما يلاقي الست اللي تخليه يآمن أن الله حق.

قلت لبرما: بلاش كلام في السياسة أرجوك، فقال لي: كنت فاكرك شجاع، ففتحت لك قلبي. ثم تحشرج صوته وهو يقول: أسأتُ إذ أحسنتُ ظني بكم.. والحزمُ سوء الظن بالناس، ثم قال لي: والله ما أنا قايلك كان فيه كام بيضة مع الست.

قلت له: طيب فزورة بفزورة: من هو الرجل الذي لا أب له، والرجل الذي لا أم له، وما هو القبر الذي تحرك بصاحبه، وما هو المكان الذي طلعت عليه الشمس مرَّة واحدة في عمره؟. سكت برما قليلًا وقال: أجب أنت أولًا،

فقلت له: الرجل الذي بلا أب هو سيدنا المسيح، والرجل الذي بلا أم هو سيدنا آدم، والقبر الذي تحرك بصاحبه هو حوت سيدنا يونس، والمكان الذي طلعت عليه الشمس مرَّة واحدة بطن البحر حين انفلق لبني إسرائيل.

مالك يا برما؟، قال لي: حاسس إني هاموت قريب، فقلت له: أوصني، فقال: إليك بعض الحكم التي استقرت في قلبي على هامش التجول بين كتب الحكماء والفلاسفة الكبار، خذها مني فلم أعد بحاجة إليها، خليها معاك علها تنفعك:

1- العالم يعرف الجاهل، والجاهل لا يعرف العالم.

2- والمشكلة الرئيسية في العلاقة بين الرجل والمرأة أن كل شخص يبحث عن نصفه الثاني قبل أن يبحث عن نصفه الأولاني.

3- وخد بالك، من يضحك أخيرًا هو أغبى شخص في الجلسة.

4- ولازم تعرف أن مشكلة الزواج ليست في العثور على الشخص المناسب، ولكن في أن تكون الشخص المناسب.

5- أما يا معلم الشخص المهم في حياتك فهو ليس الشخص الذي تشعر بوجوده، ولكنه الشخص الذي تشعر بغيابه.

6- والمفاجأة أن للذكاء حدود.. الغباء لأ.

7- والسعادة مش إنك تقابل حاجة تفرحك، السعادة إنك تلاقي الفرحة في أي حاجة تقابلك.

8- ونصيحة من أخ، أقلِع عن التفكير في أخطاء الماضي، وحاول أن تتحاشى أخطاء المستقبل.

9- وصدقني، عندما تجد كل الأشياء تقف في صفك اعرف فورًا أنك تقف في المكان الخطأ (وأخذ يردِّدها حتى انقطع الخط).

ظللت طوال الليل في انتظار أن يتصل برما مجددًا، لكنه لم يفعلها، وصحوت اليوم فوجدت رسالة قصيرة منه مكتوبًا فيها: عدد البيض: 301.

(بعض الأقوال الواردة على لسان برما خلال الحوار معه، مستوحاة من أمثال شعبية عالمية وأقوال مأثورة أجنبية).



برما بيغيَّر زيت

اتصلت ببرما وقلت له: احكي لي اتصرفت إزاي آخر مرَّة جالك فيها اكتئاب؟.

قال برما: الاكتئاب أن تصحو شاعرًا بالاختناق الذي يتعاظم بمقدار فشلك في معرفة أسبابه، في مثل هذه الحالة أنا شخصيًّا أبحث في رأسي عن مشوار خفيف أنجز من خلاله مهمة تافهة في مكان يتفانى فيه الآخرون لإرضائي بكل الطرق الممكنة.. إنها البنزينة بلا شك.

بالصدفة ينتابني هذا الشعور كل 3500 كيلومتر، حيث يتوجب عليَّ أن أغيِّر زيت الموتور وأغسل السيارة بره وجوه على حد تعبير البنزينجيَّة. في الطريق إليها فكَّرت ماذا كنت سأكتب على مؤخرة سيارتي إذا واتتني الجرأة على فعل ذلك، كنت سأكتب: عوض الصابرين إنها حكمة حياتي، أو اللي أمه بتدعيله أحسن من اللي أمه بتديله إنها حكمة حياة أمي.

في الراديو كان هناك إعلان عن منتج أحتاج إليه بالفعل مزيل للأوساخ، من منا لا يحتاج إلى مستحضر يخلصنا منهم؟ في محطة أخرى كانت أم كلثوم تقول: وإذا الأحباب كلٌّ في طريق، قلت لها: وليه الأحباب يا ست؟ ليه مش وإذا الأوساخ كلٌّ في طريق؟.

في البرنامج العام مسلسل إذاعي ساذج سمعت منه جملة واحدة: يا ابن الرفضي. تذكرت صديقي الراحل الذي قال لي إنها شتيمة كانت شائعة أيام الفاطميين، والمقصود بها: يا ابن من رفض بيعة سيدنا علي. رحل صديقي مبكرًا، لأنه كان يعرف أكثر مما يجب.

توقفت في الإشارة بالضبط خلف عسكري المرور الذي أعطاني ظهره وهو يشير لي بالتوقف، وأشار لي أن تحرَّك من الوضع نفسه دون أن أرى وجهه، ذكرني عسكري المرور بالمايسترو قائد الأوركسترا الذي يقود العمل كله وظهره للجمهور طوال الوقت، الفرق أن الأخير عندما يستدير يصفِّق له الجمهور، بينما إذا استدار الأول فقد يأخذنا مخالفة حزام.

على باب الكافيه الملحق بالبنزينة مكتوب pull، سأموت قبل أن أحفظ جيدًا الفرق بين pull و push، الأمر الذي يسبب لي إحراجًا في أماكن كثيرة، أرى اللافتة وأحاول أن أركِّز أيهما اسحب وأيهما ادفع، والنتيجة أنني دومًا أدفع الباب بعنف عندما يُفترض أن أسحبه، بشكل يجعل القابعين بالداخل يهرعون لإنقاذ الباب من هذا الجاهل الذي لم يقرأ اللافتة، أو أن أسحب الباب بشدة عندما يُفترض أن أدفعه، فأدخل على القابعين بالداخل بمقبض الباب في يدي، إنها الحيرة نفسها التي أقع فيها عند التمييز بين أحمد عفت وأحمد فؤاد حسن، فكلاهما موسيقي بشنب ونظارة، ويظهران في كل حفلات عبد الحليم.

أخالف أمر الطبيب، وأسرق فنجان قهوة مرَّة يوميًّا حتى لا يصيبني قطع العادة بتخشب لاإرادي يشبه تخشب المتزوجات حديثًا. رائحة القهوة عدلت مزاجي قليلًا، بصراحة أنا شخص مزاجي متقلِّب، بالضبط مثل كوبري أكتوبر، يلتمس المقربون لي أعذارًا لا أستطيع أن ألتمسها لنفسي، فتتعمق محبتهم في القلب.

كان عامل النظافة نائمًا فوق أرضية السيارة وفي يده المكنسة الكهربائية، ألقى بعيدًا تذكرتي سينما، فكرت لماذا لا يُطبق قانون حماية المستهلك على السينما، أليس من حقي إذا شاهدت فيلمًا ووجدته بضاعة فاسدة أو أن بطله منتهي الصلاحية... أليس من حقي أن أقدم التذكرة وأستعيد نقودي؟ فرحت بنفسي، وقلت يا لي من عبقري لا أقل نباهة عن مكتشف ورق العنب الذي قال لنفسه: ما الشيء الذي يصلح لحشو هذه الأوراق الرقيقة؟ ثم وجد الفكرة، فهتف بصوت عالٍ: رز.. رز.

انتهى العمل في السيارة، وخرجت من البنزينة بعد أن علقت في مرآتها شجرة أرز برائحة الفانيليا، إنه حنين للطفولة ولمخبوزات الجدة. فتشت في الراديو عن أغنية تلائم المزاج الجديد، فوجدت واحدة أحبها لعمرو دياب، كان الشارع رائقًا، وفجأة تذكرت أنني لم أدفع ثمن القهوة.

قلت لبرما: الاكتئاب أنساك أن تدفع ثمن القهوة.

فقال لي: بالعكس، كان الاكتئاب في طريقه للاختفاء، ولم يؤنبني ضميري بخصوص القهوة، ولم أتعجل العودة، فأنا أعرف جيدًا أنني سأعود إلى المكان نفسه بعد 3500 كيلومتر.


☆ ☆ ☆

وحشتنا يا ريس

(برما يكتب رسالة بمناسبة زيارة السيد الرئيس لأمريكا - 2009).

سيدي الرئيس..

مرت ثلاثة أيام على غيابك عن بلدك وأهل بلدك، مروا كأنهم سنوات من العمل الشاق لمحاسب مصري في الدمام، أيام ثقيلة كطلة تامر أمين، ومظلمة كطريق الواحات، نفتقدك كما يُفتقد البدر في طرة الأسمنت، وندعو الله ألا تطول غيبتك، وأن تعود لنا سالمًا، واعمل حسابك لازم نفطر مع بعض أول يوم رمضان، إن شاء الله.

الأمور هنا مستقرة، وكله على ما يرام.

الحمد لله المستشار عدلي حسين أثبت أنه غير مسؤول عن إصابة القلابوة (أهل القليوبية) بالتيفود، وشرَّف الحكومة وخرج على الجميع بثقة ليثبت أن صفحته بيضاء، الأمر الذي أراح قلوب الجميع وفي مقدمتهم المرضى الراقدون بين الحياة والموت في مستشفيات المحافظة.

أما السُّكر، فقد ارتفع ثمنه جنيهًا بس. إحنا مقدرين الظروف، وعارفين إن البلد داخلة على موسم، ورفع الأسعار الغرض منه حماية الشعب من الإفراط في الحلويات تفاديًا لإصابته بالبول السكري. بمناسبة البول، لم يتأثر الإقبال على الفاكهة والخضراوات بموضوع ريها بماء المجاري، خصوصًا ونحن مقبلون على الشهر الكريم الذي نستهلك فيه الكثير من الطرشي الذي تعتمد صناعته أصلًا على المخلفات، لذلك نحن سعداء بالفكرة العبقرية التي جعلت الحكومة تروي الخضراوات بالمجاري، ونُندِّد بمن يعتبر ذلك إهمالًا، لأنه أكيد ضغطه عالي وملوش في الطرشي.

المنتخب بخير الحمد لله، وتعادل في آخر مباراة له أمام غينيا، واتمسح بكرامة دفاعه نجيلة الاستاد، بس أحمد عيد عبد الملك بيِّن كرامة أخيرًا وجاب جون، وفيه عيل طالع جديد اسمه السيد حمدي، باعت لك في الرسالة اللينك بتاع جروب محبيه على الفيس بوك عشان لو عايز تنضم.

بخصوص الأستاذ جمال، فلا تقلق عليه، فتمثيلية الحوار الذي أجراه على النت مع شباب مصر كانت تحفة، وتستحق أوسكار آخر حاجة، فقد قامت أمانة النت الباسلة بالحزب بتجميع كل شباب مصر في صورة بالفوتو شوب على كروما، وتحريكها بتقنية الجرافيك بعد الاستعانة بفني جرافيك شاطر في الحرفيين، كما تمت الاستعانة بمكتب ريجسير الحاج زهرة لتوفير عدد من الكومبارس للعب دور بقية شباب مصر. وبدأ التجمع أمام كنتاكي التحرير، ثم التحرك إلى القرية الذكية قبل الحوار بثلاث ساعات لعمل ماكياج الشباب المصري (هالات سوداء تحت العينين بالنسبة للأولاد، وحواجب ملتصقة بالنسبة للبنات). وسارت الأمور كما ينبغي، والأستاذ

جمال جاوب كويس وحل كل الأسئلة، وبعدين افرض حتى إنه ما حلش صح هيحصل إيه؟

إحنا جميعًا بخير، وربايتك فلحت فينا، فقد عملوها الرجالة في الصومال وحرروا أنفسهم من قبضة القراصنة، وعادوا لك بهدية عبارة عن أسير من القراصنة، وهو الآن يُجري بعض الاختبارات لضمه إلى قائمة نادي الزمالك.

وعندي خبر حلو لسيادتك، مدينة قها طلعت الأولى على العالم، صحيح أنها الأولى عالميًّا في تلوث مياه الشرب، لكنه في النهاية تمثيل مشرف.

أما خبراء وزارة العدل، فهم صامدون في مكانهم لليوم الواحد والأربعين على التوالي، همَّ بس كانوا نفسهم يشوفوك قبل ما تسافر، بس عارفين إنك سافرت فجأة عشان كده ما زعلوش وقاعدين في انتظار سيادتك.

أما الناس في مرسى مطروح، فهي كانت في طريقها إليك حاملة عتابًا بسيطًا، ولكنهم فوجئوا أن موبايلك مغلق، فسألوا، فعلموا بسفرك، والصراحة هم كانوا يودون أن يشكوا لك تقديم موعد أذان صلاة الجمعة 20 دقيقة عن موعده ليتوافق مع توقيت محافظة القاهرة حتى يستطيع التلفزيون المصري أن ينقل على الهواء شعائر الصلاة (التي أمَّها شيخ الأزهر) في مواعيد الإذاعة المحددة سلفًا، فكانت النتيجة أن ناس كتير ما لحقتش تصلي خلف شيخ الأزهر، وأنت تعلم جيدًا غلاوته عند المصريين.

سلام حار لأوباما، وبلغه استيائي الشديد من ضم القدس، وقول له: القدس دي لكل الأديان، وبلغه أيضًا تعازينا في الأستاذ مايكل جاكسون، ويا ريت تعرف لنا من أوباما حقيقة الإشاعة اللي بتقول إنه الله يرحمه كان مِركِّب رحم.

الجميع هنا يهدونك السلام، ويعدون الأيام حتى تصل بالسلامة.

ملحوظة: نحيطك علمًا أن ألبوم تامر حسني الجديد مكسَّر الدنيا.

☆ ☆ ☆

برما بيتكلم بلدي

عندما سألك الشاعر جمال بخيت على لسان لطيفة: تعرف تتكلم بلدي؟ ما كانش بيهزر، فأنت ربما تجيد اللغة العامية المصرية، لكن اللغة البلدي لها ناسها، وهي لغة غير مرتبطة بطبقة اجتماعية متدهورة أو مستوى ثقافي منحط، فهي لغة السمكرية وطلاب مودرن أكاديمي في الوقت نفسه، هي لغة بنت شارع تتميز بقدرة تعبيرية عجيبة، وبها من البلاغة ما يجعل الجميع يستخدمها وهو يشعر أن كل مفردة تقول ما لا تستطيع أي لغة أخرى أن تقوله.

الفرق بين اللغة العامية واللغة البلدي أن الأخيرة يحتاج تعلمها إلى قدر من المرمطة في الشوارع، لذلك هي ليست متداولة بين كبار السن والمحافظين والمحفلطين الذين يخترقون الشوارع في سيارات مكيفة، ولم يستقلوا يومًا ما ميكروباص أو توك توك، ولم يتناولوا يومًا ساندويتش سجق إسكندراني عند أبو رامي، أو طاجن عكاوي عند البرنس، ولا يجالسون العامة في مقاهي وسط البلد، ولا يشاهدون المباريات إلا من خلال الاستوديو التحليلي ذي رابطات العنق التي يتماشى لونها مع شعار شركة المحمول الراعية للبرنامج.

الفرق بين اللغة البلدي واللغة البيئة أن الأولى تحتاج لقدر من الذكاء واللباقة بحيث تستخدم الكلمة في موضعها دون أن تكون جارحًا، ودون أن يكون استخدامها في موقف غير مناسب أو أمام شخص قد لا يفهم ما تقوله، بينما اللغة البيئة هي مرادف لدرجة أقل من الذكاء، وهي دائمًا محل للسخرية إذا ما قيلت في غير موضعها، بينما اللغة البلدي دائمًا محل للتفكير والتأمل.

مفردات اللغة البلدي تحتاج إلى قاموس، فهي كثيرة، لكنني اخترت اليوم أن أشرح المفردات التي تم طرحها منذ فترة طويلة في السوق، وحققت نجاحًا جعلها تثبت أقدامها في حوارنا اليومي، وتجاهلت المفردات التي ما زالت تجرب حظها، على وعد بشرح ما ينجح منها، ويستقر في وجداننا، ولكن هذا لن يظهر قبل عامين على الأقل.

- التشتيح: يُقال: إن فلانًا مشتح، بمعنى أنه يعاني من تفكك تام في عضلات جسمه، الأمر الذي يجعله يبدو شبه منهار وعلى قيد الحياة إكلينيكيًّا. مثال: يُقال: أبويا إداني حتة دين علقة قعدت بعدها أسبوع مشتح.

- البرطمة: كلام غير مفهوم، لكنه يعبر عن الاستياء، وعن كون المبرطم جبانًا لا يقوى على التعبير عن اعتراضه أو استيائه لظروف قهرية. مثال: يفرض عليك والدك فرمانًا بعدم الخروج مع أصدقائك الذين ينتظرونك. يثير والدك غضبك بشدة فتنسحب من أمامه، وأنت تسب الملة للظلم والقهر بعد أن تدغم حروف الجملة كلها في كلمة واحدة. يفشل والدك في تبيُّن ما تقوله، لكنه يشعر بمحتواه فيسألك: إنت بتبرطم بتقول إيه؟، وعادة ما ترد عليه قائلًا: ما باقولش.

- الخرتتة: وهي بمعنى التنطع ورمي الجتت، أن تخرتت على شخص، يعني أن تأخذ منه بالثقالة ما لا يحق لك أو ما لا يدعوك له، والفرق بينها وبين البرشطة (بمعنى الهبوط من أعلى ببراشوت على ما لا يخصك) أن من يقوم بالأخيرة شخص طيب، وعشمان فيمن حوله، لكن الخرتيت قاطع طريق ثقيل الدم.

- الحبرشة: قد تتوقف يومًا ما في الشارع لتسأل شخصًا عن عنوان، وبينما هو يجتهد في وصفه لك (وهوَّ ما يعرفوش أصلًا)، ستجده يعدل وضع ملابسه الداخلية بمحتوياتها بأن يسحب البنطلون لأسفل أو يحركه يمينًا أو يسارًا بأطراف أصابعه، وهناك أشخاص يفعلون ذلك طول الوقت لاإراديًّا، وعندما تلفت نظره إلى وجوده في مكان عام سيقول لك: إيه يا عم؟! باحبرش مفيهاش حاجة.

- التكشيم: وهو أن تُعطي شخصًا مستفزًّا الوش الخشب، فتغلق عليه الطريق قبل أن يوجِّه لك إهانة أو تطفُّلًا. يُقال: إن فلانًا جه يقفش عليَّ رحت مكشم له، والتكشيم هو أفضل حائط دفاع ضد الخرتتة.

- الطرمخة: وهي أن تداري على جريمة ما أو خطأ بمنتهى البجاحة، والطرمخة هي أقصى درجات الاستهبال والتنكُّر. يُقال مثلًا: إن الحكومة طرمخت على موضوع المادة 76. ويُقال أحيانًا: هوَّ الصاحب ليه إيه عند صاحبه؟ كدبة وشهادة زور وطرمخة.

- الحسوكة: وهي البطء المبالغ فيه في الأداء. يُقال: إن فلانًا محسوك، لأنه ينفذ ما يحتاج تنفيذه شهرًا في ثلاثة أشهر، وعندما يطول الزمن بالمحسوك، ويفشل في مهمته قد يلجأ إلى الطرمخة.

- الحنتفة: وهي التجميل الزائد عن اللزوم. يُقال: إن الشخص محنتف في نفسه، أي أنه يعتني بمظهره لدرجة منفِّرة، وقد يكون الشخص محنتفًا في عمله وهو أمر منتقد أيضًا، حيث تؤدي هذه الحنتفة إلى تعطيل المراكب السايرة، وقد يلجأ البعض إلى الحنتفة لتطفيش من يرجو منه أي مصلحة، حيث إن التعامل معه يحتاج إلى صبر شديد وطولة بال.

- التنفيض: وهو التخلص من شخص يطاردك بادِّعاء الإصابة بفقدان السمع أو البصر وأحيانًا بادِّعاء الشلل، وقد يضطر أن يعمل نفسه مشتح، وأحيانًا ينفض الشخص بلا أي ادِّعاءات إذا كان يمتلك قدرًا لا بأس به من البجاحة.

- كوسة: وهي شعار المجاملة الفجة. يُقال: إن اتحاد الكرة عاقب جمهور الزمالك، ولم يعاقب جمهور الأهلي.. ما هي كوسة. وأصل القصة تعود إلى أيام الدولة الفاطمية حيث كانت أبواب العاصمة تغلق بعد منتصف الليل، ويمتنع دخول أي بضاعة فيما عدا الكوسة التي يتم جنيها ليلًا حتى تباع في اليوم التالي طازجة، فكان التاجر يقف ببضاعته، ويطرق الباب، فيسأل الحراس: مين؟، فيقول لهم: كوسة، فيسمحون له بالعبور، وتعتبر هذه المفردة من أقدم مفردات اللغة البلدي (باقول لك من أيام الفاطميين).

- ما شقهاش ضنا: تقَال عن المرأة التي لم تنجب، والتي تتضاءل فرصها في الإنجاب، وتُقال أحيانًا بصيغة تعاطف: يا عيني ما شقهاش ضنا، لكنها كثيرًا ما تُقال بصيغة معايرة: هتعرفي منين وإنتِ عمرك ما شقك ضنا؟.

- الكحولة: وهي صفة الشخص الفاشل في عمل أي شيء مفيد، والكاحول هو شخص لا يمكن الاعتماد عليه بتاتًا، ويتميز بقدرات ذهنية متواضعة وغباء فطري.

- شغل فنادق: وهو مصطلح عبارة عن شهادة تقدير لا تقل عن الأيزو بأي حال، وتدل على مدى جودة ونظافة الشغلانة، يُقال: حسام حسن عمل مع الزمالك شغل فنادق بصحيح.

- الأنتخة: هي الكسل الشديد المقترن بقدر من الرفاهية. الفرق بين الأنتخة والتشتيح أن الأولى بها مساحة كبيرة من اليقظة والوعي، ويمكن التخلي عنها فورًا إذا ما حدث حادث، لكن المشتح قد تلتهمه النار التي شبت في الكنبة بسهولة. الأنتخة مكلفة، فهي تحتاج لبعض الأشياء المسلية حتى يصبح لها طعم مثل شاشة السي دي 42 بوصة، وليفينج أميريكي بمخدات تغوص بالجالسين، أو على الأقل طبق فاكهة ودخان ودفتر بفرة.

- التفخيد: هو الأنتخة عندما لا يكون هناك أي وسائل للتسلية، وهي إكلينيكيًّا درجة متوسطة بين الأنتخة والتشتيح.

- التجرمة: وهي أن يكون الشخص ملوش كبير، وميت القلب، ولا أحد قادر على ردعه، ولا يخشى شيئًا. الفرق بينها وبين البلطجة أن الأخيرة لا بد أن تكون مؤذية بدنيًّا لمن يقف في وجهها، لكن التجرمة لا تحتاج فيها بالضرورة للعنف، فمن الممكن أن يتتجرم الشخص على زوجته، ومن الممكن أن يتتجرم الكاتب على شخصية عامة في مقال ما وهكذا.

- لطازانة: وهو شخص يشبه الباذنجان المقلي بعد مرور أكثر من ساعتين عليه في الطبق، حيث يكون قد تشبَّع بالزيت والدقة، وأصبح ثقيل الوزن وشديد الرخاوة بخلاف أنه فقد جزءًا كبيرًا من طعمه الشهي، والشخص اللطازانة هو شخص ثقيل الدم وثقيل الحضور، ومن النادر أن تستفيد منه بشيء، وأهم ما يميزه أنه دائم الحبرشة.

☆ ☆ ☆

لماذا خلق اللــه القهوة مُرة؟

نزعت السماعة عن أذن برما اليسرى في محاولة لمعرفة الأغنية التي يستمع إليها باهتمام، انزعج من الحركة. عايز إيه؟ سألني بغضب. فقلت له: أجلس إلى جوارك منذ ساعتين وأنت لا تعيرني أي اهتمام، ما الذي تستمع إليه؟، فقال: أغنية كوكب تاني للفنان مدحت خالص. قلت له: يا لها من أغنية عظيمة تليق بالمتزوجين، فقال لي: في الزواج لا يصلح الهروب، وكما قال الحكيم: ما دمت قد خربت حياتك في هذه البقعة من العالم فحياتك خراب أينما حللت، ثم قال: الزواج فكرة قائمة على الظلم. سألته عمن يقع عليه هذا الظلم، فقال: الرجل طبعًا.. فالمرأة خصها الله بميزة، فهي تستطيع أن تتعايش وتمشي أمورها مع رجل نصف دميم، نصف متوسط الحال، وأكبر منها بعدة سنوات، ويدخن البانجو على فترات متقطعة، ستشكو أحيانًا، ولكنها تشكو بحكم طبيعتها كامرأة تشعر بأنها ظلمت بيولوجيًا، فتظل طوال حياتها تسقط هذا الشعور على كل ما يمر بها، لكنها متعايشة، وتجد لنفسها ثغرات تتسلل منها إلى الشعور بالسعادة، مثل أن تحب ابنها، أو تجمع قطع الجهاز لابنتها منذ طفولتها وهكذا، لكن الرجل يصعب عليه كبني آدم له مشاعر وأحاسيس أن يشعر بالراحة للورم الذي نبت فجأة في قفاه حتى لو تزوج واحدة فائقة الجمال، فائقة الثراء، وأصغر منه بسنوات، وتجيد انتقاء قطع اللانجيري.

قلت له: ما جاوبتش برضه على سؤالي: هل الزواج طموح مشروع؟. سحب برما السماعة الأخرى من أذنه، ولف السلك حول الآيبود، ثم وضعه في جيبه، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم سحب كمية كبيرة من البلغم (خخخخات)،

وسدده بعيدًا، ثم سألني: معاك سجاير؟، فأخرجت له آخر واحدة، وسألته: تخمس؟، فهز رأسه بالموافقة، أشعلتها ثم أعطيتها له: مساء الفل يا مدرسة، فقال لي بتواضع: مساء الخرا.

بعد صمت دام ثواني قال برما: المغفلون أمثالك يعتقدون في مرحلة ما من عمرهم أن الزواج طموح مشروع، وتسمع الشاب من دول يقول لك بثقة فيلسوف هندي وصل إلى الفلسفة بعد أن تناوب بعض الباكستانيين الاعتداء عليه في إحدى الزراعات المهجورة: عايز أتجوز علشان أستقر. يقولون إن الشخص الذي يرى الزواج طريقًا للاستقرار لا يختلف عن الشخص الذي يرى جريمة القتل طريقًا لجائزة نوبل في السلام، الترتيب خاطئ.. فلا بد أن تستقر حياتك أولًا، ثم تبدأ رحلة الزواج.

أنهى برما في اندماجه السيجارة بمفرده فلم أعلق، لكنني سألته: وما هي المرحلة العمرية التي يطمح فيها الشاب المصري إلى الزواج؟، فقال لي: هذا أمر شرحه يطول، فقلت له: إذن وبما إن الكلام هيحلو، هل تسمح لي بمشوار صغير لحد أون ذا رن لشراء اتنين إسبرسو وعلبة دخان؟، فهز رأسه بالإيجاب، وشدد على أهمية أن يكون الإسبرسو دوبل.

عدت له محملًا بلوازم القعدة، رفض أن يضع السكر على القهوة قائلًا: خَلقت القهوة لنستمتع بمرارتها، مثلما خلقت الفاكهة لنستمتع بحلاوتها، لو كانت الحكمة تقضي أن نشرب القهوة محلاة لخُلِقت حلوة. مَن المغفل الذي يفكر في تخليل حبات المانجو؟. أعجبتني النظرية، فأفرغت نصف كيس السكر في فمي، ثم بدأت أرشف القهوة ساخنة.

قال برما: يطمح الرجل المصري للزواج في نهاية مرحلة العشرينيات، قبلها يكون طموحه متمثلًا في إنهاء فترة التجنيد بأقل قدر ممكن من المشقة والبهدلة، ثم استخراج جواز سفر (قد يصل إلى سن الخمسين قبل أن يرى على صفحاته تأشيرة واحدة)، ثم التخلص من الفتاة التي ارتبط بها في الجامعة، ثم البحث عن عمل مؤقت يوفر مصاريف الجيب، ومحاولة إقناع نفسه أن التحرر من سطوة المنزل لا يعني عدم تناول الطعام معهم، ثم شراء لابتوب بالتقسيط، ثم تنظيم الوقت بحيث يتمكن من قضاء ساعات العمل في البحث عن وظيفة جديدة على النت أو في الوسيط، ثم تقسيم وقت الفراغ بين الرياضة (حضور تدريبات الأهلي وماتشاته)، والقراءة (على موقع يلا كورة)، والكتابة (على وول الأصدقاء على الفيس بوك)، وتنمية الذات (البحث عن صاحبة جديدة غير التي أوشك على التنفيض لها)، وحضور الندوات (لقاء مع رواد الإستيمشن على مقهى زغلول)، وصلة الرحم (الاتصال بزوج خالته الرائد لإنقاذه من لجنة أمسكت به في شامبليون بدون بطاقة، ولكن بالكثير من ورق البفرة)، والتفكير في خطط جديدة للمستقبل (تجديد الباسبور)، ثم تغيير الشركة التي يعمل بها والانتقال إلى مكان أفضل (هو أفضل لأن موظفيه يرتدون يونيفورم أيًّا كان، ويساعدك في إنجاز أوراقك لشراء سيارة بالتقسيط، ومكاتبه مكيفة، ومقره في السادس من أكتوبر، ويؤمن لك مساهمة في العلاج، وتخفيضات على رحلات المصيف وخطوط بيزنس)، وبنهاية المرحلة يبدأ التفكير في بنت الحلال، وعندها قد يقوده الطموح إلى فتح دفتر توفير.

كان برما يتحدث كأنه يعيش لحظة بلحظة مع شهاب ابن عمتي، لذلك سألته وأنا قلق: طيب، وفي الثلاثين يا عمهم؟، فقال:

في الثلاثين وبعد جلسات جماعية في الصالونات والكافيهات، أنفق فيها ربع ما ادخره، يعثر على بنت الحلال، ويقرر أن يتقدم لها رسميًّا دون أن يفكر في التوقف للحظة أمام أجراس الخطر التي تدق في كل مكان، ثم العثور على شقة على أطراف العاصمة إيجار قانون جديد بشرط ألا يتجاوز التأمين إيجار ثلاثة أشهر، ثم إقامة فرح، وقضاء أسبوع عسل، ثم محاولة إصلاح الوضع المالي المتعثر بـالنُّقطة، ثم إنجاب طفل، ثم البحث عن حجج للتواجد خارج المنزل، ثم البحث عن مورد رزق إضافي.

وفي الأربعين يكون طموح الرجل مُنصبًّا على البحث عن نزوة لقناعة ما تهبط عليه، تقول: إن الزواج بقى عامل زي تقسيمة في تدريب، والرجل بطبعه هولاكو، سيقهره الشعور بأنه فقد القدرة على تحقيق أحلامه التوسعية.

وفي الخمسين يطمح لمغادرة الوظيفة وهو في أفضل موقع ممكن، ويطمح لاستغلال الفرصة وهو ما زال في منصبه لتزويج البنت والسفر للحج وإجراء فحوصات طبية شاملة.

وفي الستين يطمح ألا تحول الأمراض التي ظهرت عليه بينه وبين السفر لأداء فريضة الحج.

وفي السبعين يطمح أن يكتب مذكراته، وإن لم تكن الفرصة متاحة فهو يلقيها شفاهة على من حوله، ويطمح من ناحية أخرى في تجديد علاقته بالحياة عن طريق أحفاده.

وفي الثمانين كيف يكون الطموح؟ سألت، فقال برما: ما أقدرش أقول لك دلوقتِ. سألته عن السبب، فقال: لسه الحزب ما قالش هيرشح مين.

سألته: طيب، هل الطلاق طموح مشروع يا برما؟، فكر برما قليلًا، ثم قال: مش عارف. كل اللي أنا عارفه إنه فيه حتة معينة في الجواز لو باظت يبقى الجوازة كلها باظت. وأذكر أنهم سألوا طليقة مندوب مبيعات عن سر الطلاق، فقالت: كعادة كل مندوبي المبيعات ضحك عليَّ وباع لي بضاعة مضروبة. وسألوا طليقة تاجر قطع غيار، فقالت: كان فاهم قطع الغيار صح، بس ما كانش عارف بتتركب إزاي. وسألوا طليقة موظف، فقالت: كان فاهم المطلوب منه بس ما كانش متأكد ده من اختصاصاته ولَّا لأ. وسألوا طليقة طبيب نفسي، فقالت: كان بيحب يتكلم عن الحاجات أكتر من الحاجات نفسها. وسألوا طليقة مدير تسويق، فقالت: كان بيبيع منتج هو شخصيًّا ما بيعرفش يستخدمه. وسألوا طليقة مهندس، فقالت: درس كل حاجة كويس وبعدين قال لي: واضح إن فيه مشاكل في التصميم.

☆ ☆ ☆

القسم الثاني

الحكي في رحاب برما

الحكي في رحاب برما عن رجل الشارع

التقى المواطن محدود الدخل بـالمرأة العاملة، فتزوجا وأنجبا الطالب المتوسط الذي تأتي الامتحانات عادة في مستواه. نجح الطالب المتوسط وأنهى تعليمه وأصبح رجل الشارع. تمر الأيام وهو يستمتع بخطة الإصلاح التي تبنتها الحكومة والتي لا نملك دليلًا واحدًا عليها سوى سيتي ستارز.

كبر رجل الشارع، وأصبح يقرأ الصحف القومية بالطريقة نفسها التي ينظر بها إلى النساء من الخلف للأمام، يقرأها هكذا لأن الصفحة الأولى التي تحمل مانشيتات الحكومة فقدت مصداقيتها، وبمرور الوقت أصبحت تعبر عن وطن آخر لا يشبه الذي يعيش فيه.

رجل الشارع غير مهتم بالبرادعي ولا التوريث ولا حتى نشرة الأنباء الجوية، ولا يهتز لانهيار البورصة، هو فقط مهتم بلقمة العيش، ويشعر طول الوقت أن وزير المالية باصص له في هذه اللقمة للدرجة التي أرهقت عيون الوزير وجعلته ينفق على علاجها أكثر من مليون جنيه!

رجل الشارع حُرم في طفولته من سماع جملة: خش أوضتك، لكنه سمع كثيرًا: ما أشوفش وشك في الأوضة دي تاني، ولم يحظَ بمشاهدة دجاجة كاملة على الطبيعة، ويعتبر الجولف نوعًا من أنواع الدعارة، وكان كلما سأله أحد: نفسك تطلع إيه لما تكبر؟، يجيب قائلًا: نفسي أطلع من دلوقتِ. لا يتعامل مع الحكومة إلا في أضيق الحدود، وعندما كان يطلب مساعدتها كان يكتفي بأن يرن عليها، لكن الحكومة في كل مرَّة كانت لا تتردد في أن تفتح عليه. لم يقع أبدًا في دائرة الشذوذ، لكنه عندما ذهب لاستخراج بطاقة وقف أمام خانة النوع وكتب: مذكر سلبي.

رجل الشارع أصبح بمرور الوقت ضحية لأكبر مشروعين في مصر حاليًّا: مشروع معامل التحاليل، ومشروع استوديوهات التحليل، تطل عليه إعلاناتهما بكثافة من كل مكان، يذهب إلى الأولى في الصباح في محاولة لأن يعرف لماذا أصبح يشعر أنه عجوز في هذه السن المبكرة، ومساءً تأتي إليه الثانية محملة بالعواجيز ليساعدوه في فهم ما الذي سيضيفه جدو للنادي الأهلي بعد التوقيع له.

أقلع رجل الشارع عن التدخين بعد أن وضعت له الحكومة على علب الدخان صورة موحية وتحذيرًا من الأثر السيِّئ للتدخين على العلاقة الزوجية. رجل الشارع غير متزوج (بس خاف على العدة). رجل الشارع لم يتزوج لا لأنه لم يجد فتاة ترضى به (بالعكس فتيات طبقته الاجتماعية يرحبن بأي عريس حتى لو كان عاطلًا عن العمل.. حتى وهن متأكدات أنهن سيتولين الإنفاق على البيت)، لكنه لم يتزوج لأنه يعرف جيدًا أن ابنه سيكون طفل شارع، وحتى توفر الحكومة حماية كافية لأطفال الشوارع يكتفي رجل الشارع بالمشاركة في حفلات التحرُّش الجماعي في المواسم

والأعياد، ومن حين لآخر يشارك في الاحتفال بالمنتخب، ليس فرحة به، ولكن من أجل تسييح البرشامتين في الدوشة.

رجل الشارع يُصدِّق كل ما يُقال له، ويُقدِّس كل من يظهر على شاشة التلفزيون، ويعتبره عدَّى خلاص، وإذا فكر في الاستغاثة بمسؤول كبير لن يأتي رئيس الجمهورية في باله، ولكن محمود سعد. له قدرة هائلة على التخفي والهروب، غدار وملوش ماسكة، ولا يخاف من ضباط الشرطة، لكنه يموت رعبًا من المخبرين، ولا يفهم معنى الفتنة الطائفية، فهو متعايش مع الجميع بلا دين بعد أن كفرته الحكومة، وإن كان يتظاهر بالتدين عندما يجيب على أي سؤال يوجه له (حتى لو كان عن اسمه) بتقديم المشيئة.

رجل الشارع يأكل الكثيرون عيشًا على قفاه، الحكومة تدعي أنها تعمل من أجله، والمعارضة تقول إنها تدافع عنه، ومراكز البحوث تقول إنها استطلعت رأيه، والفنانون يقولون إن رأيه أهم من رأي النقاد، والحقيقة أنه لو حد منهم شاف رجل الشارع في الشارع مش هيعرفه.



الحكي في رحاب برما عن عُقدة الطفولة

كان المشوار يبدو بسيطًا مثل بقية مشاوير الطفولة، عمر.. روح هات لنا الزبادي من عند بهجت، وبهجت صاحب محل البقالة الصغير الموجود على ناصية شارعنا اشتهر بشيئين، الأول: إنه يقف في المحل بالبيجاما، والثاني: إنه أفضل من يصنع الزبادي والجبن الأبيض الطازج منزليًّا. كانت هذه البضاعة سر شهرته ونجاحه في المدينة، لم تكن سوهاج وقتها قد عرفت الزبادي المصنَّع والمغلف أتوماتيكيًّا، كان يصنعه في علب بلاستيك بلا غطاء، وهنا تكمن الكارثة.

المسافة من منزلنا إلى المحل حوالي مائة متر، بالوقت أصبحت المائة متر الأصعب في مشوار حياتي، لم أعد يومًا بالزبادي سليمًا إلى المنزل.

في البداية كان الأمر يبدو استهتارًا طفوليًّا، أحمل أكواب الزبادي الملفوفة في ورقة جورنال، وبسبب الرعونة وطيش الطفولة كنت أسقط باللفة عندما يفاجئني الرصيف، أو عندما أتورط في محاولة لإحراز هدف بطوبة في منتصف الشارع بقذيفة بسن الحذاء فأشوط الأسفلت، أو أن يختل توازني في مدخل العمارة وخلاص.

عاقبني الأب في البداية بقرصة أذن خفيفة تصاعدت حدتها بمرور الوقت، ثم اختلطت بالتوبيخ الشديد لكوني غير قادر على تحمل المسؤولية رغم تفاهة الموقف في اعتقادي وقتها. حاولت أن أتنحى عن هذا الدور، وأن أكتفي مثلًا بشراء الخبز، لكن أهل البيت رفضوا وأصروا أن أكرر المشوار نفسه يوميًّا علشان أتعلم. وفي إحدى المرَّات كنت قد صعدت عدة درجات من السلم، ثم فوجئت بابن الجيران كعادة كل المصريين ينادي على أهله (علشان ينزلوا له السبت)، وفي عز حرصي وتركيزي الشديد وأنا أصعد السلم شق هذا السكون الهائل صوت جهوري: يا حاازيييييم، فانهرت تمامًا، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا ممسك بحازم أنهال عليه ضربًا وصفعًا: كده وقعت الزبادي؟ طراخ.. كده؟ ديب، وأصررت ألا أتركه قبل أن ينزل والدي ليكون شاهدًا على عدم تقصيري هذه المرَّة.

بعدها أذكر أنني سمعت أمي يومًا تقول لأبي باكية: الواد لازم يجيب الزبادي.. لازم ندي له فرصة ونشجعه.. الواد هيتعقد كده، فبدأت مرحلة جديدة مليئة بالتشجيع وبحلول أبي المبتكرة، في البداية أحضر صندوقًا بلاستيكيًّا أزرق اللون ما زلت أذكره حتى هذه اللحظة، وطلب مني أن أضع فيه علب الزبادي وأحمله بحرص، وكانت الخطة ناجحة حتى صدمتني درَّاجة أثناء عبوري الشارع. حاولت مرَّة أخرى وكانت شبه ناجحة، أذكر أن والدتي ووالدي كانا يقفان على بسطة السلم يراقبان الموقف ويشجعاني، نظرت إلى وجه أمي ورأيتها مبتسمة، شجعتني ابتسامتها فأسرعت قليلًا، فعلقت قدمي بإحدى درجات السلم، ولم أجد ما أحمي به وجهي سوى الصندوق البلاستيك فغطى الزبادي وجهي، سمعت أبي يقولها بصوت عالٍ: يووووووووه، أما أمي فقد هونت عليَّ الأمر.

منحاني إجازة أسبوع من هذا المشوار، وفي مرَّة كنت عائدًا أنا وأبي ومررنا بمحل بهجت، اشترى بعض المستلزمات، وفي حركة خبيثة عمل نفسه مشغولًا بحملها، وطلب مني أن أحمل الزبادي. كان أبي خلال هذا المشوار يلعب دورين: دور خبير الكوارث الذي يدرس الأمر ليعرف أسبابه، ودور الملّاح الذي يوجهني خلال الرحلة. ويبدو أنه اكتشف السر، حيث لم يكرر على مسامعي طوال الرحلة سوى جملة واحدة: ما تحطش وشك في الأرض وإنت ماشي. نجحت خطة أبي، ووصلت بالزبادي سالمًا، لم أدخل به إلى المطبخ، ولكن إلى حيث تجلس أمي، كنت سعيدًا ومنتشيًا للغاية، وكانت في عينيها فرحة ودموع ما، وكافأتني أنا وأبي بأن صنعت لنا صينية بيتزا.

أصبح بهجت ثريًّا، وحوَّل محل البقالة إلى محل لتجارة الذهب، صار يقف فيه مرتديًا بنطلونًا وقميصًا. أما أنا فقد أصبحت رجلًا لا يمتلك أي سبب للسعادة سوى أنه أقلع منذ زمن بعيد عن البص تحت رجليه.

☆ ☆ ☆

الحكي في رحاب برما عن بورتو مارينا

مارينا تعني الميناء، وبورتو مارينا التي زرتها للمرة الأولى في حياتي تعني ميناء الميناء، ودرسنا في اللغة العربية أن تكرار الكلمة يفيد التأكيد، والتكرار الحاصل في بورتو مارينا يؤكد على الفجوة التي سبق أن بدأت في مارينا.

لا أعرف لماذا لا يشعر المرء بالراحة في الأماكن التي يتطلب دخولها العبور عبر بوابة أمن إلكترونية، تلك الأماكن التي لا تشبه المرء، ويزورها من باب الفضول أو لكسر الحاجز النفسي بينه وبينها، ومع ذلك فلا يشعر بالراحة في أماكن من المفترض أنها قد شيدت لهذا الغرض (الراحة والرفاهية).

في ميناء الميناء ألتفت حولي فأجد المكان قد بسط نفوذه على أرواح مرتاديه وليس العكس. حالة من التوجس والكبرياء المزيفة والافتعال تسيطر على أداء معظم من بالمكان، بدءًا من العاملين بالمحلات والمطاعم الذين يبتسمون في وجهك بطريقة تعني أنهم يتقاضون رواتب كبيرة، لأن المكان أسعاره مرتفعة، ويستعينون في حوارهم معك بكلمات إنجليزية ينطقونها بطريقة خاطئة، مرورًا بأصحاب المكان الذين يبذلون جهدًا ما ليبدوا مختلفين عن الضيوف العابرين الذين لن يقووا يومًا على امتلاك شبر في هذا المكان، نهاية بالضيوف الذين يحاولون إيهام أنفسهم طوال الوقت أنهم أفضل من أصحاب المكان. معظمنا ينظر للأثرياء ـ بلاش معظمنا عشان محدش يزعل ـ أنا شخصيًّا أنظر للأثرياء على أنهم في محنة واختبار من الله، المال ابتلاء أقوى من الفقر في رأيي، والستر هو تمام النعمة، فالقلق يبدأ مع أول جنيه زائد عن الحاجة، ولأنها مستورة أشعر باستقرار نفسي كبير، فلا أموال كثيرة تورطك في نمط حياة لا يمكنك التراجع عنه، لأنك سترى هذا التراجع فضيحة لن تقوى عليها نفسيًّا، فتلهث في سبيل تفادي هذه الإهانة لهاثًا قد يورطك في خطأ ما، ولا فقر مدقعًا قد يقودك إلى المصير نفسه.

أحمد الله على نعمة الستر، ومثل كثيرين أقلق حيال أشياء كثيرة في حياتي، لكنني لا أقلق أبدًا بخصوص الرزق تحديدًا، وهذا ليس مدحًا، وليس تواكلًا أيضًا، لكنه يقين ناتج عن خبرة. كان حجر الأساس في هذه الخبرة سؤالًا عابرًا وجهته لجدتي وأنا طفل، سألتها: هوَّ ربنا بيشتغل إيه؟، فقالت لي بدون تفكير: بيرزق الناس يا حبيبي، وهكذا فهمت الدرس الأول. وبعدها وحتى لحظة كتابة هذه السطور كانت الخبرة تتراكم، أضع خطة لكسب بعض الأموال عن طريق القيام بعمل ما، وتفشل الخطة في الوقت الذي تصلني فيه أموال أكثر من عمل آخر لم يكن في حساباتي. أتورط في التزام ما بدون أي أرصدة حالية أو متوقعة، ولكن بمرور الوقت تصل المعونة، لذلك أفرح دائمًا بدعوة: ربنا يسدد ما عليك، لأن الواقع وحسابات العقل يقولان إنني لن أقوى على ذلك، لكن الحقيقة أن ربنا شايف شغله كويس جدًّا.. له الحمد والشكر.

خرجت من المكان دون مشاعر محددة سوى شعور بأن هذا المكان لا يخصني، كنت أفكر في أن هناك طريقة ما للحياة في بلدنا لا تشبه الطريقة التي أعيش بها

حياتي، وأكدت لي أم كلثوم هذا الخاطر عندما انبعث صوتها من راديو السيارة فور تشغيلها قائلًا: للناس دنيتهم وإحنا لينا دنيتنا.

اتصل بي صديق موجود في الساحل بالصدفة، وسألني: أين أنت؟، فقلت له: أنا في ميناء الميناء، فلم يفهم، فقلت له: أنا في بورتو مارينا، طلب مني أن أمر لزيارته، فسألته: إنت نازل فين؟، فقال لي: في قرية العاهرة الخضراء، لم أفهم، فقال لي: أنا نازل في جرين بيتش.



الحكي في رحاب برما عن رحلة سانت كاترين

(1)

أثناء سيري ذهابًا وإيابًا في وادي الراحة المقدس في سانت كاترين، كنت أشعر أن هناك شيء مش مضبوط.

بعد يومين من التوحد مع جبال الوادي اكتشفت أني لو كنت أمتلك اختيار الشكل الذي أعيش به على كوكب الأرض لاخترت أن أكون جبلًا. الجبل هو أكثر كيان ساخر على وجه الأرض، لأنه يطل على المشهد من أعلى دائمًا.

السحب أيضًا تطل من أعلى، لكنها دائمة الحركة بنزق طفولي، الأمر الذي يجعل سخريتها محملة بقدر من الخفة. الجبل ثابت في مكانه إلى الأبد، الأمر الذي يجعل سخريته مغلفة بحزن ما.

الجبل هو الكيان الوحيد الذي تجلى الله عليه فخر ساجدًا. رأيت بعيني جبل الدكة الذي حصل على هذا الشرف بإطلالته الغامضة على الدير. جبل رمادي اللون بعكس كل الجبال المحيطة به، تبدو حجارته ككتل من الرماد المتكلس، وفوقه بنى أحد الرهبان منذ زمن بعيد قلاية ليتعبد بها، يقال إنه لا أحد تحمل أن يمكث بها وقتًا طويلًا، إذا كان الجبل نفسه لم يتحمل إطلالة من نور الله، خر الجبل ساجدًا في كوكب به كثيرون قلوبهم أكثر قسوة من الحجارة.

الجبال أذكى مخلوقات الله. يفخر الإنسان بعقله فماذا فعل له عقله؟! حجبه عن معرفة الله معرفة حقة، جعله يطمع في الحياة، وفي أن يحمل أمانتها، في حين اعتذرت الجبال بكل أدب وذكاء عن قبول المهمة، فهي تعرف حقيقة قدراتها جيدًا، بينما قبلها الإنسان لأنه كان بشهادة الله ظلومًا جهولًا.

الجبال هنا على الأرض في أصعب مهمة ربانية على الإطلاق، موجودة لتحفظ لنا توازننا، موجودة كرواسٍ وأساسات تحمينا من أن تميد الأرض بنا. كلف الإنسان بتعمير الأرض، يعمر الإنسان مهما يعمر لكن لا أمان للعمار الذي ابتدعه إلا بثبات الجبال. مهمة الجبال هي الأرقى والأصعب. تمطر السحب، ويفيض البحر بخيراته، وتطرح الأرض ثمارها، لكن ما لم تحفظ الجبال للأرض توازنها فلن يكون هناك معنى لأي شيء على الكوكب. هل أبالغ إذا قلت إن ثمة شبهًا بين الجبال والأنبياء؟ هل ستعتبره تلخيصًا مخلًا لمهمة الأنبياء إذا قلت إنهم مبعوثون أيضًا ليحفظوا للأرض توازنها؟

تزهو الجبال بتجاعيد ملايين السنين المنحوتة على وجهها، وتتراص إلى جوار بعضها كأنها تلتقط صورة تذكارية حميمة وتلقائية مثل التي كنا نلتقطها صغارًا مع شلة المدرسة، القصير في المقدمة والطويل في الخلف، هذا يفرد ذراعه بالعرض محتضنًا اثنين من أصدقائه الأقل حجمًا، وهذا يقف في أقصى ركن من الصورة شاخصًا غير مهتم بما يجري، وفي الخلفية دائمًا واحد يطل علينا عبر الصورة وإلى الأبد بوجهه فقط.

في وادي الراحة اكتشفت أن الحزن على الراحلين يكبر في القلب كالجبل، ربما هذا ما يمنحنا رغم الوجع بعض الثبات.

عندما زار الشيخ الشعراوي وادي الراحة أصر أن يخلع نعليه، فقد كان أمرًا إلهيًّا لسيدنا موسى بأن يخلع نعليه لأنه في الوادي المقدس طوى. قال لي أحد رهبان الدير هذه المعلومة في آخر يوم في الزيارة، وهنا فقط عرفت لماذا كنت أشعر بعدم الراحة أثناء سيري على الرغم من حذائي الرياضي المريح.

(2)

عندما سمع رهبان الدير أن أحد الخلفاء الفاطميين وجنوده في الطريق إلى المكان خافوا أن يهدم الدير، وقضوا ليلة بائسة يفكرون في الموضوع، لم يكن افتراض حسن النيات كافيًا في مثل هذا الموقف، وفجأة صاح أحدهم ليلًا: لن يستطيع أحد أن يهدم هذا الدير إذا بنينا داخله مسجدًا.

الإمكانات ضئيلة، والوقت ضيق، ظهرت فكرة جديدة أن يتم تحويل مطبخ الدير إلى مسجد، وأن يتم تحويل مدخنة المطبخ إلى مئذنة، وهو ما حدث بالفعل.

بعد انتهاء التجهيزات ظهرت مشكلة جديدة، الرهبان لا يعرفون اتجاه القبلة، فكان الحل أن يزود المسجد بقبلتين في اتجاهين مختلفين لعل الخليفة يغفر لهم أنهم اجتهدوا فأخطأوا في واحدة.

جاء الخليفة وصلى خارج المسجد أصلًا.

حمى المسجد المطبخ أقدم دير في المنطقة من أن يتعرض للضرر في أي وقت على يد المتعصبين. أمد الخليفة الدير بالحماية والدعم، ولم يفتش على صحة القبلة بالرغم من أن كلتا القبلتين كانتا في اتجاه خاطئ.

لن تستطيع أن تفهم ما الذي يحدث في كيمياء جسمك وأنت تقف في مكان تطل من كل زواياه نفحة نور. تقف في منتصف الدير، على مرمى البصر قمة جبل موسى، هنا أصبح سيدنا موسى كليم الله. بالقرب منك الشجرة المباركة التي قال سيدنا موسى لقومه إنه آنس نارًا عندها، الشجرة تتدلى فروعها بكثافة، وأخضر أوراقها يكاد ينطق، محاطة بكردون يمنع أحدًا من الاقتراب منها أو لمسها. قلت لأحد الرهبان: أريد أن أقطف ورقة منها لأحتفظ بها، فقال لي: صدقني ممنوع. كان الناس قديمًا يقطفون منها أوراقًا وأجزاءً من الساق لإعادة زراعتها، لكن كل المحاولات باءت بالفشل، فهي لا تنمو إلا داخل الدير. لأرباب الديانة اليهودية نصيب في المكان.

تنظر لأعلى فترى غرف الدير الذي استيقظ أحد رهبانه اليونانيين في ليلة فرحًا بعد أن دلته القديسة كاترين على مكان رفاتها التي احتاروا في البحث عنها، فجمعها ووضعها في تابوت ما زالت رائحة الطيب تفوح منه حتى اليوم. القديسة كاترين آمنت بالمسيحية في عز اضطهاد الإمبراطور مكسيمينوس للمسيحية، وحرض عليها أكثر من 50 شخصًا ليخطبوها فيستريح من صداعها، لكن الخمسين خطيبًا اعتنقوا المسيحية. لأرباب الديانة المسيحية نصيب في المكان.

أما الوادي الذي يحتضن هذه النفحات، فقد كرمه الله بأن ذكره في القرآن، وجاء ذكره مصحوبًا بمنحه قداسة أجبرت كليم الله على خلع نعليه احترامًا لها. للمسلمين أيضًا نصيب في المكان.

عند خروجي من المكان اقترب مني أحد الأشخاص العاملين في الدير، ووضع في يدي ورقة شجر شبه محنطة في غلاف بلاستيكي محكم، وقال لي: ورقة الشجرة التي كنت ستقطفها كانت ستذبل سريعًا بين دفتي واحد من كتبك، لكن هذه الورقة المقدسة ستعيش معك إلى الأبد هدية من الدير. تلفت فرأيت الراهب يقف بعيدًا وعلى وجهه ابتسامة.

في الليل كنا فوق جبل الأكولوج، حيث اللاءات الثلاثة: لا كهرباء. لا شبكة محمول. لا أحد. من السذاجة أن أصف لك مشهد الجبال والسماء الصافية والنجوم والقمر والصمت الموحي، أنا شخصيًّا لم أصدق ما أعيشه، كانت الأجواء تدعوك لما بعد التأمل، التعبد ربما؟ قررت أن أصلي في هذا المكان، توضأت ثم تذكرت رهبان الدير، كيف تكون القبلة في حضن الليل وهذه الجبال؟

لاحظ البدوي المرافق لنا حيرتي، فعلمني شيئًا مفيدًا: في أي مكان في العالم.. شوف الناحية اللي الشمس بتطلع منها فين واستقبلها بنص وشك الشمال.. وصلِّي.

(3)

على طول الطريق من شرم إلى سانت كاترين تنتشر الكمائن الأمنية، تدقق في البطاقات الشخصية للغرباء عن المنطقة، بعكس الطريق إذا قطعته بعرض سيناء لزيارة بيوت البدو ومزارعهم مارًّا بمدقات وعرة وخادعة تحتاج إلى جني ليحفظها ويكون على علم باختبارات الذكاء المتكررة طول هذا الطريق بين الرمال وأقزام الهضاب. المفارقة ذكرتني بصديق اصطحب زوجته لزيارة من هذا النوع، وهناك فقدت الزوجة خاتم الزواج باهظ الثمن، ذهب بعدها الزوج إلى قسم الشرطة الموجود في المدينة ليحرر بلاغًا طالبًا من مأمور القسم أن يعيدوا إليه خاتمًا هو ثروة في حد ذاته، فقال له المأمور: إذا كنا مش عارفين ندخل نجيب بني آدمين من جوه.. عايزنا نجيبلك خاتم؟!.

طلبت من المرافق أن يؤمن لي مشاهدة ماتش الزمالك وسموحة في المكان الذي سنزوره، فقال لي لا تقلق، عندها فقط شعرت بالقلق. وعندما وصلنا إلى مزرعة الشيخ جميل كان المكان ساحرًا لكن بلا كهرباء، طلب منا الشيخ جميل أن نتوجه إلى منزل شقيقه على بعد نصف ساعة لنشاهد الماتش عنده: بس عدوا عليه في المزرعة الأول. مررنا بالشيخ عامر الذي قال: بس مفيش ماتشات للزمالك النهارده. أكدت له المعلومة، فقال:

صدقني مفيش.. الزمالك كان بيلعب من يومين.. حتى بالأمارة اتعادل مع الجونة. مداخلة الشيخ عامر ألجمت لساني، فلا مجال للهرب من المعايرة بضياع النقاط حتى في قلب الصحراء.

أخرج لنا الشيخ عامر الشاشة الديجيتال في حوش المنزل المطل على الجبال، ووضعها فوق طشت نحاسي، وفرش لنا أكثر من كليم. كان أجمل مكان شاهدت فيه مباراة في حياتي. عدنا إلى كرمة الشيخ جميل بعدها، لنقضي الليلة نتحدث عن مزرعة الأعشاب التي يفد إليها كل فترة علماء مراكز البحوث للاستفادة من كنوز الطبيعة العلاجية.

قال لنا الشيخ جميل: تعلمنا من أجدادنا أن نسير في الصحراء خلف الأغنام والجمال، نحصد الأعشاب التي يأكلون منها، ونبتعد عن تلك التي يتجنبونها، فهم يتجنبون بالفطرة الأعشاب السامة أو المخدرة، أعشاب السكران كانت مصدر ثراء للبدو في الزمن البعيد، لأنها كانت المخدر المعتمد طبيًّا قبل ظهور البنج، أعشاب المسياسة عالجت كل آبائنا وجدودنا من السكر. أذكر شخصًا أحضره أهله إلى جدي، كان يعاني شللًا في أطرافه، بعد أن زاروا به كل الأطباء، كان الجد لا يعرف دواء لحالة الرجل، فطلب منهم أن يتركوه أسبوعًا في ضيافته والشفاء من عند الله، بعد طول تفكير أحضر الجد أحد الخرفان وذبحه، ثم أحضر كرشته ووضعها في إناء كبير فوق الحطب وتركها تغلي، كان مغلي الكرشة أخضر اللون، وكان الجد يقدم منه لضيفه، ثم يقوم بإضافة الماء لها من جديد، وهي مستمرة فوق الحطب

المشتعل، في نهاية الأسبوع كان المريض يقف على باب الخيمة في استقبال أهله وهو يستند إلى عصا، فرح الأهل وسألوا الجد عن السر، فقال: في أمعاء الخروف خلاصة كل أعشاب المكان، وفي أحد هذه الأعشاب كان دواء المريض، لكن أقسم بالله لا أعرف أي عشب منهم بالضبط هو الذي عالجه.

حكى لنا الشيخ جميل أن الاختلاط بالحضر أفسد بعضًا من حياة البدو، وقال: في اللحظة التي قرر فيها بدوي ما منذ زمن أن يضع السيراميك في أرضية منزله بدأ منحنى تميزنا في الهبوط. كنا في عزلة محببة إلى النفس قبل 67، كانت سيناء كلها محافظة واحدة يقع الكيان الإداري لها في العريش، وكانت شرم الشيخ صحراء، وكنا نغير مكان إقامتنا كل ثلاثة أشهر. أن تترك أرضًا ما ليأخذ كل ما فيها دورته الطبيعية لمدة تسعة أشهر، فهذا يعني خيرًا كثيرًا، في هذه الفترة تنمو الحشائش والأعشاب على مهل، وتتجدد التربة، وتفيض عيون الآبار من جديد، فكانت حياتنا رغدة.

أهدانا الشيخ جميل في النهاية تشكيلة من أعشاب البر ابنة مزارع الطبيعة، ما زالت رائحتها تعبق المنزل حتى هذه اللحظة: بعض الحبق الذي يمنح طعم كوب الشاي أبعادًا جديدة، وبعض الروزماريا التي يُبعد كوب منها عنك الأرق ويجلب لك أحلامًا سعيدة، وبعض المرماريه التي تجعل المعدة قادرة على هضم فردة حذاء أديداس.

بعد ثلاثة أيام في هذا المكان شعرت بتغيير ما بداخلي، خلطة من الهدوء النفسي، والرغبة في التسامح مع آلامك واضطراباتك النفسية. كان طريق العودة مليئًا بالشرود والصمت، وتأمل أفكار تتبدل بداخلك. أوقفنا كمين، ودقق أمين الشرطة النظر إليَّ ثم قال لي: أنا حاسس إني أعرفك.. حضرتك بتطلع في التلفزيون؟، قلت له: نعم، فقال لي: طيب ممكن نتشرف بالاسم؟، كان شريط الرحلة يمر أمام عيني سريعًا قبل أن أبتسم له بثقة قائلًا: حمدي قنديل.

☆ ☆ ☆

الحكي في رحاب برما عن الشوك

أعرف أن الملك هنري ملك فرنسا كان رقيقًا لدرجة تجعله يأنف من أن يمسك الطعام بيديه، فاخترع له مهرج القصر الشوكة، فأصبح هو أول من استخدمها، لكنني لا أعرف من الذي جعل الإتيكيت أن يمسك الشخص الشوكة بيسراه ليلتهم بها الطعام، أغلب الظن أنه ليس مسلمًا، وبالتالي فهو لا يعرف وصية النبي صلى الله عليه وسلم: كُل بيَمينِك. والموضوع ليس له علاقة بالديانات، فالشيطان عابر للأديان، والثابت في مخيلتنا أن عدة عمل الشيطان هي الشوكة، ومع ذلك فقد أصبحت دليلًا على أنك تجلس إلى مائدة طعام راقية مجبرًا على التهام طعامك بيسراك حتى لا تهتز صورتك أمام الآخرين. القنفذ أيضًا يحافظ على صورته باستخدام الشوك، لكن القنفذ لا يستخدم شوكة واحدة بيسراه، بل يتكور ككتلة من الشوك مستفيدًا من الفرق الرئيسي بينه وبين الإنسان، وهو أنه بدون رقبة. أشواك القنفذ قصيرة وغير حادة، لكنه يُحكم إغلاق سترته بشكل قد يقود الثعبان الضخم إلى الجنون إذا ما التقط القنفذ طرف ذيل الثعبان وأغلق عليه سترة الشوك. لم يستفد القنفذ شيئًا من وجوده مع الإنسان على كوكب واحد، لكن الإنسان استفاد كثيرًا، إذ تعلم من القنفذ نظرية جديدة في الحماية اسمها: الأسلاك الشائكة.

أنا متأكد تمامًا من أن الشوك يحمي القنفذ مثلما يحمي الصبَّار الذي حكم عليه القدر أن ينمو في مناطق صحراوية عُرضة للفئران الجبلية التي قد تلتهم عروق الخشب، لكنها لا تقوى على الاقتراب من الصبَّار وثماره التي يجمعها الصبية ويقشرونها لك بمنتهى السهولة على الكورنيش لتلتهمها وأنت متحرر من أهمية استخدام الشوكة، لكنني لا أستطيع أن أحدد العلاقة بين الورد والشوك، ولا أعرف هل ظهر الشوك في مرحلة لاحقة ليحمي الوردة، أم أن الشوك هو الأصل والوردة مجرد كمين؟

لا توجد حقيقة ثابتة بخلاف أن النخاع الشوكي لا يوجد به أي شوك، لكنه مسؤول عن أن يجعلك تشعر بالألم عندما تدخل شوكة في قدمك، وينبهك إلى خطورة الإمساك بقنفذ، أو خوض تجربة تقشير حبة تين شوكي بنفسك، بخلاف أنه يعطي أمرًا مباشرًا للمخ يجعلك عندما ترى شوكة على المائدة تلتقطها بيسراك، لكنه لا يستطيع أن ينبهك إلى تسلل ديدان البلهارسيا إلى معدتك، تلك الديدان التي قد تعتقد أنه يسهل التخلص منها مع الفضلات أو عبر الأدوية الملينة، رزقها الله شوكتين تغرزهما في جدار المعدة لتتشبث بها، ومع كل حركة لها بالداخل يحدث النزيف المعروف.

يلعب الشوك دورًا في المظهر والجوهر والدفاع عن النفس والفلسفة، والدفء أحيانًا، فلا يوجد باعث على الدفء في العالم كله أقوى من أشواك أرخص بطانية في العالم، بطانية صوف العسكري، وهي تصلح للعزَّاب أكثر من المتزوجين، فالزوجة يكفيها شوك زوجها الكسول الذي نادرًا ما يحترم شكواها (دقنك بتشوكني!).

هذه الزوجة التي تشكو من أشواك ذقن زوجها من المؤكد أنها تعرف عبد الحليم حافظ، وأنا هنا لا أتحدث عن حليم الذي مشى على الأشواك لحد أحبابه.. لا عرفوا إيه وداه ولا عرفوا إيه جابه، وهي كلمات الأبنودي، لكنني أتحدث عن حليم الذي مشى على الأشواك وجعلته أشواك البلهارسيا ينزف بقوة، وفي إحدى نوبات النزيف كان يقف على واحد من أهم مسارح لندن ليقدم لأول مرَّة أغنية وطنية من كلمات الأبنودي أيضًا عن القدس وعن تاج المسيح قائلًا: تاج الشوك فوق جبينه وفوق كتفه الصليب.. دلوقتِ يا قُدس ابنك زي المسيح غريب.. وهذه شوكة أخرى.

☆ ☆ ☆

الحكي في رحاب برما عن كرم ضيافة سيدنا النبي

صليت الجمعة الماضية إلى جوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم. أحافظ على صلاتي، لكنني منذ فترة أصلي الجمعة في البيت لا لكسل ولكن الاختلاط بنوعيات غريبة من الناس في زحام الجمعة غالبًا ما يفسد صلاتي لاستغراقي في تأملهم. هؤلاء الذين لا يتوقفون عن العبث بجيوبهم للتأكد من وجود المفاتيح، رنات الموبايل الفاضحة، نشاز الأئمة وما يحدثه من تلوث روحاني، آخر مرَّة صليت فيها الجمعة في المسجد مددت يدي بعد الصلاة لأصافح جاري، لكنه امتنع عن المصافحة قائلًا: إنها لم ترد في السنة، فسألته: يعني كسفة إيد ممدودا لك بالسلام هي اللي وردت؟.

كل فترة أشعر أن هذه المبررات ضعيفة ومخزية وغير مقنعة، فأصطحب سجادتي وأستقر في أبعد نقطة محاولًا تعويض سذاجة الخطيب بالإكثار من الاستغفار والتسبيح، هذه المرَّة صليت إلى جوار آلاف الهنود والجنوب شرق آسيويين، وكنت سعيدًا منصتًا وفي قمة تركيزي، ومسحورًا برقة الحذيفي إمام المسجد.

في الطريق إلى المدينة كان قائد السيارة يقود بسرعة 180 كيلومترًا في الساعة كي نلحق بالصلاة، فانفجر إطار السيارة، قال السائق: كان منطقيًّا أن تنقلب بنا السيارة عدة مرات، قلت له: إننا نقطع هذا الطريق لنزور النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أقل واجب ضيافة قد يقدمه لنا. نزلت لأساعده في تغيير الإطار، كانت الشمس قاسية وكانت أشعتها المنعكسة على الجبال تكاد أن تذهب ببصري، لم يتحمل الإطار الفاخر سخونة الأرض لمدة ثلاث ساعاتٍ متواصلة، وأرهقتني الساعات الأربع بين اليقظة والنوم في سيارة مكيفة، وكدت أُصاب بضربة شمس عندما نزلت منها لمدة 3 دقائق. بالنسبة لي عادي، ولكن السؤال كيف قطع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطريق سيرًا على الأقدام في عشرة أيام؟

فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان طبيعيًّا أن ترى عشرات الآلاف من مختلف الجنسيات، معظمهم لا يعرفون اللغة العربية، يتصارعون للفوز بِصلاة ركعتين في الروضة الشريفة، كنت فيما قبل أردِّد كالببغاء: أدى الرسالة، وبلَّغ الأمانة، ونصح الأمة، اليوم أقولها وملء قلبي اليقين، وشُفت بعيني إنه أدى الرسالة فعلًا.

كان كرم الضيافة كبيرًا، كان زمن الزيارة ساعتين قبل العودة إلى مكة، كنت أعرف أنني سأخوض مهمة حربية لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصلاة ركعتين في الروضة الشريفة، هناك من يقضون أيامًا في المدينة قبل أن يفوزوا بهذا الشرف، لكنني ومنذ أن وطأت قدماي أرض الحرم النبوي حتى وجدتني أقول بشكل لاإرادي مخاطبًا سيدي النبي صلى الله عليه وسلم: سيدي وصالك.. زاد عليَّ حنيني، وكان سيدي كريمًا في وصاله، فصليت بالقرب من قبره، ثم قمت فوجدت

الأمن يزيل في اللحظة نفسها الحاجز الذي يحيط بالروضة، وجدتني مدفوعًا لأستقر أمام منبره، صليت حيث لا أحد يقطع صلاتك بالمرور أمامك، ثم دفعني الزحام المنساب ببطء من جديد لزيارة قبره، وقبر الكبار: أبو بكر، وعمر. توقفت حيث لا فرصة للتوقف وسط طوفان البشر الهادر، لكنني فعلتها. مرت أمامي مشاهد كثيرة: صوت من الطفولة يغني: ميتى أشوفك يا نبي يا اللي بلادك بعيدة، قريبتي وهي تحكي لزوجة البواب المفرطة في السذاجة والطيبة قائلة إنها زارت المدينة، وزارت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فلطمت زوجة البواب على صدرها في دهشة وذهول قائلة: هوَّ النبي مات؟!، مشهد سيدنا علي وهو يغسل جسد النبي صلى الله عليه وسلم بمعاونة أسامة بن زيد والعباس بن عبد المطلب، مشهد سيدنا عمر وهو يشهر سيفه متوعدًا من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم مات، لأنه لم يصدق، مشاهد كثيرة لمداخل بيوت أقاربي وجيراني في الصعيد وقد زُيِّنت برسوم لطائرة أو باخرة وأسفلها حج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث: مَن زار قَبري وَجَبتْ له شَفاعَتي، إلى أن جرفتني الأمواج باتجاه باب الخروج.

كان كرم الضيافة أكبر من الوصف، خرجت وقد أصبح مقاس روحي إكس إكس لارج بعد سنوات في مصر وهي تتراوح ما بين ميديم وسمول. خرجت فرحًا لا أشعر بأي خوف من الآخرة، بالعكس أصبحت أشعر بالخوف من الدنيا التي قد تُبدد هذه الأنوار. وفي طريق العودة كنت شاردًا مع القمر الذي اكتمل فأنار ظلام الصحراء وانساب نوره على الجبال، كانت رفقة القمر أشبه بالطبطبة، كانت امتدادًا لكرم الضيافة ورقة وصال سيدي النبي صلى الله عليه وسلم. لاحظ السائق انجذابي، فسألني إن كنت سأؤدي عمرة ثانية عند العودة إلى مكة، ابتسمت وهززت رأسي بالموافقة: طبعًا، فقال لي: عمرة نُص رجب.

نسيت من أنا خلال الساعات القليلة التي قضيتها بين مكة والمدينة، نسيت أنه لا طيران من القاهرة إلى المدينة، وأنني لا بد أن أخرج من بيتي في وسط المدينة مُحرمًا. نسيت تعليقات الأصدقاء المصريين السكر الذين قالوا لي: ما بتفكرش تحط خطين حمر بعرض لبس الإحرام؟!. نسيت برد الطائرة القارس الذي حطم ضلوعي. نسيت الأقلام التي انهالت على قفايا وعلى وجهي من كل صوب وأنا أشق طريقي باتجاه الحجر الأسود.

نسيت طقطقة مفصل الفخذ أثناء السعي. نسيت أن أعلق لمرافقي على كون صنفين فقط يحصلان على امتياز ما في العمرة والحج هما الرؤساء وأصحاب الاحتياجات الخاصة (الفرق أن الفئة الأخيرة هناك أمل في شفائها).

نسيت حقائبي التي تأخرت بالساعات في المطار. كنت متوحدًا تمامًا، ولا أرى إلا الأنوار في كل مكان.

المرَّة الوحيدة التي فصلت فيها لمدة ثوانٍ عندما وقف إلى جواري أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم رجل مصري بسيط كبير في السن، كان هادئًا، ووجهه مريحًا، ويبدو أنه لم يدرِ ماذا يجب أن يقول لساكن القبر، فرفع يده ملوحًا بالتحية وكله خشوع وصدق قائلًا: باشا.



الحكي في رحاب برما عن السعادة

أن تفتح الراديو بالصدفة فتجد أغنية تحبها في أولها: اتعودت عليك يا حبيبي.. شادية. أن تتسلل إلى البلكونة في ليلة حارة هاربًا من الأرق، فتهب عليك نسمة رقيقة خفيفة الظل بها رائحة من ليالي الحب الأول تجعلك تأخذ نفسًا عميقًا وتخرجه مصحوبًا بلفظ الجلالة. أن تلبي طلبًا بسيطًا لأمك: ناولني كوباية ميه، تناولها كوب الماء المشبر فتهبدك دعوة صادقة: ربنا يبل ريقك ويسعد قلبك. أن تصحو فتجد زوجتك في المطبخ تاركة طفلتك نائمة إلى جوارك، تفتح عينيك فتفتح البنت عينيها في اللحظة نفسها، ثم تبتسم فجأة في وجهك. أن تتوقف عند عربية الفول في اللحظة نفسها التي يصل فيها الولد بالخبز الطازج الساخن على دراجته. أن يفوتك المترو فتجد الذي يليه رائقًا للدرجة التي تجعلك تجلس إلى جوار النافذة. أن تقابل أبو تريكة صدفة في الشارع. أن تشعر بالوحدة فتفتح التلفزيون فتجد مسرحية العيال كبرت. أن تكون جالسًا مع أقرب قريب لك تسترجعان أيام الطفولة في بيت العائلة فينقطع التيار الكهربائي. أن تصلي الفجر في المسجد المجاور لمنزلك، ثم تضع السماعات في أذنيك وتمشي قليلًا لتستقبل أولى درجات النور على أنغام الموسيقى وطبطبة الهواء النظيف على شُعبك الهوائية. أن تعرف مصادفة أن هناك شخصًا يحبك من زمان من بعيد دون أن يخبرك أبدًا. أن تفتح حظك اليوم في نهاية اليوم فتجده يعطيك مبررًا مريحًا لهذا اليوم الفاكس بأن الشمس ليست في مجالك اليوم، مبرر فاكس أيضًا، لكنه يجعلك تلتقط أنفاسك وتستريح. أن تصل مقر عملك بسيارتك فتجد مكانًا بدون مشقة بدون سايس بدون ما تسيب المفاتيح بيقولك: اركن. أن يرتمي شخص تحبه في حضنك بلا مبرر وبلا مقدمات. أن تخطف ساعة نوم الضهرية فتصحو وقد زال عنك بلا سبب الصداع الذي أفسد نهارك. أن تجد نفسك خرمان بعد منتصف الليل وعلبة سجائرك فارغة، تقلب العلب المتناثرة هنا وهناك فتجد بالصدفة سيجارة وحيدة في واحدة منها. أن تدخل الحمَّام وأنت مستعجل فتجد في الداخل مصادفة جريدة قديمة تؤنس وحدتك. أن تصحو براحتك يوم إجازة أكتوبر فتسمع قادمًا من الصالة صوت وردة تغني في التلفزيون:

حلوة بلادي. أن تنجح في إصلاح حنفية المطبخ اللي بتنقط بقالها يومين دون أن تستعين بسباك. أن تخرج البالطو من الدولاب في بداية الشتاء فتجد في جيبه ورقة بعشرة جنيهات. أن تجد صديقًا من أيام الدراسة على الفيس بوك (الفيس بوك يساعدك على التواصل مع كل حبايبك من أيام الجيزة). أن تخرج من بيتك متأخرًا دون أن تحلق ذقنك فيقابلك أول شخص بأن يقول لك: دقنك حلوة وهيَّ طويلة. أن تفكر في شخص ما فتجده يتصل بك، أو تتصل بشخص فيقول لك: فيك شيء لله، كنت على بالي. أن يستعيد اللاعب الذي تحبه مستواه ويحرز هدفًا جميلًا. أن تجد وسط كراكيب البيت شهادة تخرجك من الحضانة وبها صورتك وأنت طفل، وجملة تعبر عن تقييم مدير الحضانة لشخصيتك: سريع البديهة ومتعاون مع أصدقائه، فتكتشف أنك لم تفقد بعد ما كان يميز طفولتك.

كنت أكتب مقالًا يوميًّا اسمه منتهى السعادة، فسألني برما عن تعريفي للسعادة. أرجو أن أكون قد أجبت.

☆ ☆ ☆

الكلاب لا تأكل الشيكولاتة

حكايات برما

إصدار عام 2012

إهداء

إلى روح محمد همَّام.

قبل أن ينفرد بالكتاب يشتري الشيكولاتة التي يحبها من أون ذا رن، مع كوب كبير من الأمريكان كوفي بدون لبن، ويجلس على أقصر سور مُطل على النيل، يستمتع بمزيج القهوة والشيكولاتة، ويتمنى لو أن كل الاختراعات في العالم لها مثل هذا الطعم. يذوب في المزيج وهو يقول لنفسه: إن كل اختراعات البشرية مجتمعة لا توازي عبقرية اللحظة التي خلق الله فيها شجرتي الكاكاو والبُن، بل إن البشرية يمكنها أن تكتفي بهما فتُخرج منهما الطاقة والطعام، وتبني بخشب أشجار الكاكاو بيوتًا عظيمة، وتصنع من زبدته ما يكفي من دهن لإشعال مئات آلاف القناديل، وتداوي بالكافيين الموجود في البُن أرق الروح وحزنها، سيكون حساء الكاكاو رفيقًا مدهشًا في عشاء الأيام الباردة، وستكون حبات البُن الخضراء شهية عندما تنضج على النار مع لحم الطيور، سيغرق العالم في يقظة البُن وبهجة الشيكولاتة، وهكذا يمكن أن يتفرَّغ على أكمل وجه للمهمة الأصلية له على الأرض.. العبادة.

☆ ☆ ☆

برما ضد التأجيل

قال برما:

ولأنك تنسى أحيانًا أن الحياة ليست عينة مجانية، إذا أعجبتك يمكنك الحصول على واحدة كاملة، تهدر أيامك وأنت مختبئ خلف كومة من القرارات المؤجلة. ولأنك لا تصدق أن الحياة اتجاه واحد، تعتقد أنك تستطيع متى أردت أن تعود خطوة إلى الخلف لتعويض ما فاتك.

لماذا تعتمد التأجيل كأسلوب حياة؟ طالما اتخذت قرارًا فلا تتردد. من يريد أن يتعلم العوم، فعليه أن يلقي بنفسه في البحر، السير بمحاذاة الشاطئ يصنع فلاسفة، لكن الإبحار هو الذي يصنع قصة حياتك.

تؤجل ممارسة الرياضة وتكتفي بخيالات عن نفسك وأنت في الجيم تعوض كل ما فاتك، ترفع في خيالك أثقالًا، وتجري ساعات على الماكينة، وتتأمل نفسك في حدود ذهنك، تسير مجعوصًا ولا تامر هجرس، لديك ثقة زائفة أن اللحظة التي ستبدأ فيها ممارسة الرياضة سيختفي الكرش في خمس زيارات وينتهي النهجان وكرشة النَّفس خلال أيام، لا تعرف أن كل يوم يمر عليك تقل فيه قدرة جسدك على تحقيق هذه الهلاوس، والنتيجة أن لو ربنا فتح عليك ونفذت قرارك فعلًا ستصاب بإحباط من أول أو ثاني زيارة، لأن الهوة تزداد بمرور الوقت بين أحلامك والقدرة على تنفيذها، كان زمان يا بابا تلعب طول السنة في الجامعة وتذاكر قبل الامتحان بليلة فتخرج بـالجيد الذي يرضي غرورك، الزمن اتغير، لا التعليم هو التعليم ولا أنت كما كنت.

تؤجل زيارة طبيب متخصص يعلق خلفه شهادة حصل عليها من جامعة حقيقية، وتتعامل مع الأعراض المريبة التي تزورك من آنٍ لآخر، تعامل الحكومة مع الأزمات، تسكين للعارض دون علاج حقيقي للأزمة، تقول لنفسك:

ما دامت الأمور تحسنت فلا داعي لزيارة طبيب، وعندما تسوء مرَّة أخرى تعود ريما بكل بجاحة لعادتها القديمة.. تقول لنفسك: سأزور الطبيب، لكن مؤقتًا سأتصل بابن خالتي خريج التجارة الذي يعمل في وردية الليل في صيدلية سيف، ابن خالتك هيوديك في داهية صدقني، وتأجيل زيارة طبيب، لم يضيع من عمره سبع سنوات عشان تقول لابن خالتك يا دكتور، هو عمل لا معنى لتأجيله من منطق الكسل أو من منطق الخوف أو حتى من منطق أن كثيرًا من المصريين يتحملون أزمة قلبية ولا يذهبون لطبيب، لأن اللي يدور على الخراء هيلاقي، ولأن الزيارة قد تكشف عن بلاوي، ما طبيعي عندما تذهب إلى طبيب أن يكشف عن بلاوي فيعالجها.

تؤجل الاستقالة من العمل الذي يهدر عمرك، فلا أنت تحبه ولا هو يعوض غياب الحب بمقابل يجعلك تتحمل الكراهة اللي في الأركان، فتظل طول عمرك في الدولاب، متى ستعمل ما تحلم به؟ وإلى متى ستظل أسير القاعدة الساذجة حب ما

تعمل حتى تعمل ما تحب؟ لأ.. ادخل في الموضوع مباشرة، وشق طريقك نحو ما تحب، إن لم تفعلها وأنت في كامل لياقتك الذهنية والصحية فمتى إذن؟

تؤجل القراءة بانتظام، ربما كنت حريصًا على اقتناء الكتب (وهذا كرم أخلاق منك أشكرك عليه)، لكن انظر إلى مكتبتك وقل لي كم كتابًا لديك لسه بالسلوفانة؟ كم كتابًا في مكتبتك يعج بأوراق ملتصقة تحن إلى إصبعك الحيوان لكي يمر بينها بالطول ليفك التصاقها؟ تؤجل القراءة باعتبارها عملًا يحتاج إلى صفاء ذهني ومزاج، المفاجأة التي لن يخبرك بها ابن خالتك أن القراءة هي التي ستمنحك الصفاء الذهني والمزاج، وليس العكس.

تؤجل الإقلاع عن هدر الوقت والمزاج بين حسابات الفيس بوك وتويتر، كم مرَّة فكرت منذ امتلكت حسابًا هناك أن تغلقه ولو لفترة حتى تسترد عافيتك النفسية؟ أكاد أقسم أنك تأخذ هذا القرار خمس مرات في اليوم على الأقل والنتيجة أنك تنهار بمجرد أن تتورط في حوار يستدرجك حتى تنهار أعصابك وتبدأ ريالتك في تزيين الكيبورد. متى ستحصل على هذه الإجازة؟ ولماذا تبرر لنفسك أن ابتعادك عن هذا المجال سيبعدك عن الحياة وما يجري فيها، وأنت أصلًا بالنسبة لنفسك ولمن حولك من لحم ودم الحياة وما يجري فيها؟ (أهدي هذا المقطع بالذات لنفسي).

تؤجل الإقلاع عن التدخين (هذا المقطع أيضًا أهديه لنفسي) وبالمرَّة بقى تؤجل الإقلاع عن متابعة ماتشات الزمالك وخليها تخرب بقى، تؤجل حتى شراء حجارة جديدة لريموت التلفزيون.

قد أتفهم أحيانًا أن تؤجل قرارك بالاستفادة من التخفيضات الموسمية، رغم أنها عمل ممتع مهما كانت ضآلة شأن ما تبحث عنه. أن تؤجل التودد إلى جيرانك الجدد، إلى أن تقوم حريقة في شقتهم فتدخلها لأول مرَّة بس وهي مولعة. أن تؤجل السفر، لأنك فاشل في تنظيم وقتك. أن تؤجل صلاتك، لأنك تتعامل معها باعتبارها مواعين البيت التي ستغسلها كلها في نهاية اليوم مرَّة واحدة. أن تؤجل تجديد رخصة سيارتك، لأن العاقبة ستكون مجرد غرامة مالية. أن تؤجل عمل كشف نضارة جديد بعد أن صرت غير قادر على التفرقة بين معتز مطر ووائل الإبراشي ليقينك بأنك بمجرد ما تحط رجليك في عيادة العيون ستصلح كل ما فسد بشكة دبوس (وده مش عند ابن خالتك، ده عند خالتك نفسها).

أتفهم معظم ما سبق، فلا يوجد بيننا بشر يسيرون حسب الكتالوج، لأن الحقيقة أنه لا يوجد كتالوج أصلًا، وهذا المقال حاشا لله أن يكون نصيحة، فما الكاتب بأفضل حالًا من القارئ، ولكن أردت أن أصبِّح عليك وأذكِّرك أن كل واحد لديه الخيار أن يعيش الحياة أو أن يعيش الحياة ألف مرَّة، وإن كان في حياتك ثمة شيء يستحق التأجيل فليكن التأجيل نفسه.

☆ ☆ ☆

برما وابن صديقه

فتح باب الحمَّام إلا قليلًا، وأطل برأسه الصغير من الباب وقد تغضن كقنديل البحر من فرط الوقوف أسفل الدش، ثم صاح: شورت وأندر وير يا بابا.

كان بابا منهمكًا في قراءة النشرة الداخلية لدواء السكر الجديد الذي كتبه له الطبيب، لم يفهم شيئًا سوى ضرورة الاحتفاظ بقطعة من الحلوى في جيبه لمواجهة أي هبوط مفاجئ قد يسببه الدواء.

كان يكرر بشكل لاإرادي وهو يقلب الدولاب: شورت وأندر وير يا بابا.. شورت وأندر وير يا بابا. أخرجهما ومررهما عبر الباب لابنه، التقطهما الابن ثم صاح من الداخل: الاثنان أندر وير يا بابا.

كيف يشرح لطفله أنه قضى عمره يسميه كلوت، وأنه كان يسهل تمييزه من بين كل أنواع الملابس في العالم، بالأستك الذي انحسرت عنه خياطة التدكيكة، أو بمنفذ الفخذين الذي ترهل وصار يتكوم بسهولة تحت الجينز، بلون واحد لا يتغير، فإذا ما خرج عن الأبيض صار الأمر فيه إنَّ، كانت الألوان والأشكال التي تخرج عن المألوف من نصيب الغوغاء والسوقة، إذ كانوا يرتدون المايوهات الرخيصة كبديل عن الملابس الداخلية، اليوم انقلبت الآية وصار المتمسك بالأبيض القطني ساذجًا أو مغفلًا خارج سياق الزمن أو على أدنى تقدير فلاح.

أمام الدولاب كان يحاول أن يقيس قدراته على التمييز بين الأندر وير والشورت، قال لنفسه: كل شيء تغير، شريط عمرو دياب الجديد أصبح ألبوم عمرو الأخراني، والصديري أصبح فيست، الكومودينو أصبح كومود، والشفاطة أصبحت كلمة تثير الاشمئزاز بعد أن كانت علامة العز والتميز في مراهقته، وأصبح اسمها الآن شاليمو، صايع أصبحت أخيرًا كلمة مدح، لكنه يؤمن أنها ربت أجيالًا كانت على وشك الانحراف.. أجيالًا انصلب عودها خوفًا من أن تلقى هذا المصير: صايع، أي قسوة الآن في كلمة نوتي؟ وما المرجو من رجل يكبر وهو يتفادى أن يكون نوتي؟

انجز يا بابا.. صاح الولد من الحمَّام، بينما الأب مستغرقًا في خيالاته قائلًا في سره: يخرب بيت بابا يا شيخ. أمسك بطرف شورت مكتوب عليه أديداس، على أيامه من المؤكد أن أديداس تعني شورت، لكن لا شيء مضمونًا الآن، فهو يذكر جيدًا أن آخر طقم ملابس داخلية اشترته له زوجته كان مكتوبًا عليه كونكريت، بالضبط مثل الجاكيت الفخم الذي يذهب به إلى الاجتماعات المهمة، أين أيام مثلث الجيل؟ أين أيام كانت المثلثات هي النستو؟ اليوم كل ما يراه أمامه تنويعات على تيمة النستو، لكنها هي تحديدًا اختفت، بالضبط مثلما أصبح كل حذاء رياضي كوتشي، بينما لا كوتشي حقيقيًّا في السوق.

نحن في زمن المسخ على رأي وحيد حامد في يعقوبيان، قال لنفسه ثم فكر: ربما كان زمني أنا هو زمن المسخ، أنا الذي أضعت مراهقتي في تأمل الكشكول السلك

المزين بصورة سيلفستر ستالوني، وأضعت ريقي كله في لزق التيكيت الورق على الجلاد البُني، وأهدرت ساعات عمل الواجب في محاولة لمحو ما كتبه القلم الفرنساوي الجاف، كانت ورطة عظيمة.. في البداية كان الواحد يبلل طرف الأستيكة ويمحو برفق، وفي لحظة هياج مدرسي يقسو على الورقة فتتخرم منه، كم كراسة كانت تمتلئ برقع من هذه النوعية، يسأل نفسه الآن ماذا كان سيجري لو أنه شطب ما كتبه خطأ؟ الأبلة هتزعل؟ الأبلة لم تعد أبلة، والتختة صارت ديسك، والفصل صار كلاس، والواجب أصبح هوم ورك يتم حله وإرساله بالميل.

فجأة وجد ابنه يلف فوطة حول وسطه، ويمد يده يلتقط ما يبحث عنه بنفسه من الدولاب في صمت، وارتداه ثم قفز في السرير قائلًا بنبرة لا تخلو من تهكم: تصبح على خير يا بابا.

فكر أن هذا الولد يُشعره بأن عمره راح هدر. ابنه أخد دش (شاور) ثم ارتدى شورت ونام، هكذا ببساطة؟ طيب من يعوضه عن الأيام التي قضاها يستأذن فيها قبل دخول الحمَّام (ماما أنا داخل الحمَّام)، فإذا كان تلبية لنداء الطبيعة فلا مشاكل، أما الاستحمام فله إجراءات أخرى؟ من يعوضه عن الأيام التي قضاها مختنقًا بشوك البيجاما الكستور الشتوي بزرارها العلوي الذي ترك في رقبته علامة مثل زبيبة الصلاة؟ ابنه لديه تلفون يخصه لا يستطيع هو كأب أن يرفع سماعة خفية في أحد أركان البيت ليسترق السمع إلى جانب من المحادثة مفتعلًا صدفة مفضوحة. ابنه يضع قدميه عبر النت في أي مكان في العالم مطلعًا على كل ما فيه من حسن أو رديء، بينما كان هو يقضي الليالي يتجول في خرائط كتاب الأطلس الذي تسلمه في المدرسة محاولًا أن يتخيل شكل ساحل العاج التي تشتهر بإنتاج الكاكاو والماس. لا.. ليس الموضوع بسذاجة سنة الحياة والتغيير طبيعة، وكل هذا الهراء، إنه الظلم بعينه، فلا هو عاش طفولته ابن الطبيعة يجري عاريًا على شاطئ البحيرة، ولا هو عاش طفولته والعالم تحت يديه بكل أسراره. لقد عاش طفولة تليق بشخص كان يؤمن أن فريق الكشافة هو سقف التميز، فإن فاتك الانضمام إليه فعليك ألا تفوت الانضمام لفريق الشرطة المدرسية.

قال لنفسه: بس برضه كانت أيام جميلة، فقالت له نفسه: ده أنت اللي جميل.

عادت زوجته من الخارج، سألته عما يريده عشاءً، أخرج علبة الدواء وابتلع حباية، ثم قال لها: أنا ضربت واحد زنجر سوبريم مع خالد قبل ما ينام.

برما: مفيش حد ملوش لازمة!

قلت لبرما: هل تعتقد أن هناك ناسًا على الكوكب كمالة عدد؟

قال: مستحيل، كل شخص موجود هنا لا غنى عنه على عكس ما يبدو، قد تعتقد أن الحياة ستكون أجمل بدون هؤلاء الأشخاص، لكن أؤكد لك أنها كانت ستسير إلى الأسوأ بدونهم.

قلت له: مش فاهم.

قال: لولا الجار المؤذي ما فكرت يومًا في البحث عن سكن جديد وتغيير العتبة، الجار المؤذي موجود في الكوكب ليدفعك لعمل نقلة في حياتك ما كنت لتفكر فيها لولا وجوده. الناجح يلهمك، والفاشل أيضًا يلهمك ربما بدرجة أكبر. هناك نماذج بشرية تدفعك للأفضل بأن تتعلم منها ومن تجربتها وتقلدها، وهناك نماذج بشرية تدفعك للأفضل بأن تتعلم منها ألا تصبح مثلها أبدًا.

قلت له: ذكرتني بمقولة للخواجات: إذا لم تستطع أن تكون قدوة فلتكن عبرة.

قال: هوَّ كده بالضبط، كل شخص موجود في مكانه له دور حتى لو لم تفهمه في ساعتها. لا بد من وجود محمود المليجي حتى يصبح فريد شوقي ملك الترسو. لا بد من وجود الشخص المزعج الذي لا يرفع يده عن الكلاكس حتى تتعلم منه حسن إدارة دواسة الفرامل في سيارتك، فتزيد ثقتك في نفسك فلا تعيش حياتك مذعورًا مثل هذا الرجل. لا بد من وجود الشخص اللزج الزنَّان الذي يقول لك: مش هنرقص في فرحك بقى؟، بالرغم من أنه هو بالذات لا يغادر ترابيزته طول الفرح، لكن لولاه ولولا لزاجته ما كنت لتسعى لهذه الخطوة.

قلت له: والفقراء يا برما؟.

قال برما: الفقراء هم سر حركة الكون، النقَّاش الذي لا يعمل ما دام في جيبه عشرون جنيهًا، كيف كنا سنعيش بدونه ما لم تعوزه الحاجة للعمل؟ إحنا أصلًا كلنا بنشتغل عند بعض، الثري برأس المال والأقل ثراء بالجهد، تخيل لو الجميع لديهم طاقة جبارة للعمل اليدوي ولا أحد يمول هذه الطاقة ليحولها إلى ثمرات، أو أن الجميع أثرياء جدًّا، ستجد البشرية وقتها عبارة عن أشخاص بكروش يجلسون في الظل يعدون نقودهم ثم يلتهمونها من الجوع. لا بد من وجود ناس أقل منك حتى تحمد الله على ما أنت فيه، تحمده فيزيدك، ولا بد من وجود ناس أغنى منك حتى تحسدهم فيضيق بك الحال، فتحترم نفسك فتصبح شخصًا أكثر صفاءً فتحمد الله فيزيدك ربما أكثر من الذين كنت تحسدهم من قبل.

تنهد برما ثم قال: قد تبدو بعض الناس متعبة في التو واللحظة، لكنك ستتأكد لاحقًا من أهمية وجود كل شخص.

قلت له: والحاكم الظالم يا برما؟.

قال برما: الحاكم الظالم يمهد الأرض بظلمه لوصول الحاكم العادل، طب الكفار؟ عندك شك أن الكفار أصحاب نعمة كبيرة علينا؟ فلولا الكفار ما نزلت رسالة، ولا كنا شرفنا بالأنبياء. عودة لحياتنا اليومية، لا بد من شخص يركن صف ثاني ويشد التعشيقة ويحبسك لساعتين أو أكثر حتى تفكر ألف مرَّة قبل أن تفعل هذه الحركة المؤذية، وبتجنبها تصبح إنسانًا محترمًا تعلَّم الاحترام من شخص سخيف. لا بد من شخص سليط اللسان حتى تلتقط من مزبلة فمه بالصدفة كلمة نقد صادقة في قلبها جوهرة قد تغير حياتك. لا بد من شخص ثقيل الدم حتى تتعلم أن تكون خفيفًا (كن خفيفًا ترى الوجود جميلًا). لا بد من المتفذلكين حتى يحركوا الماء الراكد في أذهان

المغفلين، ولا بد من المغفلين حتى يسحبوا الكهرباء الزائدة في أذهان المتفذلكين. لا بد من الظلام حتى تسعى إلى النور، سيدنا موسى شكت له زوجته من الظلام فراح يبحث عن قبس من نار فعاد إليها نبيًّا. لا بد من شخص يجرح مشاعرك حتى تكتب الشعر، وأشخاص يحيرونك حتى تنضج روحك وتستوي أفكارك، وأشرار يوقظون الشجاعة النائمة بداخلك، ونصابون يدربونك على اليقظة، أقولها لك إزاي مش عارف؟ بص يا معلم.. لا بد من وجود عمرو الصفتي حتى تعرف قيمة إبراهيم صلاح، ولا بد من وجود إبراهيم صلاح حتى تعرف قيمة شيكابالا، ولا بد من وجود شيكابالا لتوقن أن الأدب فضلوه على العلم.

قلت له: طيب، هناك شخصيات لا أرى فيها سوى القبح يا برما؟.

قال برما: الجمال لا يكمن في الأشياء يا صديقي، ولكن يكمن في المتلقي، ووجود القبح يدربك على البحث عن الجمال، لأن الله جميل فهو يحب الجمال، لو كانت الجملة الله يحب الجمال فقط، لكان هذا يعني أن في خلقه ما هو جميل وما هو قبيح، وبالتالي فهو يحب الجمال ولا يحب ما دونه، لكن لأن الله جميل فهو يرى الجمال في كل شيء حتى ما تعجز أنت عن رؤيته، لأنك لست جميلًا بالقدر الكافي.



برما بيفطر مصري

مر على وجود برما في أسوان يومان، اتصلت به لأسأله عن أهم اكتشافاته في هذه الفترة، فقال: شخص يمتلك فاترينة لبيع ساندويتشات الطعمية على بُعد خطوات من بوابة السوق، يعمل لمدة ساعتين حتى ينفد مخزون العجين، زحام هائل، والمحظوظ فقط من يلحق بقرصين.

اندهشت من كلام برما، فقال: الطعمية سحر مصري، لا أعرف من أين أتى اسمها، لكنني أعتقد أنه مشتق من مصطلح طعام العامة، إذا دمجت الكلمتين مع قليل من التحريف المصري الشائع عبر السنوات ستحصل على كلمة طعمية. أفخر بكوني واحدًا من العامة في مواطن كثيرة، أهمها اللحظة التي أقف فيها أمام الطاسة ممسكًا بقرطاس من ورق المصري اليوم.

قلت له: ومن أين يأتي السحر؟، فقال: في العالم كله لا يوجد ما هو أشهى من نصف رغيف بلدي طازج يحتفظ بسخونته، تلقي بداخله حبة طعمية ساخنة، وتسندها بشريحة من الطماطم البلدي، ثم تزينها بنطرة ملح ونطرة شطة. هل تريد مزيدًا من الإعجاز؟ ضع معهما شريحة من الباذنجان المقلي، الباذنجان معجزة أخرى، به شيء يتماس مع الطفولة فهو لا يحتاج إلى أسنان بالمرَّة ويفرز سكرًا ما في جنبات الفم دون تجزيع، سكرًا لا يثير العطش، لكن يبل الريق بطريقة ما. اليوم ضربت ساندويتشًا ساخنًا.. كانت قطعة الطماطم الباردة بداخله بمثابة لمسة حانية مثل تويتات هبة رؤوف عزت. كنت أسند القضمة بقضمة أخرى من حبات الفلفل الحار المقلي، ثم أستعين على البلع برشفة من كوب شاي أحمر سكر زيادة يتصاعد منه البخار حتى كاد يختلط بدموعي من فرط اللذة. أنهيت طعامي، ثم طلبت من المقهى كوبًا جديدًا من الشاي لكن بالنعناع هذه المرَّة، وجلست في الشمس أتأمل السعادة التي وهبني الله إياها. رحيل العسكر نفسه لا يستطيع أن يقودني إلى تلك الروحانية التي وضعني فيها طعام إفطاري وجعلني كأنني في حضرة صوفي خفيف الدم.. فالحمد لله.

قلت له: يرحمكم الله.

ضحك برما، ثم قال: سنموت قبل أن نعرف ما الذي يجعل طعمية الشارع تتفوق على طعمية البيت، لكنني أستطيع أن أميز طعمية شارع عن شارع آخر بلونها، فكلما كانت ذهبية تتآلف في حضنها حبات السمسم كفصوص أحجار كريمة مع حواف ذات قرمشة بفعل قشر الكسبرة الناشفة كانت السعادة حتمية، ولكن عندما يذبل لونها ويسود أعرف أن صاحب المحل أفرط في استخدام الكسبرة الخضراء والكرات أثناء صنع العجينة، وهنا سينالك من شر الطعمية أكثر مما سينالك من خيرها. ولكن في كل الأحوال ستظل طعمية البيت باهتة، لأنها تسعى إلى الكمال، ولا أحد كاملًا في الكوكب. طعمية الشارع مصدر رزق، ولا حيلة في الرزق بأن تبحث عن زيت نظيف لم يسبق استخدامه، ومقادير مضبوطة، وخضراوات

مغسولة جيدًا، وفول مدشوش متنقي بالواحدة، ومناديل ورقية تجفف فيها الحبات بعد انتشالها من الطاسة. سر عظمة طعمية الشارع في الشاب ذي الشبشب ورجل البنطلون المرفوعة يجلس على كرسي الحمَّام أمام المحل يقطع الخضراوات في بستلة الغسيل، وماكينة عجن الخلطة المستوحاة من فكرة الأطراف الصناعية بيد معدنية واحدة تهرس العجين في الصاج، ونصف السيجارة الموضوعة إلى جوار طاسة القلية ينتقل بينها الرجل القلاي وبين العجين بخفة ومهارة. ثم تلك النظرة الخبيرة التي يمنحها للحبات وهي تتقافز في أمواج الزيت المغلي حتى يمد يده بالمغرفة الشبيكة التي كللها السواد فيرفع الحبات بها، ثم يخبط بها طرف الطاسة بحكمة وثقة قبل أن يلقي بها في المصفاة فتتخاطفها الأيادي. إنها عظمة طقس يشبهنا تمامًا، وضع في بالك دائمًا أنه كلما كان المطعم متواضعًا كانت الطعمية أشهى، فالمطاعم البسيطة تقدم الطعمية بفلسفة كُل واشكر، بينما المحلات ذات الواجهات الزجاجية التي تقدم الطعمية إلى جانب الشاورما فهي تقدمها بفلسفة كُل وانجز.

قلت له: طب والطعمية الشامي يا برما؟، فقال: الفرق بين الطعمية المصرية والطعمية الشامي، مثل الفرق بين رمضان في القاهرة ورمضان في بيروت.

قلت له: ألا تراها طعامًا مخترعًا من قبل العامة كما قلت ليملأوا به بطونهم فقط دون أي قيمة تذكر؟، فقال: لقد ربتنا الطعمية كما ينبغي على مدى سنين عمرنا كوجبة غذائية متكاملة، البروتين موجود في الفول، الفيتامينات موجودة في الخضراوات، الدهون موجودة في الزيت، مضادات الأكسدة موجودة في البقدونس والسمسم، النشويات موجودة في الخبز... عايز إيه تاني؟.

قلت له: السكريات، فقال: وهل تستقيم الطعمية بدون كوب الشاي؟ سكريات وكافيين كمان يا معلم.

قلت له: كنت أتوقع منك حديثًا في الشأن العام، فقال: هذا هو الفرق بيني وبينك، أنا أسعى لفتح النِّفس بينما أنت تسعى لسدها.

☆ ☆ ☆

برما يتحدث عن جده

أجلس أمام النار التي أشعلها برما في قروانة الأسمنت أمام منزله أنتظره. كان البرد قد اشتد عليه فقال: هادخل ألبس حاجة تدفيني، ثم خرج في منتهى الأناقة. قلت له: جامد البالطو ده يا برما. اندهش دهشة حمدي بدين عندما سمع الناس تهتف في الكنيسة: يسقط يسقط حكم العسكر، ثم قال: ده مش بالطو، ده جاكيت البدلة بتاع جدي الله يرحمه.

جدك كان من رواد الجيم يا برما أكيد، قلت له. فقال: بالعكس، لقد كان قزمًا مقارنة بإخوته، يجب أن تعرف يا صديقي أننا كمصريين عمالين نكش، ونتضاءل بمرور الوقت، لقد كانت مقاسات البشر في الأربعينيات والخمسينيات أسطورية.

قلت له: مش فاهم.

فقال: يمكنك أن تلاحظ هذا في مقاسات البيوت بتاعة زمان، كان في كل بيت صالة ذات مساحة تستطيع بالكاد أن تستوعب حركة هؤلاء العمالقة، بدليل أنك إذا سكنت واحدة من هذه الشقق حاليًّا ستستطيع أن تربي في ناحية منها غية حمام، تفتح أبوابها ليحلق الحمام في الصالة طول النهار، ثم تقف حاملًا العلم في آخر الصالة بنهاية اليوم حتى يعود الحمام إلى الغية سالمًا، ولا يضل الطريق في الصالة، أما إذا لم تكن من هواة الحمام، فيمكنك أن تقسم الصالة إلى ورشتين لتصنيع الأحذية، هذا الجيل ألهمته مقاساته فكرة البراح، أما مقاساتنا نحن فقد ألهمتنا فكرة البارتيشن.

قلت له: يا لك من شخص أوفر يا برما!.

فقال: بلاش الشقق، ستقول لي إنهم كانوا يشيدون بيوتهم من وسع، عندك سيارات هذا الجيل التي تبدو وكأنها قطع حربية شيك، يا دوب تستوعب رجل وأسرته الصغيرة، لن أحدثك عن الرفرف المبالغ فيه، أو الكبوت الذي يماثل مساحة غرفة حارس عقار هذه الأيام، ولكن تأمل معي حجم الدريكسيون في أفلام عماد حمدي، أليس هو نفسه مقاس دريكسيون أتوبيس نقل عام في زمننا هذا؟.

صببت له الشاي، فأخذ رشفة، ثم قال:

ثم تأمل معي مقاسات البشر أنفسهم، يعني لو أخذت حسين صدقي من فيلم العزيمة كما هو، ووضعته في حلقة توك شو، ستعتقد من مظهره وحجمه أنه العميد السابق لحقوق القاهرة، عد به إلى الفيلم كما هو، ستجده يا دوب طالب حصل على التوجيهية منذ أيام، ويبحث عن عمل شريف حتى يتسنى له الزواج من ابنة الجيران التي دهسها تقبيلًا في بير السلم كمدرعة يقودها جندي مرتبك.

الأرواح نفسها كانت ضخمة، عندك مثلًا أرواح السميعة، كانت على قدر من الضخامة بحيث يشبعها بالكاد عشرة خمستاشر إعادة لمقطع واحد من أغنية للست أم كلثوم.

كانت كل المصالح الحكومية والوزارات واللوكاندات ومقار الصحف والقصور في هذا الوقت تحتوي في مداخلها على مساحة ضخمة مهيبة يسمونها البهو. ظل البهو يكش يكش حتى أصبح مجرد ريسبشن في وقتنا الحالي. وفي شققهم كانوا يحتاجون لمساحة تناسبهم يطلون منها على الشارع، فكانت أسطورة الفراندة، وظلت تكش ونحن نكش حتى أصبحت مجرد بلكونة قد تستطيع أحيانًا أن تقفلها بالألوميتال ليقيم فيها أحد أفراد الأسرة المصاب بالأنيميا والتوحد.

لا أتحدث عن القصور، فالشقق نفسها كان بها مساحات مخصصة لاحتياجاتهم الضخمة، فهناك حجرة للخزين (تم استبدالها حاليًّا بكومودينو الهلال والنجمة الذهبية ذي الأدراج الستة)، وهناك حجرة للغسيل (تم استبدالها بسَبَت)، وهناك حجرة للمسافرين، ومن الأخطاء الشائعة أن نعتقد أنها كانت مخصصة للمسافرين الضيوف القادمين من جهات بعيدة، الحقيقة أنها كانت أوضة في نهاية الشقة لراغبي الهدوء من أهل الشقة نفسها، ولكن كان الذهاب إليها بمثابة سفر، لذلك لقبوا من يقطنها بالمسافرين.

لعلمك أيضًا كانت مقاساتهم تكبر بسرعة، تأمل ماتشات الكرة في هذه الفترة. كان اللعيبة يفصلون الشورتات الدمور قبل بداية الموسم على يد ترزية مهرة يجيدون ضبط المقاسات، لكن على بال ما يستلموا الشورتات يكونوا تعملقوا بزيادة لدرجة أن هذه الشورتات كانت تغطي بالكاد مفاصل أفخاذ اللعيبة. لقد كانت لباليب هذا الجيل نقطة مضيئة في تاريخ الكرة المصرية.

قلت له: وكيف انقرضت هذه المقاسات؟.

فقال: هؤلاء الرجال العمالقة ماتوا خلال حرب الست سنوات، وظهر على الساحة رجال الجيل الثاني، وكانت مقاساتهم مدعاة للسخرية، لذلك حاولوا أن يعوِّضوا هذا الفارق بأفكار جلبت لهم مزيدًا من السخرية، مثل أن يعملقوا السوالف، أو يضيفوا إلى أطوالهم سنتيمترات بالشعر الهائش، أو بالإفراط في مقاسات رِجل البنطلون، كان الشارلستون محاولة لإخفاء الطفرة الخبيثة في مقاسات الأقدام بعد أن انقرضت مقاسات أقدام جيل العمالقة التي استهلكوها في دك خط بارليف.

قلت له: بدأت أصدقك يا برما.

فقال: خدها حكمة مني، منذ خمسين عامًا أو أكثر كان الإكس لارج في مقاس الرجال هو القاعدة، وكان كل ما هو دون ذلك استثناء، لذلك كانت الشتيمة السائدة وقتها: يا راجل يا دون، الآن انقلبت الآية، بحيث أصبح الاستثناء مجرد بودي جارد يتم الاستعانة بهم لحماية القاعدة (الراجل الدون).

☆ ☆ ☆

برما وحياة تانية أو موت

قلت لبرما: سنوات طويلة مرت من عمري وأنا أتعامل مع فيلم حياة أو موت باعتباره فيلمًا كوميديًّا، بالرغم من الإثارة المأساوية التي تشهدها أحداثه، لكن هكذا كنت أراه، كوميديًّا، بداية من اللحظة التي ينظر فيها حسين رياض إلى الكاميرا قائلًا بنبرة مسرحية مرتعشة: أنا بدل ما أحط نص سنتي سولفات نحاس وخمسة سنتي سلوفات ماغنزيا.. حطيت نص سنتي سلوفات ماغنزيا.. وخمسة سنتي سلوفات نحاس. هذا الأداء الدرامي الذي يليق بأستاذ مساعد يخاطب الطلبة في أحد سكاشن صيدلة أسيوط، لم يكن يقل كوميديا بالنسبة لي عن آخر جملة في الفيلم والتي قيلت على لسان الحكمدار يوسف وهبي: يا هانم إحنا واجبنا السهر على خدمة الجمهور، خدمة الجمهور جعلت الحكمدار خلال الفيلم يلقي أوامره بالقبض على أي طفلة بفيونكة تسير في الشارع تحمل زجاجة، فكانت النتيجة عشرات الطفلات في مشهد يبكين في غرفة الحجز إلى جوار عدد من المجرمين، هذا بخلاف أنني كنت أقول لنفسي دائمًا: الحمد لله إن موضوع تركيب الأدوية انتهى من زمان، فإذا كان طبيب كبير في قامة حسين رياض قد أخطأ في المقادير، فما بالك بحملة بكالوريوسات الزراعة الذين يقفون في الصيدليات الآن (مع كامل احترامي لهم طبعًا).

المهم، تم تسكين هذا العمل في ملفات الكوميديا في المخ، مثلما تم تسكين غيره من الأعمال كلٍّ في منطقته، لكن بالأمس علمتني مشاهدة هذا الفيلم شيئًا جديدًا.

هذه المرَّة الأولى التي أشاهده فيها بعد أن أصبحت أبًا، أنا بمفردي في المنزل، والابنة تقضي العطلة مع الأم في منزل الجدة، مع كوب من الشاي يبدأ الفيلم قبل العيد بيوم عند مشهد يتأمل فيه عماد حمدي الأب الفقير فستان طفلة في فاترينة محلات هانو (أحد المحلات المملوكة لعائلة عدس اليهودية التي أسست محلات هانو وبنزايون وريفولي، ثم دخلت هذه الشركات ضمن ممتلكات مصر بعد حرب السويس عام 56، وأصبحت شركات مساهمة مصرية). الأب فقير ومطرود من عمله، واليوم عيد والابنة تنتظر دخلة أبيها الذي يقف منهارًا أمام الفاترينة. تخيلت نفسي مكان عماد حمدي وتأثرت، دخلة الفيلم لا تبشر بأي كوميديا فما الذي تغير؟ تغير أنني أشاهد الفيلم من أرضية مختلفة.

أنا الآن كلي لهفة خلف تلك الفتاة الصغيرة (لعبت دورها ضحى أمير)، وهي تسير في غابة شوارع القاهرة، قبل عامين كنت أرى أن كل هذه الدراما تنتهي في مكالمة للخط الساخن لصيدلية العزبي، اليوم أنا مشغول بمصير الفتاة وغير مهتم أبدًا بمصير الأب، أخشى عليها من فهلوة المصريين التي تنقذها من البوليس الذي يبحث عنها ليمنع وصول الدواء لأبيها، ومن سكارى الشوارع، والمتحرشين، وجنون قائدي الميكروباص، وعصابات تجارة الأعضاء، وأشعر بأنني مدين بالشكر لكمسري الترام الذي تفهم أنها لا تمتلك نقودًا لدفع التذكرة، والرجل الذي لا نعرفه الذي أمسك يدها ليعبر بها الشارع أمام دار القضاء العالي واصفًا لها الطريق إلى

محطة التحرير، والمراهق الشعبي الذي كاد أن يصدمها بدراجته، ثم صعبت عليه عندما عرف قصتها فحملها خلفه على دراجته حتى محطة الترام.

اليوم أتابع الفيلم كأب، فاختبرت من خلال أحداثه مشاعر جديدة، أفكر أنني ربما بعد زمن طويل قد أشاهد فيلم الحفيد من أرضية الجد الذي تعاني ابنته الكبرى آلام الولادة، بينما ابنته الثانية قد طفش منها زوجها وترك لها البيت، ساعتها سأختبر غصة ما لا مجال الآن لتفهمها وأنا أرى الفيلم مجرد حالة من البهجة الصافية (كنت مغفلًا!). ربما أتعرض في وقت مصيري لخذلان أقرب الناس لي، فيصبح سواق الأتوبيس أكبر من فيلم سينمائي نظيف، ربما يصبح طبطبة حقيقية لا يقوى أحد على تقديمها. عندك مثلًا العلاقة بأغنية مثل: والله لسه بدري يا شهر الصيام، الأغنية ثابتة، لكن تبدأ علاقتك بها مبهجة كطفل ينتظر العيد، ثم رصينة كشاب يفتقد الطفولة وما أكلته منها الأيام، ثم مبررًا للحزن الحكيم كرجل كبير تذكره الأغنية بالأحبة الذين ذهبوا متأملًا من أخذ مكانهم بالقرب منه.

مع كل خطوة في عمق الحياة يعيد الإنسان اكتشاف نفسه، وأهم اللحظات في حياة الواحد مرتبطة باكتشاف كم تغيرت علاقته بالأشياء الثابتة من حوله، مع كل محطة جديدة تعرف عن نفسك ما لم تكن تعرفه من قبل، وبمرور الوقت تكتمل الصورة.

أعتقد أن هذه هي المهمة الرئيسية في حياة كل واحد، الفن يساعدك في ذلك بشكل كبير، بالذات إذا كانت نسبة سلوفات النحاس فيه مضبوطة.



برما بمبوطي محتمل

وصلت عند بيت برما، فوجدته جالسًا على الدكة أمام المدخل يعزف على السمسمية ويغني بروقان: قبطان طالع يتمشى.. وعينه على طرف الممشى. صافحته مندهشًا، فقال: كنت في زيارة لصديق سويسي، وعرض عليَّ في نهاية الزيارة هدية 5 كيلو جمبري سويسي، فاعتذرت له، وسألته أن يستبدلهم بسمسمية، أحلم منذ زمن أن أمتلك واحدة حقيقية، فأعطاني سمسمية جده البمبوطي الأول.

صمت بعدها برما، ثم تنهد قائلًا: السويس.. آه.. لو لم أكن جرافيك لوددت أن أكون سويسيًّا.

ثم التفت ناحيتي قائلًا: إيه اللي جابك؟، فقلت له: كل سنة وأنت طيب، يوم المرأة العالمي، فقال: المرأة كائن عظيم لا تغير طبيعته الظروف أو الأحداث مهما كانت مفزعة أو خطيرة. تقول كتب التاريخ إن الملكة حتشبسوت هي أول امرأة تكوِّن جيشًا لاقتحام مجاهل أفريقيا، وفتحت بلاد بونت (الصومال)، لتعود من هناك باللبان والكحل والصمغ. لم تُنسها الفتوحات العظيمة أنها امرأة. قلت له: طيب اللبان والكحل مفهومة، طب والصمغ؟، فقال: علشان تلزق لجوزها.

تنهد ثم قال: وعندك مثلًا امرأة العزيز في عز فضيحتها، لم تنشغل بكرامة زوجها الذي ضبطها وهي تراود سيدنا يوسف عن نفسه، لكنها اهتمت بكرامتها هي شخصيًّا، وانزعجت عندما بدأت نسوة المدينة يثرثرن عن كون امرأة بهذا القدر تغازل فتى يعمل لديها، فانتفضت لبرستيجها ودعتهن لبيتها، فما إن قطعن أيديهن انبهارًا بجماله حتى عاد إليها هدوؤها. لم تنفِ المراودة، لكنها دافعت عن كبريائها كامرأة يشكك البعض في ذوقها في الرجال.

قلت له: في رأيك يا برما، ما هي الطريقة المثلى للتعامل مع المرأة؟، فقال: يقولون إن المرأة تشبه جهاز الكمبيوتر، لا يمكن لشخص أن يفهم ما الذي يجري بداخله غير الشخص الذي صممه وأعده للاستخدام، كل ما عليك هو أن تسير خلف الكتالوج دون اعتراض، وكفاية قوي وكتر خيرها إنها مستحملة يوزر زيك. لا بد أن تطيع النشرة الداخلية طاعة عمياء، حتى لو لم ترُقْ لك التوجيهات وتعليمات الاستخدام، حتى لو لاحظت في طريقة الاستعمال قدرًا من الإجهاد يجعلك تتساءل عن الفائدة من كل هذا الجهد، فالفائدة عظيمة إذا لم ترها، فالله قد حرمك من طعم الحياة، فسيدنا آدم شعر بالملل في الجنة بمفرده، فخلق الله له حواء ليسكن إليها، يعني الجنة لم يكن لها طعم بدون سيدتنا حواء. عودة للسايبر اللي فتحناه من دقيقتين، كل الكتالوجات بكل اللغات في كل الأديان تنصحك بالرفق في التعامل والحرص الشديد منعًا من أي عواقب غير متوقعة، مثل أن ينفجر الجهاز في وجهك إذا ضاعفت قدر الأحمال التي يقدر على استيعابها، أو أن يتحطم بين يديك إذا عاملته بعنف، الجميع ينصحون بالمعاملة الطيبة، لأنه جهاز قد تستطيع أن تستبدله يومًا ما، لكنك لن تستطيع أن تستعيده هو نفسه مرَّة أخرى إذا ما أفسدته، حيث إنه

جهاز بلا قطع غيار، ولا يوجد متخصصون في إصلاحه حتى لو ادعى البعض أنهم قادرون على فعل ذلك.

قلت له: هل تقبل الزواج من امرأة قامت بعمليات تجميل؟، فقال: على حسب، إذا كانت عضوًا في مجلس الشعب أم لا. ضحكت، فابتسم برما، ثم قال: الرجل هو السبب في انجراف النساء باتجاه عمليات التجميل

باختزالهن في الشكل قبل المضمون، وبعد ظهور العمليات ما بقاش فيه شيء مضمون. من الممكن أن تُقبِّل حبيبتك فينساب الكولاجين عبر شفتيها الاصطناعيتين ليُسمم بدنك، وقد تصحو لتجد حبيبتك قد فارقت الحياة في أحد المستشفيات نتيجة جرعة سليكون زائدة. عمليات التجميل تجعل كل النساء شيئًا واحدًا متشابهًا كأنها موضة. عمليات التجميل تضيع ما يميزك، هذا التمييز الرباني هو نصف الجمال. ويجب أن تعرف المرأة أنها غير مطالبة بالسير خلف كتالوجات، فللتجاعيد سحرها، والأنف إذا ذهبتِ للجرَّاح (علشان يلمه) ستفاجئين أن الذقن ضربت منك، بالضبط مثل سمير غانم في مسرحية المتزوجون. خلق الله مقاسات محددة مضبوطة بالفيمتو مللي، مجرد تغيير فيمتو مللي فيها يحول الناتج إلى مسخ. لفترة طويلة عقب ظهور النت كانت اللعبة المفضلة تأمل صور الفنانات قبل وبعد: قبل العمليات كانت تظهر عليهن عيوب خِلقية، بعد العمليات يبدون كـخلق معيوب. من يفهم أن الديفوه يحلي ما حوله ويجعل له طعمًا مميزًا؟ من يفهم أن تمثال فينوس لولا أنه بلا ذراعين لكان تمثالًا بلا معنى؟ من يفهم أنه شيء مقيت أن يعاشر الواحد امرأة ملكة جمال 12% بلاستيك؟!.

قلت له: طب ما تسمعني على السمسمية حاجة بمناسبة اليوم العالمي للمرأة. وقف برما في منتصف الشارع ممسكًا بالسمسمية، وبدأ يعزف ويغني لحنًا حماسيًّا جعل كل من في الشارع يترك ما في يديه ويلتف حول برما ليشاركه الرقص والغناء، وفي ثوانٍ كانت المنطقة كلها تتحرك على نغمة واحدة: شك شك مرزوقة تعالي جنبي.. شك شك مرزوقة تعالي جنبي. كان الطقس حماسيًّا، ولم يكن هناك مفر من المشاركة، فظللنا نغني: تعالي جنبي تعالي جنبي إلى أن وصلوا بتوع الشرطة العسكرية.

☆ ☆ ☆

اكتشافات

سألني برما عن أهم الاكتشافات التي مررت بها في حياتي، فحكيت له قصة أنيس زكي.

في ابتدائي كان عندنا مدرس في سوهاج يرى في مسح البلاط بكرامة الطالب جزءًا مُهمًّا وأصيلًا في تربيته كعادة معظم مُدرسي الثمانينيات، وكان من بين الجمل التي يستخدمها للتهزيء جملة: لا ده إحنا نوديك عند أنيس زكي. وقع في خيالنا أنه اسم لشخصية أسطورية عتيدة في الإجرام، نستحق عقاب أن نقضي عندها يومين علشان نتربى. مرَّة وحيدة سأل زميل: هوَّ مين ده يا أستاذ؟، قال: اسأل أمك، فتوقفنا عن السؤال تمامًا.

ثم إن الواحد وهوَّ يا دوب خارج للدنيا، كانت لديه أسئلة أكبر وأهم. وقتها كانت الفرصة الوحيدة لمشاهدة أهداف أي مباراة، هي فقرة إعادة الأهداف بعد المباراة مباشرة، والفرصة الأخرى كانت في نشرة التاسعة مساءً.

بعد الفقرة التي تستعرض لقطات لمبارك، كانت هناك دنيا أخرى تنفتح بأسماء وأحداث كان يبدو أنها ذات ثقل عظيم: بيانات حركة مجاهدي خلق، وعمليات الجيش الجمهوري في إيرلندا، والعصابات المسلحة في جواتيمالا، وانتصارات المجاهدين الأفغان، وجنازة الخميني التي استمرت ثلاثة أيام، وضحايا حرب جزر الفوكلاند، وظهور مرض الإيدز ولا أمل في العلاج، وتفجيرات منظمة الألوية الحمراء في إيطاليا، وانفجار المكوك تشالنجر بعد إقلاعه بثوانٍ، واحتلال جزر الفاو العراقية، والعثور على 5000 زوج أحذية في قصر إيميلدا ماركوس قرينة رئيس الفلبين بعد إسقاطه، وأمريكا تضرب ليبيا، وليبيا أصلًا تحارب تشاد، ولعيب كرة قدم يشبه أحمد عدوية ولا يتوقف عن عمل المعجزات في الملعب وفاز بكأس العالم واسمه دييجو أرماندو مارادونا.

العالم يضغط عليك من خلال الأستاذ أحمد سمير والأستاذة زينب سويدان، ولا مجال للانشغال بأسئلة أخرى ولا حتى أسئلة المنهج.

كبرتُ قليلًا ثم رحلت عن المدينة، وقبلها كنت نسيت الموضوع.

قبل أسابيع، وقد كسرت الأربعين وأصبحت كبيرًا، كنت في زيارة لمدينتي، أجلس إلى جوار زوج شقيقتي، يوقفنا زحام فيهرب بسيارته عبر شارع ضيق يؤدي للميدان، في نهاية الشارع لمحت لافتة سوداء قديمة مهجورة، مكتوبًا عليها بخط يدوي: أنيس زكي.. أخصائي الأمراض النفسية، وددت أن أقول لرفيقي توقَّف هنا، لكن الصدمة أعجزتني عن الكلام. أجبره الزحام على العودة للنقطة نفسها مرَّة أخرى، فلمحت اللافتة وأنا ما زلت على ذهولي، على بُعد أمتار من اللافتة كانت هناك أطلال محل قديم لبيع الألبان والزبادي كان شهيرًا لفترة لم تدم طويلًا، وهجمت مشاهد باهتة كنت فيها طفلًا أقف داخل هذا المحل برفقة أمي.



برما ينصح عبد المجيد

قلت لصديقي عبد المجيد: كان يفترض أن تكون خطيبتك مكاني في هذه اللحظة. كنا نختار كروت دعوة فرح صديقٍ، فقال: أصلها عاملة ماسك طين مغربي على وشها ومش هينفع تنزل. قلت له مندهشًا: طين؟

وعلى وشها؟!، فسمعته يتمتم: على وشها ووش اللي يعرفوها، بتقول حاجة يا عبد المجيد؟، فقال: ما تكلم لنا برما صاحبك نسمع منه نصيحتين في الليلة اللي الواحد داخل عليها. اتصلت به لكنه لم يرد، قلت لصديقي: طب ما تاخد عينات من الكروت وتروح لها آخر النهار يكون الطين فك، فقال: مفيش وقت. في الوقت نفسه كان برما يعاود الاتصال، قلت له: يا برما، عبد المجيد هيتجوز الأسبوع الجاي، فقال برما بدون تفكير: يا ابن العبيطة!.

بدأت المكالمة، وكانت تدور بينهما من طرف واحد، برما يتحدث وعبد المجيد فمه مفتوح لاإراديًّا مثل حازم إمام الصغير. طلبت منه أن يفتح السبيكر حتى أستفيد مما يقوله برما. كان يقول:

بعد الزواج لا تسقط في النوم فجأة، فأنت لا تعيش في بنسيون، اضرب كلاكس أو قل تصبحوا على خير. لا تفاجئ زوجتك بصوت شخيرك، حاول على الأقل أن تمهد لها.

لا تفكر بمفردك في الأمور وتفاجئها بالقرار، مشاركتها في التفكير لو لم تكن مفيدة ستجعلها داعمة للقرار الذي ستتخذه أيًّا كان (لا تجرب هذه الجزئية إن كنت تفكر في الطلاق).

وكل يومين اجمع خصلات شعرها المنسدلة على خدها وضعها خلف أذنها (كأنك قال يعني شعرها مش مخليك تستمتع بجمالها).

ولا بد أن تهاديها، وحاول أن تكون هداياك لها حريمي قدر الإمكان، فلا تهاديها بجهاز لابتوب أو كارت الجزيرة مثلًا، من الأفضل أن تهاديها بما يجعلها تتأكد أنك لا زلت تتذكر أنها أنثى (على قد ما تقدر يعني)، عندك العطور مثلًا. بالمناسبة، لا تنسَ التواريخ المهمة في حياتها، يقول الحكيم الخواجة: حاول أن تنسى مرَّة واحدة عيد ميلاد زوجتك، وسترى رد فعل سيجعلك لا تنساه إلى الأبد.

البيت مش ناقصه حاجة، اجعلها هي التي تقول لك هذه الجملة، لأنك إذا بادرتها بها وقلتها على سبيل المعايرة، فستفاجئك بأن البيت ناقصه حاجات كتير قوي يا أستاذ.

احذر أن تعلق يومًا ما على وزنها، المرأة تزعجها جملة إنتِ تخنتِ أكثر من جملة إنتِ طالق.

لن أقول لك اغسل المواعين، ولو أنه شيء يشرفك ولا ينتقص من رجولتك، سأقول لك: اكتفِ بعرض المساعدة (اعمل نفسك بتلم الأطباق بعد الغداء لتضعها في

الحوض استعدادًا للغسيل)، وتأكد أنها ستشكرك وستقدر اهتمامك وستعفيك من المهمة. ملحوظة: إذا لم تعفك من المهمة، فحاول ألا تكون سخيفًا وتقول لها أنا كنت باهزر.

لا تقل أمامها يومًا جملة: وأنا أجيب لك منين، إذا طالبتك يومًا ما بشيء فوق قدرتك المالية فلا تهاجمها، ولكن ذكِّرها في البداية أنها تستحق أكثر مما تطلبه، وأنك كنت تفكر في أن تحضره لها قبل أن تطلبه، ثم تحدث عن معاناتك المالية دون تأنيب لها، ستنشغل هي بفكرة أنك تراها تستحق أفضل مما طلبته، وسيجعلها هذا تقدر ظروفك وتصبر عليها.

وبالمناسبة قبل أن تطالبها بأن تهتم بنفسها لا بد أن تهتم أنت بنفسك، هل لاحظت مؤخرًا شكل أظافرك، أو لون أسنانك، أو رائحة عرقك، أو رائحة أحذيتك الرياضية الصيني؟

لا تقل لها نظريات عن الجمال قد تفسر ضدك، مثل الجمال جمال الروح يا بيبي، قلها لها صريحة وبثقة: إنتِ خارج المنافسة يا حبيبتي، وإنت عارف كويس قوي أنها خارج المنافسة فعلًا!

خد بالك من عاداتك اللاإرادية المستفزة، مثل أن تكون معتادًا على أن تبصق في أي مكان بصوت عالٍ بعد مقدمة مرعبة (أخخوووت)، أو أن تكون معتادًا على العبث بأصابع قدميك، أو نتف شعر أنفك أمام البشر. حاول أن تتخلص من هذه العادات التي تضايقها وتحوِّل حياتها جحيمًا، واطلب منها المساعدة في هذا الأمر، وستجدها مستعدة للوقوف معك بقوة وإخلاص حتى تعود إنسانًا طبيعيًّا.

كان فم عبد المجيد يتسع حتى كاد أن ينافس نفق الأزهر. قلت لبرما: هذا حمل ثقيل على الرجل يا مان، فقال: اللي مش قد الجواز ما يتجوزش، وكل ما قلته لن يكلفه شيئًا، لكن سيضمن له سعادة مجانية. وبالمناسبة، عندي أضعاف أضعاف ما قلته، لكن في الجواز بالذات كل مرحلة ولها نصائحها، وعن إذنكم علشان داخل على لجنة. قلت له: طب نصيحة أخيرة للعريس يا برما، فقال: قل له: برما بيبارك لك وبيقول لك: كُل عيش.. سلام

انزعج عبد المجيد من الكلمة الأخيرة قائلًا بغضب: كُل عيش؟! هوَّ بيهددني؟! ده ما يعرفنيش. يعني هيحصل إيه لو ما كلتش عيش؟. طبطبت على كتفه قائلًا: لو ما أكلتش عيش هتأكلك هيَّ الطين اللي بتعمل بيه وشها.

☆ ☆ ☆

.

برما ينصح نجوى

كنت أنتظر نجوى عروس عبد المجيد لأقلها هي وصديقتيها في سيارتي حتى استوديو فينوس لتصوير العرائس، ومنه إلى مقر الفرح في دار الحرب الإلكترونية.

قلت لنجوى: هوَّ عبد المجيد ما لاقاش حاجة غير دار الحرب الإلكترونية؟ إيه جو البلاي ستيشن ده؟، فقالت: شكله ناوي يعمل عليَّ إسكور الليلادي، فانفجرت ماسورة الضحك الرقيع في السيارة، ثم مدت لي إحدى صديقاتها يدها بـسي دي قائلة: ما تشغلنا ده يا أسطى.

أسطى؟!، قلت مندهشًا. وضعت السي دي فانطلق حمادة هلال يصدح قائلًا: أنا سبونجي بوب، ونجوى والبنات يرددن خلفه: بوب.. بوب.. بوب.

كنت أخشى اللحظة اللي يضبطني فيها قارئ محترم، وأنا في هذه الوضعية، قلت لنفسي: لن ينقذني سوى برما. اتصلت به، فلم يرد كعادته. صاحت نجوى: ما تشغل التكييف يا كبير.. الماكياج هيسيح. كان الأمر فوق طاقتي، وكنت أدفع ثمن الصداقة غاليًا، كنت أفكر أن ألبس بالعربية في أقرب شجرة لأنهي هذه المأساة، إلى أن عاود برما الاتصال، فطلبت منه أن يساعدني في فرض الصمت على السيارة بأن يوجه بعض نصائحه للعروس، فقال لي: افتح السبيكر.

قال برما:

هييه يا نجوى، تخرجين اليوم من بيت أبيكِ، وأتمنى لك ألا تعودي إليه بسرعة.

تغيرت الحياة، ولا بد أن تعرفي شكل المرحلة القادمة، فبيت الأب تسلية، بينما بيت الزوج تربية.

لا بُدَّ أن تعرفي يا نجوى أن الرجل ليس رومانسيًّا للدرجة التي تتخيلينها، يقولون إنه بعد الزواج هناك ثلاثة أنواع فقط من المشاعر يعبر عنها الرجل، وهي: أنا جعان، وأنا نعسان، وجووووووون، فلا ترسمي توقعات عظيمة فتصيبك إحباطات تفسد حياتكما معًا.

لا تضغطي عليه بـقول لي كلمة حلوة، لأن كل الكلام الحلو الذي يمكن أن يقوله لك اختزله في قراره بأن يتخلص من حريته وخفته في الحياة، من أجل أن يعيش معك - كما تقول الست والدتك - بالنهار أجير وبالليل خفير، فرحمة به وبكرامتك.

وعمومًا، أرجوك يا نجوى ما تقفليهوش لو ربنا فتح عليه بتصرف به مسحة رومانسية، يعني إذا أحضر لكِ باقة ورود، فلا تبادريه قائلة: شكلك عامل نصيبة، وإذا قال: وحشاني، فلا تبادريه قائلة: والنعمة أنت نصاب، وإذا فكر أن يغازلك، فلا تصديه بغباء جملة: يا راجل وهوَّ ده وقته؟، الحاجات دي ملهاش وقت يا نجوى!.

قالت نجوى: هئ.. يتقطع لساني قبل ما أقول له الجملة دي.

فقال برما:

طب يا ريت بالمرَّة بقى يتقطع لسانك قبل ما تقولي له: شُفت جوز أختي جاب لأختي إيه؟، أو مش لو كنت سمعت كلامي كان زمانا، أو هتفضل طول عمرك كده، أو شوف زمايلك في الشغل وصلوا لإيه وإنت لسه مكانك، إلى آخر هذه القائمة التي قد تعتقدين أنك تزرعين بها الحماس في قلب عبد المجيد، والحقيقة أنك تزرعين بداخله الغيرة تجاه الآخرين، فيعيش منفسن، وتزرعين الامتعاض تجاهك فيتحاشاك قدر ما يستطيع.

إن كان ولا بد من حوار قائم على بث الحماس فليبدأ بجمل من نوعية: أنا لو كنت مكانك. لا تضعيه في مقارنات أبدًا. هل جربتِ يومًا أن تستمعي إليه وهو يقارن بينك وبين جارتك اللذيذة؟

حلاوة اللسان نصف المحبة يا نجوى، جربي يومًا أن تبادريه بجملة ولو كاذبة من نوعية: شكلك مرهق، سيذوب بين يديك كحلاوة سبريد. الرجال أطفال يا نجوى، والكلمة الحلوة تمنع تحولهم بعد الزواج إلى أطفال شوارع.

سيبك من نظرية: يغلبِك بالمال تغلبيه بالعيال، فهي ليست خناقة. وسيبك من نظرية: أقرب طريق لقلب جوزك معدته، لأن بطريقتك في التزغيط سيطفح كل ما قدمتِه له في هيئة أدوية للسكر والكوليسترول. ولا تفكري يومًا أن تعامليه بتحفز: يا مآمنة للرجال يا مآمنة لمدرب الأحمال، توقُّع الغدر يمهد له الطريق.

أوصيك يا نجوى بأن تؤجلي كل رد فعل ينم عن غباء في أول ستة أشهر، واستمتعي باستكشاف أن الرجل يختلف عن المرأة تمامًا. عندما يقول لك: هنروح السينما، عازمك على فيلم جامد، فلا تنزعجي إذا وجدتِه فيلم رعب تجري فيه المسوخ خلف مسوخ أخرى. وإذا تقوقع على نفسه، فلا تقتحميه، واتركيه ليستعيد صفاء ذهنه ويعيد شحن بطاريته بمفرده. ولا تبدي امتعاضك من فعل رجالي بحت لا علاقة له بكِ من قريب أو من بعيد.

يحتاج الرجل للعزلة، وليس في الأمر إهانة لكِ أو إشارة على وجود أخرى في حياته، اللي يعرفك يا نجوى مستحيل يقرب من أي ستات تاني أبدًا.

كوني كوميدية، ولا تكوني أراجوز، والفرق معروف طبعًا. ولتمتلكي دائمًا وجهة نظر مؤيدة مرَّة ومعارضة مرَّة واستفهامية مرَّة، المهم أن يكون لديك واحدة تشعره بأن استشارتك ضرورة مقتنع بها لا فرض يقوم به لتجنب العقاب. فليكن غرامك من منطلق نظرية الري بالتنقيط، فلا داعي للدهولة أو للجفاف. وكما تحسنين اختيار أحمر الشفاه، أحسني اختيار الوقت المناسب لفتح كل موضوع. فليكن في معلومك أن أول 30 دقيقة بعد عودته إلى المنزل هي الأخطر، فعلى حسب الأجواء التي ستستقبلينه بها سيتحدد مصيرك لبقية اليوم. لا تسرفي في الكلام حتى ينزف من أذنيه، ولتتدربي على الدخول في الموضوع مباشرة، وإياك أن تسأليه يومًا: أنا تخنت؟، الرجل يكذب طول النهار وبيجي في دي وبيبقى صريح وأمين مع نفسه.

لا تتعاملي مع عبد المجيد قطاعي، ولكن تعاملي معه بالجملة. أكثر ما ينفر الرجل من زوجته أن يراها تبتلع كل ما فعله من أجلها في لحظة. لا تجعلي كفة موقف طارئ أو كلمة عابرة تطب في مقابل تاريخ كامل من اللطافة والرجولة، إذا خسر في مباراة فلا تعاقبيه كأنه خسر بطولة.

في النهاية أقول لك قول أم برما: لو كان هوَّ بحر خليكِ إنتِ سد (عشان بس ما يغرقلناش الشقة). ما ترديش عليه ساعة غضبه، عشان تعرفي تاخدي منه اللي إنتِ عايزاه ساعة رضاه، وحطي أهله فوق راسك يحطك هوَّ جوه عينيه، وأخيرًا عامليه بحنية يعاملك بشهامة.

كنا نقترب من محل التصوير، وكان عبد المجيد يلوح لنا من بعيد. قال برما: ربنا يهنيكوا ببعض. لم يرد أحد عليه. التفتُّ فوجدت نجوى في سابع نومة هي وصديقتيها. سألني برما: هوَّ فيه إيه؟، قلت له: لأ، ده العروسة غفِّلت شوية بس عشان تقدر تواصل. ضحك برما ثم قال: ليلتك سودة يا عبد المجيد.


☆ ☆ ☆

إنتو في أنهي قاعة!

(برما والمعازيم)

قال برما:

كانت قاعة الفرح في الدور الخامس، لذلك صعد إليها العريس والعروس في الأسانسير، ومع ذلك استقبلتهما فرقة الزفة بطالعة السلالم.

أنت في فرح مصري فأهلًا بك، لا تندهش من الشوك والسكاكين التي وجدتها على منضدتك فور جلوسك، فهي مخصصة لكي ترقص بها أو تستخدمها كصاجات، بالذات عندما يقترب منك مصور الفيديو وتابعه حامل لفة الأسلاك. حاول ألا تعمل للكاميرا باي باي، فأنت لست في الاستاد، وحاول أيضًا ألا تفتعل حوارًا جادًّا مع الشخص الجالس إلى جوارك (ما تمثلش)، فنحن نعرف جيدًا أنك مش سامعه من الدوشة، فقط كن تلقائيًّا حتى موعد البوفيه.

لا تتوقف كثيرًا أمام الظواهر الغريبة التي ستقابلها حتى يدخل القاعة صفان من الرجال كل واحد يحمل سيفًا تنبعث من جنباته النار، فهؤلاء ليسوا كفارًا بصدد تعذيب المسلمين الذين بدأوا الفرح بأسماء الله الحسنى، ولا هم مناديب جهنم لتعذيب والدة العريس التي اندمجت في الرقص على أغنية اللي تهز شمال ويمين بالعباية والناس ماشيين، وليسوا مجاهدين همهم إقامة الحد على الثنائي الرجالي المشبوه الذي شارك في الفيرست دانس وكانا عبارة عن شابين من أقارب العريس حاولا أن يضعا لمستهما الكوميدية على الحدث، هم فقط موجودون بالسيوف المشتعلة حتى يمنعوا المعازيم من الاقتراب من البوفيه حتى ينتهي العروسان أولًا من الفرار بوجبة تضمن لهما البقاء على قيد الحياة حتى يلعب الدي جي سهر الليالي. يظهر حاملو السيوف في الزفة كناية عن استخدام آلات حادة لقطع علاقة العريس والعروس بماضي كل واحد منهما، وتكون هذه السيوف مشتعلة أحيانًا لأن هناك ماضي بيبقى عايز الحرق.

بالمناسبة عندما ينادي الدي جي: فين أصحاب العريس؟، لا تشعر بتأنيب الضمير إذا كنت محرجًا من مغادرة مكانك لأي سبب، فنداء الدي جي ليس مقدسًا، كما أنك لو تحركت ستجد نفسك بمفردك هناك، لأن أصحاب العريس الأصليين غالبًا خارج القاعة بيصطبحوا، وأصحاب العريس الأصليين هم الذين يقودون الدي جي وليس العكس. على النقيض تمامًا المدعوات اللواتي يتحكمن في الدي جي، غالبًا هن لسن من صديقات العروس قوي يعني، وغالبًا هن في الفرح من أجل الرقص على أنغام أغنيتهن المفضلة على أكبر سماعات ممكنة بعد سنوات من الرقص عليها مستخدمات سماعات المحمول. لكن إذا ما اضطررت للمشاركة في هذه الحلبة، فحاول أن تتفادى قاعدة الرقص الحديث في الأفراح المصرية: الرجالة بيرقصوا حريمي، والحريم بيرقصوا تجريبي، وتفادَ أن تشارك في تلك الدائرة الساذجة التي

يصنعها الأصدقاء حول العريس متشابكي الأيدي، فهي أسمج ما في الطبقة المتوسطة، فلا أنت مرحت كابن بلد، ولا أنت حافظت على شياكتك كابن اللي ماسكين البلد. وإياك ولحظات الاندماج التي تدفعك للوقوف راقصًا فوق الترابيزة، الترابيزة أصلًا مش ناقصة، فهي تتحول بعد ساعة من بداية الفرح إلى معرض يضم بواقي الفول السوداني والفستق، وبقع الشربات المدلوق، وطفاية السجاير المتناثرة في كل مكان، وباكيتات الشاي الفتلة في عناق مع الملعقة في المسافة بين الفنجان والطفاية. يمكنك أن تأخذ جانبًا من جوانب الحلبة، وتصفق للصبح محدش هيقولك حاجة. وخذها نصيحة مش أي حد يشدك لداخل الحلبة تروح معاه، سيضطرك الإكراه المعنوي إلى التهبيل، وستخرج من الحلبة تنظر إلى وجوه الناس فتجدهم يتحاشون النظر إليك حتى لا تقرأ في عيونهم وجهة نظرهم في اللي إنت عملته، بالذات لو كانت الأغنية لبنانية وحاولت أنت أن تجاريها وعملت فيها فارس كرم، فتصبح النتيجة أنك تبدو ككرم مطاوع.

استمتع بمراقبة طقوس الفرح عند كل فئة من المعازيم. راقب الأمهات وهن يجرين خلف الآباء حتى يرغمنهم على الجري خلف الأطفال الذين يجرون أساسًا خلف الرقاصة. الزوجان الجدد يحضران دائمًا متأخرين بعد الزفة، فلا تعتقد أنها السعادة البيتي التي لا يريدان التخلي عنها من أجل أفراح الآخرين، لكنه تأخير جاء عقب خناقة بدأت في اللحظة التي شعر فيها الزوج أن بدلته بدأت تتكسر من طول انتظاره لزوجته وهي تسفلت وجهها، هذا التوتر ينعكس على كل شيء في الطريق بداية من سائق التاكسي المستفز، مرورًا بالتوهان أثناء البحث عن الفندق، نهاية بالبحث عن ركنة، نهاية بالتقطيم العابر من الزوجة لعدم اللحاق بالزفة معتقدة أن السبب هو الوقت الذي أضاعه الزوج في الخناق مع سائق التاكسي (شوف البرود يا أخي). أما المخطوبان فينصرفان قبل أن ينتصف الفرح، فهناك فرصة لهما وهما في كامل شياكتهما أن يمرحا قليلًا قبل أن يعيد الخطيب خطيبته إلى منزلها في الميعاد المقرر. العزاب يبحثون عن عروسة فيطاردون كل الآنسات بعيونهم طول الفرح، والعازبات يبحثن عن عريس فيطاردن الشباب بكل شيء ما عدا أعينهن. استمتع بالابتسامة الثابتة على وجوه الجدات، وتحرر من المقولة الظالمة التي وصفتهن بأنهن عواجيز الفرح، صحيح أنهن غارقات حتى آذانهن في النميمة على الجميع، لكن لا تنسَ أن الجميع هم أطفالهن الذين مسحن لهم مؤخراتهم من مخلفات الطفولة اللاإرادية، الآن هن مستمتعات برؤية هؤلاء الأطفال كبارًا، يراهن أنفسهن أن لا أحد تغير فيهم، وتظل حالة الرهان هذه قائمة بينهن حتى نهاية الفرح، وكسبن الرهان أو خسرنه لا يفقدن الابتسامة أبدًا.

إياك وقاعدة ما عملتش غدا نبقى ناكل في الفرح بالليل، فهي تحولك إلى طير جارح أمام الديك الرومي، وتجعلك تتريًّا أحمق تسيل ريالته أمام سيرفيس أم علي، وستدور بداخلك معركة بين كرامتك وجوعك، فحاول أن تخمدها بما تطوله يداك دون مزاحمة، عليك وعلى المحاشي، ولا تشغل بالك بموضوع اللحوم (إنت مش في عقيقة)، ولا تكن لصًّا يراوغ من يسبقه في الطابور، وإن اضطرك الجوع لأن تكون لصًّا فكن لصًّا خفيف الدم، وحاول في ذهابك وإيابك وعند جلوسك إلى المائدة

ألا تنظر لأطباق الآخرين متأملًا غنيمتهم أو مندهشًا بحماقة (إيه ده؟ هوَّ فيه مكرونة فرن؟).

كن ذلك الشخص النادر الذي يترجاه أصحاب الفرح أن ينتظر حتى البوفيه، ويقبلون يديه حتى يحمل طبقه ويحصل على نصيبه، وييأسون منه فيحضرون له الطعام بأنفسهم، فإذا ما أكلت فلا تجلس بقية الليل تنخور في أسنانك بأعواد الكبريت وتتجشأ (إنت مش بتتعشى عند البرنس).

بعد البوفيه حاول أن تنتظر قليلًا، ولا تكن كالضيف المجنون يتعشى ويقوم. والتقاط الصورة الجماعية واجب مثل واجب العزاء بالضبط، وإن كان ثمة طفل في حوزتك ونام من فرط التعب فلتحمله بعد إذنك بدلًا من زوجتك. وحاول قدر استطاعتك بعد رجوعك إلى البيت أن تقاوم رغبة محمومة في النميمة وسلخ فروة كل من شارك في الفرح، فإن أصرت زوجتك عليها فلتجعلها بالكتير أوي نميمة في حدود الاختيارات الغنائية للدي جي ابن المرة.

☆ ☆ ☆

برما والتاكسي الأبيض

مشوار واحد مع ثلاثة سائقين مختلفين. أصبحت أفضِّل التاكسي الأبيض، لأن قوانينه واضحة وتتلاءم مع شخص مرتبك مثلي. مشكلتي مع التاكسي الأسود دائمًا كانت عدم القدرة على تحديد النقطة التي يشعر عندها السائق بالرضا. لديَّ قاعدة أن السائق دائمًا على حق، ويستحق ما يطلبه، وله كامل الحرية في تقييم جهده. أتذكر يومًا ما كنت في مدينة دهب، ودخلت محلًّا يبيع التحف الخشبية المصنوعة يدويًّا، أمسكت بقطعة ديكور أعجبتني وسألت البائع عن سعرها، فقال: خمسمائة جنيه. أدهشني الرقم، فسألته بجدية تامة: خمسمية ليه؟ هي مش خشب؟، فأجاب ببساطة وثقة: أيوه.. بس أنا مش بابيع خشب.

سائق التاكسي الأسود عادة ما يعجزني صمته، إذ أفشل في مغادرة سيارته راضيًا عن نفسي، حيث لا أفهم إن كنت منحته حقه بالضبط أم كنت كريمًا معه أم أنني قد ظلمته، وكان صمته تفويضًا لله في الأمر. وأسعد كثيرًا إذا ما اعترض وطلب المزيد، هنا بالضبط أشعر بالرضا حتى لو كان مبالغًا، في النهاية جنيهات قليلة زائدة عن المتوقع تمنحنا سعادة مشتركة.

التاكسي الأبيض يحدد المطلوب بدقة، ويحدد لك الحد الأدنى من الجود، هو جود وليس كرمًا، فالكرم أن تعطي بعد السؤال، والجود أن تعطي بدون سؤال، وجنيهات قليلة أزيد من الأجر الذي ارتضاه السائق لنفسه في اللحظة التي قام فيها بتشغيل العداد لن تغير شيئًا في حياة أي منكما، فلا قيمة شرائية حقيقية لها، لكنها مجرد ونس متبادل بينك وبين شريك رحلة قصيرة لن تخرج منها خالي الوفاض أبدًا.

كان السائق الأول حاسمًا في وجهة نظره القائمة على أن حل جميع المشكلات التي نعيشها مرهون بإعدام الرئيس المخلوع، أنا شخصيًّا فقدت حساسية هذا الربط، بل أكاد أن أكون نسيت أمر المخلوع تمامًا، قال السائق: أنا أستغفر الله العظيم كل يوم باتمنى نخلص منه. سألته عن الحكمة، فقال: طول ما هو على قيد الحياة فالجميع سيحصلون على البراءة في قتل المتظاهرين، إدانة أمين شرطة واحد ستكون بداية الطريق لإدانة المخلوع في قتل المتظاهرين. قلت له مشاكسًا: مش يمكن يكونوا مظلومين فعلًا؟. فحكى لي عن الاثنتي عشرة جثة التي شارك في جمعها أمام أحد أقسام الشرطة، ثم ذكر لي اسم المأمور ثلاثيًّا مصحوبًا برأيه الشخصي في والدته، قائلًا: إن ضحايا يوم جمعة الغضب على يديه لا يقارنوا بضحايا أيام ما قبل الثورة. راجعته في وجهة نظره فأكدها: اعدم مبارك وكل كلب هيدخل جحره.

السائق الثاني كان مُحبًّا لـأبو إسماعيل. ماذا إن سقط؟، سألته. فأجابني ببيت شعر فصيح حاول لفترة طويلة أن يتذكر اسم قائله دون فائدة، إلى أن أعفيته من الحرج مطالبًا إياه أن يذكر لي البيت وليس مهمًّا اسم قائله، فاندهش قائلًا: إزاي؟ ده حق الشاعر. أدهشني حرصه على الحقوق الأدبية، وأنا الذي كدت أفقد الأمل في أن يراعيها أحد في زمننا هذا. سألته إن كان يكتب الشعر، فقال إنه مدرس عربي،

ويحفظ مئات الأبيات. قبل أن أخرج من التاكسي كررت عليه طلبي باحترام فضولي في معرفة البيت على وعد أن أبحث عن اسم قائله على النت، فقال: وكم من ملك قد تراكم التراب فوقه.. وعهدي به بالأمس فوق المنابر.. إذا أبقت الدنيا على المرء دينه.. فما فاته منها فليس بضائر. لمحت في عينيه ابتسامة كل مدرسي العربي في مسيرتي التعليمية وهو يراني أسجل البيتين على الموبايل.

السائق الثالث فتح الموضوع بدون مقدمات، فقال لي: فيه برنامج اسمه صبايا يعرض على قناة النهار، منذ يومين عرض البرنامج قصة رجل أعمال وزوجته توفيا في حادث سيارة وتركا طفلًا رضيعًا وبنتًا عمرها ثلاث سنوات، بعد دفنهما بيومين طمع العم في الميراث كله، فقال للطفلة: هاتِ شقيقك وتعالي نزور أمك، وهناك فتح باب المقبرة الحديدي وأدخلهما القبر وتركهما وانصرف، ثم أبلغ عن اختفائهما، بحث الجميع عنهما إلى أن فقدوا الأمل، وفي ذكرى الأربعين توجهت نساء من العائلة لزيارة قبر الضحايا، فسمعوا أصواتًا بالداخل، فتحوا المقبرة فوجدوا الرضيع والبنت على قيد الحياة وفي صحة جيدة.

كانت الطريقة التي يروي بها السائق هذه الحكاية مؤثرة لدرجة أني رفضت أن أقاومها، وظللت أستجوبه كأنه كان شاهدًا، سألته: كيف كانوا يأكلون؟، فقال: قالت الطفلة للمذيعة إن الأم كانت تصحو من نومها لترضع شقيقها ثم تنام، أما هي شخصيًّا فقالت لها إن الحديقة التي حبسهما فيها العم كانت زاخرة بالفاكهة والطعام من كل نوع.

قلت له: وأنت مصدق؟، فقال: البنت كانت قد سمنت بالفعل بشهادة قريباتها، وكان الجميع غير مصدقين إلحاح البنت في رغبتها بالعودة إلى حديقة أمها من جديد.

حاول أن يتذكر اسم المذيعة ليؤكد لي صدق روايته، فقلت له: ريهام، فبدت على وجهه ثقة العثور على دليل يؤكد كلامه بما أنني أعرف المذيعة. سألني إن كنت أتابعها، فقلت له: لا والله أنا باتابع يسري فودة.. بتحبه؟، فابتسم لي بكل خجل وأدب قائلًا: لا والله ما أعرفوش.

☆ ☆ ☆

إنت مش إنت وإنت بتنتخب

قلت لبرما: ما الذي تعلمته من أول انتخابات رئاسية بعد الثورة وتود أن تنصح به الناس؟.

فقال: لكل ناخب أقول: أرجوك راجع اختياراتك أنت الشخصية في كل شيء في حياتك قبل أن تقهر مخالفيك وتمشي فاردًا جناحاتك كأنك جبت الزتونة في اختيارات الرئاسة، فتقاطع هذا لأنه يراك مبالغًا، وتستظرف على هذا لأنه اختار مرشحًا احتمالات نجاحه ضعيفة، وتحذف هذا من قائمة أصدقائك لأنه يؤمن بقدرات مرشح أنت لا تراه أصلًا، قبل كل هذا أرجوك راجع اختياراتك في كل السنوات الماضية حتى النقطة التي نقف عندها الآن.

راجع اختياراتك في الحياة لتعرف أنك على باب الله زي حالاتنا، وأنك لا تمتلك كتالوج الاختيارات النموذجية، وليست لديك نسخة من الإجابات النهائية لكي تحكم من خلالها على اختيارات الآخرين. راجع اختياراتك في الحب. تذكر كم مرَّة انتهت اختياراتك بـسي دي عليه أغاني أمير الأحزان مصطفى كامل، هو ينتع وأنت تهز رأسك خلفه مؤمنًا على خلاصة حكمة سيادته في خوابير الغرام. تذكر اختياراتك في الأصدقاء، وكم مرَّة انتهت بأن تستغل أقرب تجمع لتفضح فيه عمايل هذا الصديق فيك. تذكر اختياراتك في الكلية التي دخلتها وخرجت منها دون أن تستفيد شيئًا (ده لو كنت خرجت أصلًا). تذكر اختياراتك التي وجهت إليها كافة أنواع سبّ الديانات في ملابس الخروج التي تحولت إلى بيجامات بعد أول غسلة. والسيارة التي ستجعلك تقول في الآخرة إجابة عن السؤال حول عمرك فيما أفنيته قائلًا في مدينة الحرفيين. عن الموبايل الذي دفعت فيه دم قلبك ثم تخلصت منه بصعوبة أو عجزت عن التخلص منه، فتتأمله مع كل استخدام مربك وأنت تلعن أم البلاك بيري أو غباوة الآيفون. عن اختيارك في شبكة النت الذي يخذلك في أجمل لحظات التحميل، أو اختيارك في شبكات المحمول التي تتنقل بينها كالفراشة دون أن تحصل على ما يرضيك. تذكر كم مرَّة لم يعجبك ميكروباص، فقررت أن تتفاداه وتختار اللي بعده فيطلع اللي بعده أضل سبيلًا، بسائقه، بركابه، بالموسيقى اللي شغالة فيه، بكراسيه، بقلة أدب وسوقية جامع الأجرة. تذكر كم مرَّة اخترت مطعمًا شهيرًا فلزمت الفراش بعده أسبوعًا على المسلوق واللقمة الناشفة. تذكر كم مرَّة اخترت أن تقف إلى جوار شخص محتاج فيطلع نصابًا. وكم مرَّة اتهمت فلانًا كذبًا بأنه نصاب فأصبحت كلما رأيته تضع رأسك في الأرض ككلب بلدي. تذكر كم مرَّة اخترت طريقًا مختصرًا فلبثت فيه يومًا أو بعض يوم (أو لبست فيه مش فارقة). تذكر كم مرَّة اخترت النسخة الصيني من سلعة ما، فندمت واخترت الأصلي فندمت أكثر. تذكر كم مرَّة اخترت فكهانيًّا من بين خمسة يقفون متجاورين، فألقى أهل بيتك ما اشتريته في الزبالة مع وصلة بعنوان: ياما جاب الغراب لأمه في عيد الأم!. تذكر كم مرَّة احترت بين فرص عمل متاحة أمامك، فاخترت واحدة تصحو كل يوم

تضرب نفسك ميت جزمة عليها. تذكر كاتبك المفضل كم مرَّة خذلك. ومطربك المفضل كم مرَّة اشتغلك. ولاعبك المفضل كم مرَّة طالبته بالاعتزال.

تذكر تاريخك في اختياراتك الفاشلة قبل أن تتحمق علينا، مش كده وبس، لأ، تذكر كمان كم كنت متحمسًا لاختيارك في كل مرَّة. تذكر كم مرَّة مشى اختيارك على رقبة شخص ما فخسرته. تذكر لتعرف حضرتك أنك لست أبا العريف ولا زرقاء اليمامة ولا حتى طائر الرخ، أنت مجرد شخص طبيعي نصف اختياراته في الحياة خاطئة، وربعها نجح قضاء وقدرًا وبدعوات أمك.. أيوه، أمك أنت!

تتمسك باختيارك مع احترام اختيارات الآخرين تبقى صاحبي وحبيبي، وسأحترمك حتى لو ثبت أن اختيارك كان خاطئًا. تضغط على أعصابنا باختيارك وتحاربنا وتعكنن علينا، لن يرحمك أحد حتى لو ثبت أن اختيارك كان صحيحًا.

يقول السلف الصالح: لا تقل رأيك في طعام حتى تتخلص منه وتخرجه، فربما مدحت في طعام بناء على المذاق، لكنه يخلف في الجسد ما بين حموضة أو تلبك معوي أو إمساك مزمن يقودك إلى البواسير. لذلك تمسك حضرتك باختيارك لكن أجِّل حماسك العدواني لحد ما يبان لاختيارك أي أمارة، لأن العملية ـ وبكل الحب ـ مش ناقصاك، أي شخص فينا عبارة عن 60% ماء، و40% اختيارات خاطئة، فلا يوجد داعي لأن تتنطط علينا أو تحس إنك جبت الديب من ديله، وسمَّعني سلام كلامي انتهى للفنان أحمد سعد.

☆ ☆ ☆

برما يستمع إلى عمر

قلت لبرما: تنام ابنتي بنفسية الشرطة العسكرية.. غدارة.. تهاجم من ينام إلى جوارها عندما لا يتوقع.. تتقلب في الفراش، ثم ترفع رأسها وتميل ناحيتي، ثم تنزل به فجأة فوق رأسي فأصحو على صرخة واحدة: يوووه، أبتعد عنها، فتقترب مني بحنو بالغ فأحتضنها، وما إن أروح في النوم حتى تكرر ضربتها بقوة.. شرطة عسكرية عسكرية يعني.

قررت منذ يومين أن أترك لها الميدان، وأعتصم نومًا في غرفة المكتب قبل أن أصحو عليها يومًا وهي تسحلني بملابسي الداخلية. بالأمس كانت تعاني من أرق ما، فدخلت عليَّ غرفتي في صحبة المجلس العسكري نفسه (أمها)، وطلبت مني أن أساعدها على اجتياز الأرق، في العادي أغني لها بكل ما وهبني الله من صوت قبيح: ماما زمانها جاية، فتسترخي تمامًا وتروح في النوم، ليلتها لم أكن قادرًا على الغناء بعد يوم استنفدتني فيه الأحداث وملحقاتها في التلفزيون وعلى تويتر ومكالمات الأصدقاء ومحاولات تأمل ما نعيشه، لذلك فتحت النت وشغلت الأغنية من مصدرها الرئيسي، محمد فوزي نفسه، وتركته يغني.

كان فوزي يغني في وادٍ وذهني في وادٍ آخر.

تحتوي أغنية فوزي على 3 قصص لثلاثة أشخاص (عادل وأحمد وسعاد)، كانت كل قصة بالنسبة لي تعبر عن كتلة ما في المجتمع.

قصة عادل تنطبق حرفيًّا على الثوار، فالدكتور لا يرضى عنه، وبالتالي حصل عادل على حقنة كبيييرة، لقد حصل الثوار على الحقنة كما ينبغي، والمبرر أن عادل ما بيشربش اللبن الصبح، وهي أسطورة طبية مضللة تشبه مبرر أن الحقنة حصل عليها الثوار لأنهم خربوا البلد.. فلا اللبن وحده كفيل بأن يصبح عادل عملاقًا، ولا البلد خربت بسبب الثوار، لأنها خربت بالفعل عندما ابتعدوا عن الميدان. عادل ولأنه لا يشرب اللبن الصبح كل أصحابه ضحكوا عليه، رقة حسين السيد وفوزي بالتأكيد منعتهما من أن يقولا الحقيقة، وهي أن أصحاب عادل فشخوه مثلما فعل أصحاب الثوار مع الثوار بالضبط. كانت الصورة درامية بالنسبة لي، لم يكسرها سوى البشرى التي حملها فوزي في نهاية المقطع والتي تقول إن عادل تعلم الدرس وكبر، واتربى له عضل في إيديه، وهي قفلة أؤمن بها تمامًا، ولا بد أنها بثت الرعب في قلوب أصحاب عادل.. واخد بالك؟!

أما قصة أحمد فتنطبق على الداخلية، أحمد إيده مربوطة ومامته عارف ليه مخاصماه؟. الداخلية أيضًا يدها مربوطة، ومامته (مصر بما إن مصر هي أمي) تشعر بالضيق إزاء هذا الوضع، لكن ما السبب فيما وصل إليه أحمد؟ يقول فوزي إن أحمد كان بيحب تمللي يلعب بالكبريت ويشيله معاه، وهو توصيف حرفي لحال الداخلية اللاعبة بالنار في عهد مبارك دون أن تفكر يومًا في عواقب الأمر. قوم إيه؟ قوم أحمد في يوم جاب كام عود ولعهم راحت النار ملهلبة إيده، فلاش باك على 28

يناير قبل الماضي. وتأكيدًا على كل هذا التطابق يحدثنا فوزي عن مصير هذا اليوم: ولسه إيديه الاتنين واجعاه، لدرجة أن كل مرشحي الرئاسة يضعون في مقدمة برامجهم الانتخابية بند علاج أحمد ـ عودة الأمن. إذا كنت لا تصدق كل ما فات يا صديقي استمع لقفلة القصة من فوزي واهو من يومها لا بيتعفرت ولا بيشيل كبريت وياه ولا بنشوفه أصلًا.

سعاد تذكرني بالجماعة المحظورة، يقول فوزي: وسعاد أبلة زعلت منها خالص خالص من شهرين، طيب ما الذي جعل الأبلة التي هي بمثابة القائد الأعلى للفصل تغضب منها؟ ستجد الأسباب واحدة لا بد أن تأخذك من حيز سعاد لحيز التفكير في الجماعة، ما بتحفظش الدرس.. وتكذب.. وبتتشاقى جوه الفصل.. وكمان ضاع منها كتابين. المبررات الثلاثة الأولى لا يمكن الشك فيها، أما موضوع الكتابين اللذين ضاعا منها فربما عبد المنعم أبو الفتوح وكمال الهلباوي.. ربما. حتى مصير سعاد هو مصير الجماعة حاليًّا، لأن فوزي يقول إن سعاد شدت الحيل وبقت حلوة.. وأبلة خدتها مع الشاطرين في البرلمان، ويكمل أنه جت شهادتها آخر مرَّة، وكانت الأولى من تلاتين، الأمر الذي ساعدها على الاستئثار بكتابة دستور الفصل دون أن يكشف لنا فوزي عن مصير الأبلة.

نامت رقية، ربما قبل أن يبدأ فوزي في الغناء، وضعتها في الفراش وعدت إلى مكاني أحاول أن أخرج من دوامة الأفكار التي ضعت فيها، قررت أن أشغل شيئًا من طفولتي أنا شخصيًّا يساعدني على النوم، كانت عبد المنعم مدبولي يغني: كان فيه واد اسمه الشاطر عمرو، وعند كوبليه: فيه قرد نبيه.. صاحبه يناديه.. ييجي يلبيه.. وكمان يقدر يمشي على السلك.. ولا أجدع بلياتشو في السيرك، عندها دخلت في المتاهة من جديد، وظهر الأستاذ قرد نبيه، وأطل عليَّ بعينيه من بين وجوه كثيرة على الساحة السياسية الآن، لم أرَ غيره فصرخت من جديد: يوووه، وقررت أن أغلق باب الأغنيات تمامًا قبل أن أجن.

كنت أحاول الاستسلام للنوم بينما تبقى السؤال يؤرقني: هل دماغي هي اللي اتخرمت أم أن أغنيات الطفولة لم تكن تخلو أبدًا من دلالات مستقبلية بداية من ماما زمانها جاية إلى جدو علي عنده حمار؟

☆ ☆ ☆

برما والديتول

قال برما: لا شيء يدفعني للخروج من البيت بأقصى سرعة قدر استخدام الديتول في تنظيف أرضية المنزل، رائحة الديتول بقدر ما تهيج أغشية الرئة تهيج الذكريات أيضًا، وتعود بالواحد إلى حضانة السلام (الحضانة والروضة في جيلي بمثابة الكى جي وان وتو في جيل الأريكسون الستة تمانيتين)، حيث كانت رائحة المنظف المشابه للديتول (كان اسمه الفنيك.. والفرق بينه وبين الديتول مثل الفرق بين الخوخ ونكهة الخوخ)، ملمحًا أساسيًّا من ملامح الحضانة، لأنه مرادف لسمعة إدارة الحضانة في مجال الحفاظ على طهارة المكان الذي يترك فيه أولياء الأمور أطفالهم. كانت الرائحة تعني بالنسبة لي غربة ما عن حضن البيت والاستقرار بين أطفال جيلي، حيث لم يكن البامبرز قد ظهر بعد، وكان بديله في هذا العصر الكافولة، وهي قطعة من القماش تستعمل كأندر وير إضافي تقلل نسبة تدفق البول إلى المريلة (أصبحت يونيفورم في عهد جيل المطربة شيرين آه يا ليل)، لكن الطفل كان يحتفظ بكل ما تضخه كليتاه النونو بحيث يصبح كتلة متحركة من النشادر. هكذا كانت فترة الحضانة في حياتي، حديقة ينبعث من جنباتها الفنيك والنشادر، أضف إليهما الآثار الجانبية لساندويتشات البيض المسلوق التي كانت دليلًا على الرخاء الذي تعيشه أسر بعض الأطفال ذوي الخدود الذين كبروا وصاروا يذهبون إلى المدرسة بمقلمة معدنية يضعون فيها الأستيكة أم ريحة ويأكلونها في الفسحة كمشهيات مع ساندويتشات لانشون صلاح وعبد الفتاح (فيما بعد أصبح سلامي في جيل المطربة نانسي آه ونص)، واختفى لانشون صلاح وعبد الفتاح تحت وطأة الأسطورة التي تقول إنهما كانا شقيقين ثم قام عبد الفتاح بقتل صلاح وحوله إلى لانشون هو جزء غير صغير الآن من لحم أكتاف جيلي!

عودة إلى الديتول الذي دفعني للخروج من المنزل منذ يومين، والاستقرار على مقهى قريب من البيت يقع مقابل جدار عريض بطول شارع القصر العيني، الجدار مقسم إلى مربَّعات عريضة، عندما تأملتها اكتشفت أنها تتكون من طبقتين كان لا بد من عزلهما في خيالي:

الطبقة الأولى كُتب عليها بترتيب المربعات واحدًا تلو الآخر، وبخط أحمر كبير:

العليمي بطل

عسكر لأ

عسكر كاذبون

ستظلون في قلوبنا

الثوار قادمون

مر الشعب الأول من هنا وكتب هذه الكلمات، وبعدها بقليل، ربما بأيام، مر شعب آخر وأضاف لمسته على ما سبق تسجيله على الحائط، لكن الشعب الجديد لم

يستخدم اللون الأحمر، لكنه استخدم اللون الأسود ليعلن أنه مختلف عمن سبقوه، وأنه يمتلك وجهة نظر أخرى، وضع الشعب ذو الخط الأسود وجهة نظره فصارت الكتابة بالترتيب نفسه كالتالي:

العليمي بطل تم وضع علامة إكس على كلمة بطل، وأضيف إلى جواره: الكلب العميل الخائن.

عسكر لأ تمت إضافة ثلاثة أحرف جديدة بالأسود ليصبح الناتج النهائي: عسكر الأمل.

عسكر تم وضع كلمة تسبقها بحيث تكون معنى جديدًا فأصبحت: نعم للعسكر.

كاذبون وهي كانت مرتبطة في كتابة الشعب الأول بكلمة عسكر في المربع الذي يسبقها.. وضع قبلها شعب الخط الأسود كلمة 6 أبريل لتصبح: 6 أبريل كاذبون.

ستظلون في قلوبنا أضيف إليها بالأسود: يا خونة.

الثوار قادمون أضيف إليها بالأسود: من صربيا.

شعبان مرًّا من هذا الشارع، واشتبكا على أرضية مربعات الجدار، كان سهلًا أن يقوم الشعب الثاني بمحو كل ما كتبه الشعب الأولاني، لكن أين المتعة في تصرف كهذا؟ كان الشعب الثاني يريد بطريقته الجديدة أن يقول للشعب الأولاني: اكتب ما تريد، وقل كل ما تحلم به، لكن الكلمة الأخيرة لنا.

كان المشهد به ما يشبه ذكريات الطفولة في الحضانة التي هبت على الواحد بفعل رائحة الفنيك، كان الطفل يكتب اسمه على حائط الفصل (صار كلاس في جيل المطربة منار آه يانا.. تعبانة)، فيكتب مثلًا هاني، فنتسابق جميعًا لنكتب إلى جوار اسمه كل أسماء الحيوانات التي تعلمنا كتابتها (هاني.. حمار بطة أبو قردان)، وتستفحل الدراما إلى أن يظهر ناظر الحضانة فيحذرنا من عواقب فعلتنا هذه لافتًا النظر إلى أهمية الحفاظ على كرامة زميلنا هاني. الحضانة كانت حاضرة في يومي بداية من رائحة الفنيك، مرورًا بتجربة الكتابة على الحائط، نهاية بالناظر، حيث كان في نهاية جدار الشارع الطويل بوستر كبير لم يمسسه أحد يلوح فيه الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل بكفه وتحت صورته مكتوب سنحيا كرامًا.

☆ ☆ ☆

عن المرشحين

عندما سألني برما قبل انتخابات الرئاسة عن اختياري، كان لا بد أن أحكي له الحكاية من أولها. قلت له:

لولا أن المتصل صديق مخرج أثق تمامًا أنه لا علاقة له بالسياسة، وأنه مجرد شخص مخلص لأكل عيشه، وكنباوي أصيل غير مهتم بالشأن العام، لكان رد فعلي أكثر حدة، فالصديق عندما هاتفني منذ ثلاثة أشهر كان يتحدث باسم حملة أحمد شفيق طالبًا مني بالاسم أن أكتب لهم فكرة وسيناريو الإعلان التلفزيوني الذي ستقدمه الحملة، تركته يكمل حديثه للنهاية بكل ما فيه من عروض جذابة، ثم سألته: هل الفريق وحملته مغيبون عن العالم لهذه الدرجة؟ لدرجة أن يطلبوا من واحد كتب في شفيق كل ما كتب أن يتورط في أمر مثل هذا، أم أنهم على درجة رفيعة من الذكاء بحيث يكسبون واحدًا مثلي فيثبتوا للعالم أن شفيق بموهبته الفذة ووطنيته استطاع أن يكسب واحدًا من أعدائه، أو ربما بالمال فيستقر في يقين الشعب أن الجماعة الكُتاب بتوع الثورة مش زي ما إنتو فاهمين؟. حاول الصديق أن يجرد العملية من كل هذه الأفكار، ويقنعني أن أتعامل معها كبيزنس. هنا انتهى الكلام، قلت له: أرجوك، إذا كان هناك مبرر لتواصلنا من جديد أرجوك لا تفتح هذا الموضوع من جديد، وعليك أن تستوعب الإهانة التي في عرضك، ثم قلت له في سيادة الفريق ما فتح الله عليَّ به لأشرح له أين يضع نفسه دون أن يدري.

صديقي استوعب المكالمة وما بها من غضب، وغاب ثم ظهر بعدها بشهر في حياتي من جديد، هذه المرَّة عبر صديق منتج طالبًا مني أن أكتب إعلان حملة الدكتور أبو الفتوح، قلت لصديقي المنتج: هل تعرف أن المخرج يعمل مع حملة شفيق؟، فقال لي إنه يعرف، ويعرف أيضًا أنه اعتذر عن عدم العمل معهم، قلت لنفسي: العمل مع الدكتور أبو الفتوح أمر يستحق التفكير، فطلبت مهلة قصيرة لأنني لم أكن وقتها قد اخترت مرشحي، وما لم يكن مرشحي الدكتور أبو الفتوح فلا معنى لأن أقوم بهذا الدور.

قبلها بفترة، وفي عزاء العم جلال عامر في الإسكندرية، كنت أجلس محبطًا من غياب الشخصيات العامة عن عزاء هذا الرجل، إلى أن دخل الدكتور أبو الفتوح وجلس بالقرب مني، احترمت تقديره للعم جلال، بعدها بقليل اقترب مني رجل إسكندراني جميل وصافحني، وظل يحدثني عن مقالاتي، ثم اقترب من الدكتور أبو الفتوح قائلًا: مش حضرتك برضه الكاتب منير عامر؟. شعرت بالحرج، فسارعت بتقديم الدكتور أبو الفتوح للرجل، فاعتذر له قائلًا: أصلك شبه منير عامر!، فرد عليه بمنتهى التواضع قائلًا: أنا يشرفني أكون شبه منير عامر. احترمته أكثر، ثم انقلب الاحترام حبًّا عندما وقف لينصرف قائلًا ببساطة صافية: أنا لازم أتحرك علشان ألحق القطر.. عن إذنك يا أخ عمر.

كل هذا التواضع تذكرته وعمرو موسى يقف أمامه يقدم درسًا أثناء المناظرة الشهيرة في كيف تكون فلولًا ونسخة من النظام القديم، متربصًا، تجيب عن الأسئلة بأسئلة، تسخر من معارضيك ويا ريت دمك خفيف، مشغولًا بذاتك والدفاع عنها، متعاليًا، لا تبل الريق، لا تمتلك أي بُعد إنساني في أدائك، ثرثرة مضللة باسم القانون واحترام القانون، فاهم برستيج القائد غلط، الشعب عندك أنفار ومجاميع بمن فيهم المذيعة أو المذيع. عمرو موسى سألته يومًا، وكنت أُقدِّم حلقة الجمعة من برنامج في الميدان بدلًا من الصديق بلال فضل الذي كان مسافرًا، ودخل موسى في اتصال هاتفي، سألته في منتصفه عن أسباب ترشحه للرئاسة، وأعقبت السؤال بملاحظة أنني لا أريد أسبابًا من عينة علشان باحب مصر، فانفعل بشدة وقال: ما تقوليش أقول إيه وما أقولش إيه!، فقلت له: ما هو حضرتك برضه ما تكلمنيش في بديهيات، تمسكت بحقي في جملة مفيدة ردًّا على السؤال، وكالعادة بدأت المكالمة وانتهت دون أن أحصل عليها.

تسألني عن العشم الذي وجهت به هذا السؤال الشرطي لموسى، أقول لك إنه ربما من بواقي فترة كان لعمرو موسى فيها كاريزما ذبلت الآن تمامًا، كانت كاريزمته مؤثرة عندما كان النضال محبوسًا في إطار سلم نقابة الصحفيين في مبناها الجديد أو مبناها الانتقالي خلف قسم الأزبكية، تلك هي الأيام التي تعرفت فيها على حمدين صباحي، كانت إحدى الجمل اللافتة للنظر وقتها للمبتدئين أمثالي في وسط المظاهرة أن تسمع أحدًا يقول:

حمدين وصل. كان هذا يعني أن التجمع سيأخذ بعدًا آخر وثقلًا ما.

في تلك الفترة قبل ظهور النت، حينما كانت الكتب المهمة نادرة وغالية الثمن، تبادل كثيرون منا نسخة من الأعمال الكاملة للشاعر محمود درويش، لا نعرف من هو مالكها الأصلي، لكنها كانت نسخة مشهورة بيننا، خصوصًا أن غلافها تم صقله بأن لصق أحدهم في ظهره بوستر دعاية لحمدين في انتخابات مجلس الشعب عن البرلس، وكان رمز العجلة فيما أتذكر، وهكذا كان هناك ربط شرطي بين المناضل والشاعر على الأقل بالنسبة لي.

تذكرت هذا البوستر عندما تهاتفنا لأول مرَّة في حياتي أثناء أحداث محمد محمود، كان حمدين يسألني ضمن من يسألهم عن تقديرهم للأمر والحلول المقترحة، لم أندهش عندما وجدته يحمل الروح نفسها التي كنت أراقبها من بعيد قبل خمسة عشر عامًا في مظاهرات متفرقة.

كان أبو الفتوح هو مرشح الرئاسة الوحيد الذي اهتم أن يقطع الطريق إلى الإسكندرية ليقدم واجب العزاء في جلال عامر، ولكن للأمانة كان موجودًا أيضًا أبو العز الحريري، لكنه كان صاحب العزاء، فهو الإسكندراني صديق عمر العم جلال، لذلك كان يقف إلى جوار ابنه رامي في استقبال المعزين.

لكن كل هذا الحب والتقدير للدكتور أبو الفتوح لم أستطع أن أترجمه في قرار حاسم بانتخابه، فاعتذرت للمنتج والمخرج بحجة أنني سأقاطع، ثم شاهدت بعدها إعلانًا للحملة أثق أنه أجمل مما كنت سأكتبه. أما موسى فقد أوقعه غروره في شر أعماله

بإعلان قد التحدي الذي يعقبه دائمًا في خريطة الإعلانات مشهد ماجدة زكي وهي تغني لروابي أووووه تحدي. أما الفريق شفيق فقد صنع له شباب الثورة على النت كليبات لن يستطيع أن يمحو آثارها حتى لو استعان بمؤلف تيتانيك.

قلت لبرما: أنا هانتخب حمدين.

☆ ☆ ☆

برما وبرلمان - هئ - الثورة

قلت لبرما: ما هي ذكرياتك عن أول برلمان بعد الثورة؟.

قال: حلم، أو ربما هو كابوس في واقع الأمر.

قلت له: مش فاهم.

فقال برما: فشلت عملية زرع الأعصاب الأولى في أحد ضروسي بسبب إهمالي، ونمت محطمًا تحت وطأة المضاد الحيوي (أوجمانتيتن 1 مللي) الذي من أعراضه الجانبية اضطراب في المشاعر وتنميل في أرنبة الأنف وكوابيس، من أهمها هذا الكابوس عن حشد من أطفال الشوارع يحيطون بمبنى البرلمان لتقديم وثيقة تطالب النواب باستجواب وزير البترول عن احتياطي مصر الاستراتيجي من الكولة.

كان الدكتور الكتاتني يجلس ممسكًا ببندقية نصف آلية تطلق الهولز على النواب، أمسك محمد أبو حامد بواحدة، فهجم عليه نائب حزب النور ليخطفها منه، فاهتزت الهولزاية في يد أبي حامد لتقع في فم عمرو حمزاوي، فقام مصطفى بكري يصيح إن حمزاوي هو أكتر واحد استفاد من الثورة، فاضطر حمزاوي إلى أن يوزع على الجميع صورة عقد قرانه الشرعي على بسمة، فوقف ممدوح إسماعيل فوق البنش صائحًا: اللهم بارك لهما، وبارك عليهما، واجمع بينهما في خير، فردد خلفه النواب دعاءه وهم يبكون، ثم قدموا طلبًا جماعيًّا لرئيس المجلس لتشكيل لجنة تقصي حقائق ترافق حمزاوي في رحلة شهر العسل.

زياد العليمي اعتبرها تدخلًا في حياة حمزاوي الشخصية، وقال جملته التاريخية الشهيرة: سايبين الحمار وبتتشطروا على البردعة!، فهاج نواب المظلات واعترضوا، فوقف شخص ما قائلًا لهم: عايزينه يعملكم إيه طيب؟

ما إحنا بقالنا سنة بنقولكم ده طور تقولوا احلبوه. وقف مصطفى بكري من جديد مذكرًا البرلمان بأن ما يحدث مستوحى من أفكار البرادعي عميل، وأن روحه تسري في الحياة السياسية في مصر حاليًّا رغم أن الجزء الأكبر من روح البرادعي نشلته منه أنجلينا جولي في حضن عابر. سأل الكتاتني مصطفى بكري إن كان يملك دليلًا على ما يقوله، فقال بكري: الدليل قالوله، فقام الكتاتني بتحويل زياد العليمي إلى لجنة القيم لاتخاذ الإجراءات المناسبة، فصفق النواب تصفيق مودع.

لكن التصفيق سرعان ما خفت مع ارتفاع صوت جودة عبد الخالق مطالبًا النواب بأن يجلسوا في أماكنهم، وألا يقاطعوه أثناء تقديم بيانه، فقال النواب: ما نقاطعكش إزاي؟ أمَّال إحنا دخلنا البرلمان ليه؟!. انفعل أحدهم وأخد يهذي بكلمات غير مفهومة بعد أن قطع عنه مهندس صوت القاعة كهرباء المايك، لكنه استمر في الصياح، فلم يجد الكتاتني أمامه حلًّا سوى أن يقذفه بالدباسة، التقط النائب الدباسة على صدره ثم طار وشاطها بقوة ففتحت رأس جودة عبد الخالق فانصرف غاضبًا من الجلسة، وحلف ليبعت لهم بكرة أخاه الكبير وزير القوى العاملة، وهنا انزعج

الكتاتني وقال لهم: وزير التموين قفش ابقوا ورونا هتاكلوا منين؟، فوقف أحد النواب قائلًا:

تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فتقدم نائب آخر بناء على هذا التشبيه بطلب لإغلاق المواقع الإباحية، فبهت المجلس من جرأة النائب وعم الصمت، قطع الصمت موبايل الدكتور الكتاتني يرن برنة اللي يزعل بابا نوتي، ففوجئ بحمدي الفخراني يقول له إنه خرج لشراء ساندويتشات له ولزملائه، لكن الشرطة المدرسية تمنعه من دخول البرلمان، وأن شنطته جوه وهو عايزها، فقال له الكتاتني: هابعتهالك مع مصطفى النجار.

ظهور مصطفى النجار بدماثته ووجهه البريء حوَّل الكابوس إلى حلم طبيعي، فقمت من النوم وكان أول قرار اتخذته هو حذف قناة صوت الشعب من الدِّش نهائيًّا.



برما كاتب قصة أبيكو جيل

كان الماء الدافئ أقوى من قدرته على الخروج من أسفل الدش.

تأمل أصابعه التي تجعدت بفعل الماء، لمح في واحدة منها بقايا الحبر الفوسفوري، كان متحمسًا للانتخابات بما يكفي لأن يضع إصبعه إلى نهايتها بقوة بالغة في الزجاجة، لدرجة أن علق الحبر بين أظفره ولحم إصبعه، لأسابيع طويلة كان يراقبه وهو ينحسر ببطء دون أن يختفي.

هذا ما بقي بعد عام من الثورة، قال لنفسه.

تغيرت قائمة الأصدقاء، كان الحذف متبادلًا، وكانت الإضافة تتم تحت وطأة القصف، يرتاح لأنصار الثورة بالفطرة، ويكره القادرين على استخدام لغة العقل بشكل مبتذل يجعل الكلام ضد الثورة شكله منطقيًّا، لكنه في حد ذاته مغالطة وطنية وإنسانية كبيرة. كانت الثورة فرصة لإعادة تقييم الأصدقاء ذوي العقود المؤقتة، فتخلص ممن تخلص، وقام بتثبيت الباقين.

اكتشف في نفسه قدرات جديدة، مثل أن يقفز أسوار الميدان المعدنية بوثبة واحدة أكثر رشاقة مما يبدو هو شخصيًّا. اكتشف القدرة على التخلي عن النوم والطعام لفترات لم يجربها من قبل، ما بين ليالي اللجنة الشعبية، وإسعاف المصابين في الميدان، والانشغال بالأوضاع المتوترة لدرجة تنسيه قرص الجوع. بعد عام من الثورة فقد عدة كيلوجرامات من وزنه. تأمل تشققات جلد البطن، فتأكد من صحة شعوره، أما عينه التي ذبلت شرفتها واغمق لونها فقد أكدت له أنه بعد عام من الثورة لا زال لا يعرف لنفسه مواعيد ثابتة للنوم أو الاستيقاظ.

الشيء الوحيد الذي يتفق فيه مع النغمة العاقلة زيادة عن اللزوم هو افتقاد الاستقرار. خلال عام اختلطت بداخله مشاعر الاكتئاب بمشاعر التفاؤل حتى صارا في لحظة شيئًا واحدًا.

بعد عام يمتلك الآن جهاز بلاك بيري، تآكلت الحروف فوق لوحة مفاتيحه من فرط ما بث عبر الجهاز أخبارًا مفرحة أو نداءات استغاثة، تنويهات أو تحذيرات، سخرية فاضحة أو غضبًا فاحشًا، ردودًا قاسية أو أسئلة صارمة. لديه الآن آلاف الفلوروز على تويتر، لا يستقر على نظرة واحدة لهم، ما بين رؤيتهم كدليل على محبة ما، والقلق منهم باعتبارهم فخًّا منصوبًا طول الوقت.

بعد عام من الثورة تكدست في أحد أركان منزله أكوام من الصحف الصادرة في أيام تاريخية، يحتفظ بها كنسخ أصلية للذكرى بعد أن أنفق في مراهقته أموالًا كثيرة في شراء نسخ من الصحف الصادرة في لحظات قديمة:

سنقاتل.. سنقاتل، أو عبرنا القنال. يحتفظ بفوارغ طلقات الخرطوش والقنابل المسيلة للدموع التي كان يجمعها في أعقاب المواجهات. في أحد أركان الصالة علق في الزاوية درعًا بلاستيكية مكتوبًا عليها:

الأمن المركزي، كانت من غنائم جمعة الغضب. أصبح لديه تلفزيون في غرفته بعيدًا عن تلفزيون العائلة، حتى يستمتع بالتعليق كيفما يحلو له دون أن تؤذي تعليقاته مشاعر من يشاركونه العيش في الشقة نفسها دون أن يكون لهم ذنب في ذلك. تضخم رف المؤلفات الدينية في مكتبته بعد أن اقترب الإسلاميون من السيطرة على الحكم، يراها ميزة أن جعله قدومهم يستذكر دينه من أول وجديد حتى يجيد الرد على من لا يتكلم إلا بقال الله وقال الرسول. لديه ثقة كبيرة أن معظم ما يؤمن به شخصيًّا قاله الله وقاله الرسول. هو ليست لديه مشكلة مع الإسلاميين، ولكن إذا كنت ستعيش مع من لا يتحدث إلا الصينية فقد وجب عليك أن تتعلمها، فما بالك بدينك؟!

إلى جوار السرير رف أدوية به دهان لا يغيب أبدًا، يعالج به كدمة مزمنة في ضلوعه تلقاها في الميدان، بينما يحاول إنقاذ شاب أجنبي ساقته سذاجته وحظه العثر إلى أن يتواجد في الميدان شاهرًا كاميرته الشخصية في عز اشتعال الأحداث، كان يريد أن يسحبه بعيدًا ليسلمه للجيش قبل أن يفتك به الغاضبون فيؤكدون للجالسين في بيوتهم يمصمصون الشفايف أن الميدان يعج بالبلطجية، إلى جوار الدهان توجد بقايا لثلاثة أدوية مختلفة من الكحة وتوسيع الشعب الهوائية التي أتلفها الغاز، أسفل الفراش توجد ثلاث زجاجات أبيكوجيل بقفلتها، وبخاخة مجهزة للاستخدام، بمرور الوقت ترسب الأبيكوجيل في قاعها، وبدا السائل الذي يملأها كالسوبيا المغشوشة.

بعد عام يتأمل ما خلفته الثورة في حياته وهو يقف تحت سيل الماء المنهمر: أصدقاء جددًا، وصحفًا، وبقايا أدوية، وفوارغ خرطوش، وكوفية هدية من أحد شباب الميدان، ذكرى لليالي البرد والونس، وآثار حبر فوسفوري، ومرشحًا لم ينجح، وإصابة خفيفة، وغضبًا مستترًا، وأحلامًا عصية على التفسير، وتسامحًا مؤجلًا، وترقبًا مشوبًا بالتفهم، وهتافات تعيد نفسها طول الوقت في أذنيه تحت الدش، وفرحة ما اختلطت ببخار الماء.

☆ ☆ ☆

برما كاتب قصة الرائد علاء

كانت أمه تعاني من ذبحة صدرية قديمة ساكنة، تتحرك بلا مقدمات أو مبررات واضحة، فيلحقها بحباية تحت اللسان. كان يزعجه دائمًا لون لسان أمه المائل إلى الزرقة في هذه اللحظات، كان يعرف أن الذبحة تتحرك إذا ما تحركت مشاعر أمه للخلف حيث ذكرياتها مع من رحلوا.

هو أيضًا يعاني من ضائقة مالية ساكنة تتحرك كلما تجاوزت مسؤولياته حدود اللقمة والدواء وكارت الشحن.

آخر مرَّة عرض عليه صديق له أن يعرفه بشخص يتاجر في تذاكر المباريات المهمة في السوق السوداء، سلمه خمسين تذكرة محددًا له أقل قيمة متوقعة من عائد بيع الواحدة، وما فوق هذا المبلغ حلال عليه.

استطاع أن ينهي مهمته ببراعة، حدد هدفه بدقة، أولاد الناس، استقر في أحد الأحياء الراقية، وقف على إحدى النواصي حاملًا علم مصر ومرتديًا قبعة لافتة للنظر، سيارة تلو الأخرى تتوقف عنده وتحمل ما تيسر من التذاكر ثم تنصرف، لم يراجعه أحد في أسعاره، أنجز مهمته في يومين، ثم عاد إلى تاجر الجملة بالحصيلة، وتذكرتين فشل في بيعهما، أعجب الرجل بشطارته فقال له: التذكرتان هدية.

في مقاعد الدرجة الأولى قالت له والدته إنها كانت تحلم منذ زمن بدخول الاستاد، وأن شقيقه الأكبر رحمه الله كان يسخر من رغبتها تلك دائمًا، بل كان يتهمها أن قدمها نحس على الفريق الذي يشجعه. ضحك ثم ربت على كتف أمه بعد أن فشلت في مقاومة دموعها وهي تشكو له، مسحت دموعها قائلة: بس أنا مسامحاه.

يعرف أن قدرة والدته على التسامح هي الموهبة التي خصها بها الله، يعرف أن الأمهات كلهن كذلك، لكن أمه تتسامح مع الأحزان التي تزرعها الدنيا في قلبها بشكل يجعل الأخبار الحلوة بالنسبة لها مربكة، ينقبض صدرها إذا ما داهمت الفرحة منزلهم، تبسمل وتحوقل وتصلي كثيرًا، تستعيذ بالله وتسهب في صلاتها بتبتل إلى أن ينقشع الفرح فتعود لطبيعتها.

أخذ يسمي لها اللاعبين، كانت هناك أسماء مألوفة لها، سألته عن بعضهم إن كانوا متزوجين، وإن كان الله قد رزقهم بأطفال، لم يكن يعرف أي معلومات، فاخترع إجابات كنوع من كرم الضيافة مع أمه، إجابات ترضيها، مثل أن حارس المرمى متزوج، ولديه ولد وبنت يدرسان في الأزهر، أما رأس الحربة فهو زوج ابنة مدرب المنتخب الذي يعتبره مثل ابنه، حيث إن المدرب خلفته كلها بنات.

أحرز المنتخب هدفًا، ثم قارب الوقت على الانتهاء، وكان لا بد من هدف آخر، ضاع الأمل فطلب من أمه أن يتحركا حتى يقدرا على الخروج قبل الزحام، وقفا وقبل أن يتحركا كان المنتخب قد أحرز هدفه الثاني، فاشتعل الملعب.

أطلقت أمه زغرودة. يعيش مع هذه المرأة أكثر من ثلاثين عامًا ولم يعرف أنها تجيد إطلاق الزغاريد، انتقلت إليها عدوى الفرحة وربما هي المرَّة الوحيدة في حياتها التي تستقبل فيها الفرحة باطمئنان، لأنها لا تخصها هي شخصيًّا.

أمسكت الأم فجأة بصدرها وعاودتها الذبحة، لم يجد الدواء في حقيبتها، كاد يموت خوفًا على والدته لكنه تماسك، كان عليه أن يحملها وينصرف سريعًا، حملها لكن الزحام لم يرحمه، لمح جنديًّا فطلب منه أن يساعده، شاركه في حمل أمه إلى أن اقتربا من ضابط يحمل جهاز لاسلكي، نادى من خلاله على الرائد علاء.

فتح الرائد علاء باب البوكس، ووضع الأم إلى جواره، وطلب منه أن يبقى مع الجندي في مؤخرة البوكس، فتح الضابط سارينة السيارة ليشق الزحام وينجو بالمرأة التي تحتضر، كانت السيارة تتحرك ببطء لكنها تتحرك، وكان الجميع يفتحون الطريق للسيارة وهم يهللون.

كان هو في مؤخرة البوكس، ومن خلال مربع صغير كان ينظر داخل الكابينة ليطمئن على أمه، كان ينقل النظر بينها وبين الضابط وكأنه يوحي إليه أن يسرع، لم يكن الضابط بحاجة إلى توصية، كان جادًّا فيما يفعله، خوفه على أمه أفقده التركيز فزاغت عيناه، وكلما أطل من خلال مربع الكابينة الزجاجي كانت عيناه تتشبثان بالنسر النحاسي المعلق على كتف الضابط فيلهمه ثباتًا ما.

في المستشفى، وبينما الأم تتلقى إسعافًا مكثفًا، كان الضابط يخبر أحد رؤسائه عبر الهاتف عن سبب تواجده بعيدًا عن مكان الخدمة، احتد على من يحادثه، سحب علبة سجائره فوجدها فارغة فألقاها في سلة المهملات.

كان هو مشغولًا بأمه، لكن لم يتردد في أن يقدم علبة سجائره للضابط، شكره الضابط وفتح العلبة فأطلت منها سيجارتان محشوتان بالمخدرات، نظر الضابط إليه مندهشًا في اللحظة التي خرج فيها الطبيب ليطمئنهما على استقرار حالة الأم وينصرف.

وقفا يتبادلان الصمت والحيرة، بينما الضابط يعيد له علبة السجائر، كان الضابط وسيمًا وكان النسر النحاسي يلمع من جديد فوق كتفه، أما هو فقد كان مرتبكًا للغاية ورأسه في الأرض، طالت اللحظة قليلًا إلى أن التقت أعينهما فانفجرا في الضحك.

☆ ☆ ☆

برما كاتب قصة العسل الأسود

سألته أمه عما يود أن يتناوله كطعام للعشاء، فقال لها: أي حاجة. قالت له إنه نسخة أخرى من والده الذي لم يتشدد يومًا بخصوص نوعية الطعام أو جودته، ولم يتردد يومًا في أن يتناول الموجود أيًّا كان عندما يشعر بالجوع. قالت إنه لم يحدث يومًا أن أيقظها من نومها لتعد له الطعام، ولم يحدث يومًا أن طلب صنفًا بعينه على الغداء أو حتى في رمضان، بل إنه على مدى عشرتهما التي تزيد على ثلاثين عامًا لم تتغير إجابته عن سؤال تتغدى إيه بكره؟. خلال هذه السنوات كان يقدم الإجابة نفسها للسؤال نفسه: أي حاجة. لا هو اشتهى أكلة محددة، ولا الأم توقفت عن السؤال. وحده كان يراقب هذا الحوار من بعيد ليتأكد يومًا بعد يوم من أكذوبة أن الناس بتتغير بعد الزواج.

قال لأمه: ربما لأن أبي شب يتيم الأم فهو غير معتاد على رفاهية الإجابة عن سؤال تاكل إيه؟ الذي لم تنطقه يومًا زوجة أبيه. رفضت الأم هذا التفسير وقالت له: لا، ما أظنش، وبعدين ما توجعش قلبي عليه.. بطل الكلام ده. وضحك الاثنان، وذهب كلٌّ منهما إلى النوم.

بعد منتصف الليل استيقظ جائعًا فتوجه إلى المطبخ، وجد والده هناك ممسكًا برغيف من الخبز البلدي في يد وفي اليد الأخرى كسرة من الرغيف يخلط بها العسل الأسود بقليل من الطحينة في طبق بلاستيك صغير. دعاه والده لأن يشاركه وجبة العشاء، فأبدى موافقة سريعة. أخرج الأب رغيفًا من الثلاجة وقام بتسخينه بمهارة على نار البوتاجاز الهادئة، فاحت رائحة الخبز فأثارت شهيته، وسرت في أوصاله سعادة ما عندما احتكت يده بيد والده وهما يغمسان العيش الساخن في اللحظة نفسها في طبق العسل.

أعاد على أبيه الحوار الذي دار بينه وبين أمه، ونقل له وجهة نظرها في كونه الزوج المثالي الذي لا يشقى أهل بيته بكثرة طلباته، ثم أخبره عن تعاطفها الشديد معه ولهفة قلبها عليه التي فجرتها الإشارة إلى طفولته التي قضاها يتيمًا، ضحك الأب في خجل، وقال بحكمته المعهودة: مش للدرجة دي، أنا من زمان طبعي كده، كل أكل ربنا جميل، وأحلى أكلة في الدنيا بالنسبة لي أي أكلة والواحد جعان.

نفد العسل الأسود، عرض على والده المزيد، لكنه رفض وطلب منه أن يعد لهما كوبين من الشاي الخفيف بالنعناع البلدي، أعدهما الابن ثم دخل إلى البلكونة فوجد أباه يدخن سيجارته وهو شارد، سأل أباه عن سر شروده، فأخذ الأب نفسًا عميقًا من سيجارته وقال له: تصدق أنا عمري ما حبيت يوم عيد الأم ده.

☆ ☆ ☆

برما وبذور لم تلتقِ يومًا.. بالزهور التي أصبحتها

عند الغوص في بحور أفكار الخواجة كنت أخشى أن أفقد حماسي بعد وقت قصير، لكنني وجدت زيج زيجلر في استقبالي يقول إن الحماس لا يدوم طويلًا.. كذلك آثار الاستحمام، لذلك نوصي بالاستحمام يوميًّا.

هل كنت أغوص بحثًا عن سعادة ما؟ يقول مارك توين إن السعادة تتحرك باتجاهك في اللحظة التي تبدأ فيها ضخ السعادة باتجاه الآخرين. أنا شخصيًّا أرى أن إسعاد الآخرين طموح راقٍ، لكن الخوف من الفشل لم يترك شخصًا في حاله، ولكن روزفلت يقول إن الكوكب لن يمنحك الشعور بالفشل بدون موافقتك. إقرارك بالفشل هو الفشل بعينه، يقول سبريتي لوريانو: كل القصص العظيمة في التاريخ تقوم على تفصيلة درامية واحدة فقط وهي أن البطل لم يستسلم أبدًا.

ويقول تشرشل إن النجاح هو الانتقال من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماسك. ويقول بيكاسو: أقوم بالأعمال التي أعرف أنني لن أستطيع يومًا ما أن أفعلها، وإلا كيف سأتعلم القيام بها؟ ويقول آدم أوسبورن إن الأخطاء هي أعظم ما يمكن أن تفعله، فلن تتعلم شيئًا من كونك مثاليًّا. إديسون نفسه قال: لم أفشل، ولكنني اكتشفت أكثر من عشرة آلاف طريقة خاطئة لتنفيذ ما أحلم به.

هناك من يفشل قبل أن يبدأ لأنه يكسر مجاديفه بنفسه، وهو شخص يقول له هنري فورد: العوائق هي كل ما تراه عندما تنظر بعيدًا عن الهدف. وهناك من يفشل لأنه قصير النفس، وهو شخص يقول له جون ماث: إن كنت لن تمشي الطريق إلى آخره فلمَ تمشيه من الأساس. وهناك من يفشل لخلل في طريقة تفكيره، وهو شخص يقول له ديفيد بوليم: قد تعتقد أنك تفكر من جديد، والحقيقة أن كل ما تفعله هو مجرد إعادة ترتيب لأفكارك القديمة وأحكامك المسبقة. هناك من يفشل لأنه يخاف من المغامرة، وهو شخص يقول له ويليام شيد: تشعر السفينة بالأمان التام في الميناء لكنها لم تصمم لهذا الغرض.

عمومًا يقول جي إم بور: لكي تحول أحلامك إلى حقيقة لا بد وكخطوة أولى أن تصحو وتغادر الفراش. من المهم ألا تبادر نفسك بالإحباط فقط اعمل اللي عليك، فتشارلز شواب يقول: الشخص الذي قدم كل ما يقدر عليه هو شخص قدم كل شيء. وراهن على نفسك، فغاندي يقول: أنت هو التغيير الوحيد الذي يجب أن تتمنى حدوثه في العالم، ويقول أليناور باور: أنت في حد ذاتك هدية من الله لك، وما ستصبح عليه هو الطريقة التي سترد بها الهدية. ربما تكون مشكلتك كما يقول مالكوم فوربس أنك تبالغ في تقييم كل شيء حولك ما عدا نفسك. أو ربما تكون مشكلتك كما يقول هنري فورد أنك تنشغل بتأمل الأخطاء على حساب تأمل العلاج.

أو ربما المشكلة كما يقول آدم بيفرلي في الانشغال بإدارة الوقت بينما اللعبة كلها في إدارة الاختيارات.

لا تنشغل بمصير أحلامك، يقول حكيم صيني مجهول: إن البذور لم تلتقِ يومًا بالزهور التي أصبحتها. وهو معنى يؤكده نلسون هندرسون إذ قال: لن تستمتع بالحياة قبل أن تعرف معناها، وهو بسيط للغاية، أن تزرع شجرة سيجلس في ظلها يومًا شخص لا تعرفه.

راهن على الخيال أكثر من المعرفة كما يقول أينشتاين، وهو القائل أيضًا: إن المنطق ينقلك من رقم 1 إلى رقم 2، بينما الخيال ينقلك إلى كل مكان. ويقول بوب بركتور: لو تمتلك خيالًا جيدًا ستكتشف أن المكان الذي يجب أن تصل إليه لا يقارن أبدًا بالمكان الذي تقف فيه الآن. ويقول أوليف هولمز: عندما يتمدد المخ بفعل فكرة جديدة فإنه لا يعود إلى مقاسه القديم أبدًا.

عمومًا ينصحك كارل بارد بأنه ربما لا تمتلك فرصة للعودة إلى الخلف لصنع بداية جديدة، لكنك تمتلك الآن على الأقل فرصة لصناعة النهاية، يمكنك الآن أن تنهي مرحلة ولديك رصيد من الفشل أو النجاح ـ وكلاهما مفيد ـ

لعمل بداية جديدة، فتجربة الحياة فرصة ثمينة. ويقول ميل جيبسون على لسان وليام والاس في فيلم قلب شجاع: كلنا سنموت، لكنْ قليلون منا سيعيشون. فعليك أن تفكر من جديد في كل شيء، وضع في حساباتك وصية فرانك أوت لو: راقب أفكارك فهي تتحول إلى كلمات، وراقب كلماتك فهي تتحول إلى أفعال، وراقب أفعالك فهي تتحول إلى عادات، وراقب عاداتك لأنها تصنع شخصيتك، وراقب شخصيتك فهي مصيرك.

☆ ☆ ☆

برما وشروط الحداية لإلقاء الكتاكيت

قال برما: لكل اختراع على الأرض جنسية ما، ما عدا الألعاب، فهي اختراع قدمه الأطفال للبشرية متجاوزًا التاريخ والحدود والجنسيات، فلا يمكن الجزم بأن الاستغماية اختراع اسكتلندي، ولا أن نط الحبل قادم من حضارة شرق آسيا. لا أتحدث عن الألعاب الحديثة، ولكن عن الألعاب التي خرجت من بطن الفطرة ربما في وقت واحد، لكن في أماكن متناثرة على الكوكب.

اخترع الأطفال ألعابهم ليمتلكوا طريقة تشبههم في استكشاف الكون وقدراتهم كبشر، والجميل أن كل طفل تفوق في لعبة ظلت بداخله حتى آخر يوم له على الأرض، فالبارع في الاستغماية ومشتقاتها يكبر وهو يمتلك القدرة على إخفاء عيوبه، وأن يداري على الناس ما يحلو له أن يداريه، هذا الشخص الذي بدأ حياته يتدرب على فن الاختباء بإخلاص، اكتسب مهارة لا بد أن يحمد الله عليها في عالم قائم على الفضول وملاحقة الآخرين، مهارته تلك تعظم كلما كان قرينه في اللعبة شخصًا يمتلك ذكاء المطاردة وقراءة أفكار الآخرين، هذان الشخصان خرجا من اللعبة بفائدة تتجاوز اللهو، هما أفضل من في شلة الاستغماية، أقرانهما بين شخص يمكن توقعه بسهولة (اطلع يا مراد من ورا العربية)، وشخص قليل الحيلة يقع في قبضة اللي هيغمي عينيه بمجرد أن يفتحهما، وشخص ثقيل الدم يقف مكانه بجوار حائط التثبيت منتظرًا أن يظهر أحدهم دون أدنى رغبة في المغامرة أو حتى تشغيل المخ. فقط من يجتهد في قراءة خريطة المكان جيدًا يكبر، فيصبح على علم بكل نقطة في عالمه تخصه وتجعله مميزًا، ووحده من يجتهد في قراءة أفكار كل من يشاركونه اللعبة، يكبر فيصبح قادرًا على قراءة أفكارهم، فإما أن يعبر عنهم أو أن يستدرجهم في تحقيقات النيابة للاعتراف.

لاعبو السيجا أو إكس أو، هم المفكرون العظماء المؤسسون لمبدأ اللعب على خسارة الخصم هو أقصر طريق للفوز، فتراهم معظم الوقت مشغولين أكثر بالتقفيل على الخصم، يمتلكون مهارة إرباك المنافس، ويعولون عليها، إذ غالبًا ما تقصر عليهم الطريق بالفعل، لكن أهم ما يكبر معهم من حكمة هذه اللعبة أن الخسارة ليست مسألة مباراة واحدة، فخسائر متعددة ستقود حتمًا لانتصار ما، ووقتها يتحدد مصير الاستمرار في اللعب.

مدمنو نلعب عصابة أو رست أو كل ما ينطوي على عنف، هم الذين يشبون وتكبر معهم فكرة أن البقاء للأقوى، وبمرور العمر يترجمون القوة في مال أو منصب أو حقن عضلات، يفرحون في البداية بالحصول على مرتبة القوة الأقرب لفطرة الطفولة، أولئك الذين كثيرًا ما تأملوا عضلاتهم النحيفة أمام المرآة، غير مهتمين بالقراءة أو الروحانيات إلا نادرًا، ويؤمنون أن فكرة القيادة قد خُلقت من أجلهم، ومخالفيهم يستحقون ضربًا يتغير شكله بتغير نوع القوة.

الأوله لعبة البنات المفضلة تلخص قصة حياتهن في بلد شرقي، لا بد من الخفة والدلال مع تشغيل المخ والحرص، فالحركة من مربع إلى مربع محسوبة، ودخول مربع خطأ غلطة لا تُغتفر قد تهدم اللعبة كلها.

مدمن ملك ولَّا كتابة، هو الطفل النصاب أبو دم خفيف، أكثر أبناء شلته حبًّا للمقامرة في معناها الأوسع، هو أكثرهم تحقيقًا لإنجازات تدعو للفخر، وهو في الوقت نفسه من أكثرهم انكسارات.

مدمن القراءة، هو الطفل المتوحد في شلته الذي لا تشعر بوجوده حتى تصل إلى اللحظة التي يغير فيها وجهة نظرك في الحياة كلها بكلمة طائشة أو ربما بسؤال ينعش خلايا مخك: هل تعرف ما هي شروط الحداية لإلقاء الكتاكيت؟.

مدمن البلي لعبًا وجمعًا، هو طفل مادي يكبر ومسألة كنز الأشياء تشغله، لكن دون احتيال، هو مجتهد بالفطرة ولا تعيبه رغبة ملحة في الاستحواذ ما دامت في حدود المعقول، هي تتخطى حدود المعقول أحيانًا إذا كان طفلًا سمينًا وبخدود.

مدمن نلعب بيت أو عريس وعروسة، سيشب اجتماعيًّا، ومع ذلك سيمر وقت طويل قبل أن يستقر في بيت حقيقي بعروسة حقيقية.

مدمن بنك الحظ، سيشب كلاسيكيًّا مؤمنًا أن العمر محطات، وأجمل ما في كلاسيكيته إيمانه بأنه لا بأس مهما تأزمت الأمور من العودة مجددًا للمحطة الأولى.

مدمن النبلة وبنادق الصيد، طفل يشب قليل الكلام، ذا صمت مهيب، كثير السكون، وقادرًا على امتلاك أعصابه، ولا يتحرك إلا في اللحظة المناسبة، حركة من أعماق السكون مليئة بقوة مكتومة، فاحذر ضرباته.

☆ ☆ ☆

برما وملكة البرتقال

سأل البائع برما: أخذت من أبو 4 ولّا من أبو 6؟. أزعجه السؤال إذ كان يؤمن أن مظهره لا يوحي أبدًا بأنه من النوع الذي يأخذ من أبو 4، عندما يشتري الفاكهة بالذات يختار من الرصة ذات السعر الأعلى، على الأقل ليشعر أنه عمل اللي عليه للحصول على أفضل ثمار ممكنة.

كان البرتقال الأخضر المعروض له جاذبية سحرية، الأخضر هو لون البرتقال في بداياته، من هنا جاء السحر، فكل شيء في الكون يأخذ في بدايته لونًا متميزًا، وبمرور الوقت يعود إلى لونه التقليدي، بداية من الحب نهاية بالبرتقال، لولا سحر البدايات لتوقف الكون عن الحركة.

أخذ برتقالة إلى غرفته، ووضعها أمامه على المنضدة، احتار كيف يأكلها.

هل يأكلها من باب المعجزة الإلهية في هذه الثمرة؟ هل يتأمل تلك الرسالة الصغيرة التي تقول يمكن للضدين أن يجتمعا فيخلبان القلوب: طعم الملح، وطعم السكر؟ في كل فص ينتصر أحدهما على الآخر، وعلى مدى ثمانية فصوص على الأقل يختبر الواحد ثماني تجارب للائتلاف لا تشبه واحدة الأخرى، هل يمكنك أن تروي شهوتين في وقت واحد، الجوع والعطش؟ الفص يمكن أن يصبح لقمة تسند المعدة، وما الفص إلا قطرات ماء متراصة بإحكام، يمكنك أن تخلص في العبادة فتصبح روحك صلبة، وحتى لا تنقلب الصلابة جفافًا يبل الله ريقك بنعم الدنيا التي حرضك عليها في رسالاته لتنعم بحياتك.

هل يأكلها من باب الطفولة؟ يعرف أنه كبر، لأنه لم يعد يصادف في كيس البرتقال الذي أحضره والده ثمرة البرتقال أبو دمه، حيث كان الفص يبدو من الخارج وكأنه قد أصيب بجلطة، كان دم البرتقال سكريًّا جدًّا، وعندما كبر عرف أن طعم الدم في كل الكائنات يميل لهذا المذاق. يتذكر أن المازني الأديب الكبير المعروف كان أول من أدخل زراعة هذا النوع من البرتقال في مزرعته بمديرية الشرقية، هو لم يقرأ حرفًا للمازني، لكنه يعرف أنه كبر لأن نزلات البرد ـ صغيرًا ـ كانت تعني أكبر طبق برتقال ممكن فوق البطانية ليشفى سريعًا، الآن ولا خمس كيلوجرامات ستشفيه بعد أن دخل مرحلة احتياج الجسد لفيتامين سي صريح عبر كبسولة تحمل رقمًا مخيفًا. (500) يعرف أنه كبر، لأنه لم يعد يعيش مع والدته التي تطالب الأسرة بالحفاظ على القشر لتبشره صانعة منه كيكة البرتقال، أو التي تطالبهم بمحدش يقرب من البرتقال، لأنه في طريقه لأن يصبح مربى تزينها حبات القرنفل اللاذعة التي ستزعجه كثيرًا في الفسحة المدرسية وهو يتناول الساندويتش. كبر لأنه أصبح يعتمد على نفسه في تقشير الثمرة والخروج بها سليمة تمامًا مهما كانت القشرة لزجة، ومهما كانت الثمرة ضعيفة، وهي المهارة التي اكتسبها من كثرة الدخول والخروج من عربات المترو.

هل يأكلها من باب الفائدة الصحية؟ يقول علامة عصره وحكيم زمانه السيد جوجل في بحث عشوائي بدون علامات اقتباس: البرتقال عظيم الفائدة للمرضعات. وهو لم يختبر هذه المسألة طبعًا، لكنه تذكر رسمًا تشريحيًّا لثدي الأم، وتذكر أن غدة الرضاعة تشبه بالضبط ثمرة برتقال شفافة صغيرة. قال له جوجل: البرتقال به 28 عنصرًا غذائيًّا، أهمها: الحديد، والفوسفور، والكالسيوم، وفيتامين ب، وفيتامين سي، ويصفي الدم، ويطرد البلغم، ومنظف للكلية والمثانة، ويعالج الإمساك، ويقوي الأعصاب والقلب، ويطرد الغازات والآثار السامة للأدوية، وصندوق برتقال في البيت أفضل من صيدلية صغيرة. أما نفسيًّا فهو منوم ومهدئ، وملطف للمزاج، وفاتح للشهية، ويعتبره الصينيون رمز السعادة، ويقول الفرس عن شجرة البرتقال إنها شجرة الفردوس.

فتنته ثمرة البرتقال، فأمعن في التوحد معها. شجرة البرتقال صبور، لا تطرح قبل أربع سنوات، إن صبرت عليها تظل كريمة معك ما لا يقل عن خمسين عامًا. شجر البرتقال في الحلم يعني صحة موفورة ورزقًا وفيرًا، لكن أكله في الحلم يعني قلقًا وهمًّا، بالرغم من أنك إذا حلمت بأنك تطعم زوجتك برتقالًا فهذا يعني زوال الخلاف والمنغصات، لكن إذا رأيت نفسك نائمًا فوق كومة برتقال فهذا معناه رحيل شخص تحبه. لم تفرق كتب الأحلام بين نوعية البرتقال (يا سيدي، أهو كله برتقال)، لكن أبو صرة لا يحب الصحراء، والبلدي للعصير، لكن يعاب عليه كثرة البذور، والسكري ليس به نقطة سكر زائدة عن أي نوع، يبدو سكريًّا لأنه خالٍ من الحموضة فقط، والخليلي البيضاوي ذو القشرة الفاخرة السميكة خلقه الله مخصوصًا للتجار، لأنه أكثر الأنواع تحملًا للشحن والسفر. وأشهر التجار في اليمن لقبها ملكة البرتقال، في اليمن يعتبر قيام النساء بمهنة التجارة عارًا يورث قبيلتها وصمة ذل لا تنمحي إلا بقتل هذه المرأة، لكن آمنة العمراني تحدَّت كل ذلك منذ ثلاثين عامًا، وسارت في تجارة البرتقال من نجاح إلى نجاح لا يساندها إلا زوجها، لكن في المقابل قاطعها أشقاؤها وبقية أقاربها لسنوات، واجهت في السوق حربًا مميتة تقول عنها: حاولوا معايا يكسروني كتير وما نفعش.. ما نفع إلا الله. ملكة البرتقال لم يسبقها أحد في الكوكب إلى هذا اللقب، شاهدها في لقاء تلفزيوني منذ فترة، في عينيها تفرد غريب، ربما ستجد مثله في البرتقال الذي لو تكلم ستعرف أنه يكره أن يضعه أحد في تلك الثنائيات الساذجة: شوية برتقال وموز أو شوية برتقال ويوستفندي.

فكر أن يغني للثمرة قبل أن يلتهمها، فكر أن البرتقال حظه سيِّئ في الغناء، ما بين غنوة خالية من الحماس: يا اللي زرعتوا البرتقان يلَّا اجمعوه، واستخفاف بحضوره في أغنية محمد رشدي: تحت الشجر يا وهيبة ياما كلنا البرتقان، لكنه فجأة تذكر واحدة ظهرت في ظروف استثنائية، بعد أن كسر الأمريكان العراق، استطاعت هذه الأغنية العراقية أن تكسر الدنيا، أمسك الثمرة وبدأ في تقشيرها مبتسمًا وهو يغني لها: يا البرتقالة.. يا البرتقالة.. واش بيكِ على ابن الناس.. عذبتِ حاله.. يا البرتقالة.

كان يلتهم البرتقالة وهو غير متأكد إن كان كل ما سبق مجرد أفكار تتحرك في عقله، أم أن البرتقالة كانت تكلمه بالفعل وتدلي له باعترافها الأخير.

☆ ☆ ☆

برما مسلم مصري

قال برما: وضع كل بلد لمسته الخاصة على الإسلام، فأصبح هناك نسخ عديدة، قلبها واحد، لكنها متعددة المذاقات. أنا شخصيًّا مفتون باللمسة المصرية، وتأسرني بساطتها وتعصب المصريين في التمسك بها. انحناءة الصلاة ليست الوحيدة التي يراها المصريون انحناءة العبادة، عندك انحناءة عدل الشبشب المقلوب، أو انحناءة التقاط كسرة الخبز من على الأرض.

نحن شعب يتعبَّد بالقُبلات: قبلة أول رزق في اليوم قبل أن تستقر تحت شماسة التاكسي. أو تقبيل الكف وش وضهر قبل مغادرة فرشة الطعام. وهناك الصنايعي الموهوب الذي ما إن يعجبه عمله حتى يُقبِّل أصابع يده واحدًا تلو الآخر. تلقائية أن تُقبِّل المصحف ما دام مر في يدك - ولو بالصدفة - في الطريق لواحد يطلبه.

عد النقود بطريقة الله واحد.. ملوش تاني. الإيمان بأن التكبير في الأذن يعيد من فقد وعيه إلى الحياة حتى لو كان في غيبوبة سكر. الوقوف لنعش يمر في الطريق العام مع التلويح بإصبع التوحيد، الإصبع الذي لا يستقر على حال أثناء التشهد، وكلما تحرك شعر الواحد باندماجه في الصلاة. تقسيم المحبة في ميدالية فضية من نصفين: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، إنها أيقونة التلاقي من جديد مهما طال الفراق. الخوف من أن يحل غضب الله إذا ما قلت: أنا، والعياذ بالله من قولة أنا! الاستعانة بحول الله في الاصطباحات المقلقة: اصطبحنا واصطبح الملك لله. الإيمان بأن مفتاح الفرج في يديك: فكها علشان ربنا يفكها علينا!. مهارة عد النعم مهما كان الحال بائسًا بالمقاييس البشرية: ربنا مشحتني حاجات كتير. أيقونة البركة التي تضاعف الطعام باللمة، وتجعل نظرية ربنا مش مِبارك تفسيرًا لتدهور أحوال كل من سلك الطريق الشمال. كان ياما كان وأصلًا أصلًا لا يحلو الحديث إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام، والعين صابتني ورب العرش نجاني، ذلك لأن يقيني بالله يقيني، وربنا لما قسم العقول كل واحد عجبه عقله، وعندما قسم الأرزاق أعجب كل واحد برزق غيره! وسؤال قديم لجدتي في الطفولة: هو ربنا بيشتغل إيه؟، فقالت لي: بيرزق الناس يا حبيبي.

المايوه الشرعي ذو الست قطع. الفرح لا بد أن يبدأ بأسماء الله الحسنى حتى لو كان كل من في الفرح ينتظر البهجة مع أغنية أنا شارب 3 ستيلا. النبي قبل الهدية، وجوزوهم فقرا يغنيهم ربنا، والأم في قبرها بتدعي لابنها لأن رضا الرب من رضا الأب، ما عفريت إلا بني آدم، مع إن العفريت مذكور في القرآن: قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. نحن مرفأ آل البيت الذين لم يجدوا أمانًا قدر الذي وجدوه في مصر لدرجة أن المصريين من فرط المحبة كانوا يمنعونهم من الرحيل عن البلد إذا فكروا في ذلك.

فرحة الهدف لم يعد لها معنى ما لم تبدأ أو تنتهي بالسجدة. يمكنك أن تنصرف وتغلق محلك تاركًا بداخله الراديو مفتوحًا على إذاعة القرآن الكريم. الاقتباسات موجودة

حتى في الأمثال: لو نسيت الفاتحة تصلي بإيه؟، وفي مشاجرات التوك شو: ما تعاملنيش بطريقة لا تقربوا الصلاة، وفي أسماء المحلات والشركات والأحزاب بداية من التوحيد والنور، نهاية بـالنور، مرورًا بـالصفا والمروة، وكبابجي الإيمان، وبقالة الصحابة، وصيدلية الشيماء، وبرج الصابرين.

التقى الشاعر إبراهيم ناجي بشخص ملحد يقول إن الأصل في الكون هو الطبيعة، وظل يرددها، فقال له ناجي: أنا عايز أفهم حاجة، لما تبقى بتسمع أم كلثوم وتتسلطن بتقول: الله الله يا ست، ولّا بتقول الطبيعة الطبيعة يا ست؟. الكفر عندنا لا يتعلق بمسألة التوحيد، بل إنه يضع شروطًا أصعب من ذلك كثيرًا، فعدم الرضا على النعم كفر، وإيذاء الآخرين كفر، وقلة الصبر في المصائب كفر، طيب وحِّد الله.

اقرأ المعوذتين في سرك وأنت داخل الفرح، وإذا قابلك كمين قل في سرك: فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، وأنت داخل على الإنترفيو بص في عين المدير وقل في سرك: الله أكبر، وما ترميش الورق ليكون فيه اسم ربنا، اللي مات ربنا افتكره، ومن اغتنى ربنا فتحها عليه، ومن مرض ربنا بيطهره من الذنوب، والمبتلى ربنا بيختبره، والغائب ربنا يرجعه بالسلامة، والغلطان ربنا يسامحه فإن ساق في الغلط يبقى ربنا يوريني فيه يوم، فإن استحلى العملية فربنا ياخده، وعمومًا إحنا مخلوقين علشان نقول بس: الحمد لله، ما توقفش في وش اللي بيصلي يا ولد، وسمِّ قبل ما تاكل يا بني آدم، وسلِّم على عمو.. السلام باليمين يا جحش!

☆ ☆ ☆

برما وشهوة البرنس

في الطريق إلى إمبابة مع برما، سألني عن سر اختيار هذا المطعم بالذات لدعوة العشاء، فقررت أن أحكي له الموضوع من أوله.

في النصف الثاني من التسعينيات كنت أستعد لامتحانات نهاية العام الجامعي بمعسكر في بيت زميل عزيز في إمبابة. ذات ليلة، وبينما يسرقنا الوقت كعادة أي طالب مصري، وعدني أننا إذا انتهينا من مراجعة مذكرة الاقتصاد قبل الثانية عشرة مساء ستكون الحلاوة هي عشرة خمستاشر رغيف كبدة من عالم الأساطير. قال في حب هذه الساندويتشات إنها خمر تُذهب العقل، وتبعث على النشوة بطريقة لم يعهدها وهو الذي قضى عمره كله يتنقل من عربة كبدة إلى أخرى. وقال إن صانع هذه الساندويتشات اسم على مسمى: البرنس. وأخذ يتفنن في شرح الطريقة التي تذوب بها قطع صغيرة من السمين في حضن قطع الكبدة الجملي وهي تروح يمينًا ويسارًا على النار بين قطع الفلفل الحامي. وقال إن صانع الساندويتشات لديه خلطة سحرية اسمها بطن النار، يُلقي بها في الطاسة قبل أن تنضج الكبدة تمامًا، تغلب عليها الكسبرة والثوم وتوابل أخرى. كان يحكي ويزيد ويعيد حتى حلت الساعة الثانية عشرة، فنزلنا الشارع على وعد بأن نسهر على مذكرة الاقتصاد حتى الصباح بعد عودتنا من عند ساحر الكبدة.

كانت عربة زجاجية عادية، يوجد مثلها أسفل كل كوبري في القاهرة، لكن الزحام كان كثيفًا، وكانت رائحة الطهي كفيلة بأن تقلِّب على الواحد كل شجونه، وأن تُذكره بالحبايب في كل آوان ومكان. كانت ليلة للذكرى، أكلنا حتى سقطنا في هوة بئر السعادة العميق، وظللت أمتحن مادة الاقتصاد مرَّة تلو الأخرى، إلى أن امتحنتها للمرَّة الأخيرة في دور شهر 11 مع المتخلفين، فنجحت وتخرجت بصعوبة، إذ كان استذكار هذه المادة صعبًا للغاية، أضعها أمامي فأتذكر البرنس فأغرق في تشويش ما، لا يزول إلا بصيحة تقطع صمت الليل تاكسي.. إمبابة يا أسطى؟.

مرَّت سنوات نسيت خلالها الأمر تمامًا، إلى أن تجددت الدعوة من صديق آخر لتناول العشاء عند البرنس. كانت عربة الكبدة الصغيرة التي تشغل تقاطع شارعين صغيرين قد اختفت تمامًا وحل محلها مطعم بترابيزات ودورة مياه. ظللت في كل زيارة ألمح التوسعات، في البداية حدث توسُّع بضم الدور العلوي للمطعم، ثم أصبحت البناية كلها تابعة للبرنس، ثم انضم له المنزل المجاور (يستخدم كمطبخ)، فأصبح الرصيف كله تابعًا للمحل، ثم نزل المطعم إلى الشارع فصارت ترابيزاته تحتل نصفه تقريبًا، ثم أضيف له محل في الجهة الأخرى كمخزن، ثم أضيف له محل آخر في الجهة نفسها يتم فتحه لاستقبال الزيادة المتوقعة في شهر رمضان، ثم أصبح الأمر لا يُطاق بعد أن أدخل البرنس خدمة الويتنج ليست، حيث يجلس الواحد في حدود حرم المطعم في انتظار أن يناديه العاملون ليجلس على ترابيزة مشتركة سعتها 12 شخصًا على الأقل.

لا أفكر للحظة أن أحسد الرجل، والحسد هو تمني زوال النعمة، وأنا لا أتمنى زوالها على الأقل ليس من أجل البرنس، ولكن من أجل معدتي الرقيقة، ربنا يزيده، لكن الواحد منذ عام 2005 تقريبًا وهو يتساءل متى ستنتهي أسطورة البرنس؟ عاصرنا وودعنا أساطير كثيرة وهو لا يزال شامخًا ولا عمرو دياب، انتهت أسطورة مطعم رضوان في الدقي، وقبله فرارجي عظمة، وقبلهما سجق مسرح نجم، وزيزو نتانة، وكبابجي أبو رامي، ومكرونة رضا، وكشري أبو عماد، ولم تعد أسماء عظيمة مثل: الرفاعي، وأبو شقرة، وسمسمة، تثير الشهية كما كانت منذ خمس سنوات، وصار فطاطري الدوار، وساندويتشات مؤمن، ومكرونة فرن تبيستي، ودينر بوكس كنتاكي، تفاصيل في حياتنا قد لا تعني لك شيئًا مُهمًّا مثل جريدة الأهرام، وماتشات إنبي في بطولة أفريقيا. لكن وحده البرنس لا تنتهي أسطورته (للأمانة هو وكشري أبو طارق)، سنوات طويلة ينتظر فيها الواحد أن يقول جملة ياه فاكر البرنس بتاع إمبابة؟ دون فائدة، يدفن الواحد أصدقاء له في عز الشباب ويتفادى البرنس بمهارة كل أسباب الرحيل، فيحسب له أنه يعمل منذ سنوات دون أن نسمع عن حالة تسمم واحدة، أو لحم مغشوش تضبطه مباحث التموين في ثلاجاته، أو مشكلة مع الضرائب، أو حتى مشاجرة تجيب ضلف المحل. يا راجل ده أي محل ممكن الشيف بتاعه يتغير فيفقد طعامه شهرته المعهودة، لكن لم يحدث مرَّة أن خرج الواحد قائلًا:

البرنس ما بقاش زي زمان.

محاولة تحليل أسباب نجاح البرنس، تشبه محاولة اكتشاف أسرار الطبيعة في مثلث برمودا، لكن على سبيل الاجتهاد لا بد من المحاولة.

هناك شهوة اسمها شهوة البرنس، وشهوة البرنس غير شهوة الطعام، يشتهي الواحد الطعام وهو جائع، بينما يشتهي الواحد البرنس وهوَّ نفسه مفتوحة. وهو الفرق بين أن يشتهي الواحد الطعام ليعيش، وبين أن يعيش الواحد لشهوة الطعام. هناك لحظة تسحب فيها من الكشك كيس شيبسي تأكله لتواسي به نفسك، وهناك لحظة تريد أن تكافئ فيها نفسك بأكلة، وهناك خروجة على هامشها الأكل، وهناك أكل على هامشه الخروجة. يشتهي الواحد الطعام في إطار القانون البشري العادي، ولكن الواحد يشتهي البرنس عندما يريد أن يتحرر من كل القوانين والقيود الممكنة. بداخل كل إنسان طفل صغير يريد أن يقفز في الطاجن الفخار أيًّا كان محتواه، ليقول للعالم أنا موجود، وكلي شهية وحب للحياة، ولا مانع لديَّ من الجلوس مع غرباء على منضدة واحدة لأمضغ الطعام بصوت عالٍ، وأضرب يدي بلقمة ودن القُطة في قلب الطبق تتلوها واحدة جديدة قبل أن أبتلع القديمة، وأن أمصمص العكاوي دون أدنى خوف على التيشيرت أو دون أي مراعاة لشعور أي شخص في الكوكب، وأن أسحب عيدان الجرجير الحي واحدًا تلو الآخر كرجل شوارعي يكره عشوائية الاختلاط في طبق السلطة، وأن أتغزل كما يحلو لي في رائحة طشة الملوخية القادمة من بعيد، مدلدلًا لساني ككلب حراسة حتى يصلني منها طبق تعوم الطشة فوق وجهه، وأن أكسر كل ما تربيت عليه من أصول بأن أطلب ربع سجق محمر إلى جوار الملوخية

مع قليل من المكرونة بالكبدة، وأبلع الخليط كله بالباذنجان المخلل والبابا غنوج. يحتاج الواحد كثيرًا إلى اللحظة التي يشعر فيها أنه ابن الطبيعة.

البرنس يُقدِّم لك خدماته في هذه اللحظة، يفتح أحضانه بكل الحب للحيوان البري الكامن بداخلك، ومن أجله يحرق قليلًا طبقة البصل التي تغطي طاجن اللحم، وينتقي العكاوي ويطهيها بحيث تذوب في فمك كالمانجو، ويبالغ في خلطة التقلية بالسمن التي يسكبها أمامك مباشرة في طاجن الملوخية، ويزين طبق المحمر المشكل بحبات اللية كمن يزين التورتة بحبات الكريز، ثم يقف لك بعيدًا عن الترابيزة مبتسمًا يلوح لك بـملاحة صغيرة، فإذا أردت يمكنك سكب قليل منها على وجه طبق الكوارع أو الطاجن أو الكبدة، ملاحة تمتلئ ببودرة جوزة الطيب حتى تكتمل الدماغ.

يلعب البرنس على اللحظة التي تختار أن تترجم فيها حبك لنفسك وللحياة بالطعام، هو راعٍ رسمي لشهوة حلال، وهو راعٍ مخلص، الأمر الذي يزيد حجم رعيته بالوقت، هو شخصيًّا لا يُصدِّق نجاحه، وهذا سبب آخر للاستمرار. لو كان يشعر بنجاحه لرفع من على الجدران صوره مع لعيبة كرة قدم اعتزل نصفهم، ومطربين لم يعد يستمع إليهم أحد، وممثلين زال عنهم قدر كبير من النجومية. لو كان يشعر بنجاحه لأدخل خدمة الشيشة ليكتمل الطقس، أو ربما لتغيرت معاملة طاقم العاملين للزبائن بكل ما فيهم من أصناف مستفزة أو متعالية أو تستخف دمها، كنا سنراه في هيئة أخرى غير جلبابه المعهود وسيارته متوسطة القيمة، ربما فكَّر أن يفتتح فرعًا جديدًا مثلما فعل كل من سبقوه إلى عالم النجاح وكانت سلسلة فروعهم أول خطوة في الطريق إلى الركاكة التجارية.

البرنس شخص عثر على نفسه في متر مربع، وكلما نجح ضم إلى هذا المتر على استحياء مترًا آخر مجاورًا. أذكر تمامًا أول مرَّة رأيته فيها وهو يصنع الساندويتشات بابتسامة غريبة، وقلت إن هذا الرجل وجد في ساندويتش الكبدة مناسبة للرومانسية.

خلاصة القول، إن الكبدة على قد ما تديها تديك.

لكن هذا لا يمنع أبدًا أنني في كل مرَّة أغادر فيها مطعم البرنس أقول لنفسي إنها المرَّة الأخيرة، وأؤكد لمن قاسمني اللقمتين رغبتي، وأراه يبادلني الشعور نفسه: لن نأتي إلى هنا مرَّة أخرى. فالواحد يخرج من عند البرنس مش فاهم حاجة، بعد أن استسلم للشهوة فأفرط وفرط، أفرط في الدفس وفرط في أصول الدفس. أقسم أنني لن أعود إليه، فالحيوان الكامن بداخلك ينكشف ثم سرعان ما يتخلى عنك فتتضح المأساة، لقد أكلت بعقل حيوان شره، ومعدة إنسان غلبان يوم ما يحب يصيع بيطلب البطاطس لارج.

كل مرة أقسم ألا أعود إليه، فأعود لأشحن من أجل صيام الأيام الثلاثة كفَّارة لليمين.

قلت لبرما: أعدك بوجبة لن تندم عليها.

فقال برما: لما نشوف.

☆ ☆ ☆

بالإذن

قبل أن أنصرف قلت له: أوصني يا برما، فقال: الكُتاب أمثالك وحدهم يعرفون أن الأفكار في كل مكان ما عدا غرفة المكتب. قلت له: أكل العيش صعب، فقال: فعلًا، ولكن لتعلم أن الشخص الوحيد في العالم الذي يأكل عيش بالضبط في مكان أكل العيش هو طبيب الأسنان.

قلت له: كلامك ساخر، يشبه كلام التنمية الذاتية وطبطبة الهروب من نصف الكوب الفارغ، فابتسم قائلًا: بالمناسبة، نظرية تأمل نصف الكوب المليان لا تصلح أبدًا كعلاج لمأساة البكاء على اللبن المسكوب.

قلت له: هذه فذلكة، فقال: بالعكس، الفكاكة بهجة المغفلين، وأنا أتفادى الفذلكة بقوة، لأن كثرتها تؤدي إلى حدوث تسلخات في المخ، لا شيء أجمل من تأمل القدر وتجنب تشريحه بالفلسفة، لكن هذا لا يمنع إيماني بأنه لو كانت الفنانة منى جبر قد توفيت أثناء الولادة ضمن أحداث فيلم الحفيد لحرمت مصر كلها من أغنية السبوع الوحيدة التي تمتلكها.

قلت له: الإسلام يطالبنا أصلًا بالإيمان المطلق بالقدر، فقال برما: علشان تكون بني آدم مسلم لا بد في البداية أن تكون بني آدم أصلًا!.

قلت له: زدني في الكلام عن الإيمان. قال برما: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، أي أنه صاحب الفضل في المرَّتين: في هَدَيْتَنَا وفي لَا تُزِغْ، فبالراحة على نفسك، وسلِّم له قلبك في الحالتين. وعندما تقول: الحمد لله فلتجعل الرضا كتفه بكتف طمعك في الزيادة، ما تقولش: اللهم دِمها نعمة واحفظها من الزوال، قُل: اللهم دِمها نعمة وزدها، فين الأدب لما تحسس ربنا إنك مستغني ومش عايز تاني؟ ولتعلم أنك لا تبحث عن رزقك بالهمة نفسها التي يبحث بها رزقك عنك، وهذا كلام غرضه الحث على الخلطة السحرية: الطمأنينة والسعي.

قلت له: يا لك من خبير يا برما!، فقال: أؤمن بالحكمة التي تقول إن الخبرة لها وجهان: وجه مشرق يظهر للناس، ووجه مؤلم في باطن الخبير هو الثمن الذي دفعه مقابل هذه الخبرة.

قلت له: هذه جملة تصلح للكتابة على تويتر، فقال: أسوأ ما في تويتر أنه اقتطع مساحة من الوقت المخصص للقراءة، تحديدًا الخاصة بالحمَّام، قلت له: بس بينفع، فقال: بينفع في الزحام، فالمشكلة في وقفة المحور أنها تتحول - لاإراديًّا - إلى وقفة مع النفس، لكن المأساة الأكبر في تويتر أنه يقدم تطبيقًا لنظرية تقول: إنه في هذه الأيام تضيع الأفكار بالتدريج وتتوارى لصالح الهوهوة!.

قلت له: هذا كلام لا يشبه الديمقراطية أبدًا يا برما، فقال: يقولون: مثلما يستخرجون من سم الثعبان علاجًا يمكن أن نستخرج من الديكتاتورية علاجًا لأخطاء الديمقراطية. الديكتاتورية تساعدك على تحطيم الأفكار التي بدأت الناس تقدسها

رغم كونها مضللة، مثل نظرية حب ما تعمل حتى تعمل ما تحب، فالواقع يقول إذا أحببت ما تعمل فلن تعمل ما تحب أبدًا. وعمومًا النظر إلى الفكرة من جانب واحد يعميك عن تجليات كثيرة لها، يقول الإنسان: عصفور على اليد أفضل من عشرة على الشجرة، وتقول الشجرة: الإنسان مجنون، فعشرة عصافير في أحضاني أفضل من واحد في يد إنسان، وتقول العصافير: عبوكوا كلكوا!.

القطط التي يعايرها البعض بأنها بـ 7 أرواح لا يعرفون أن الله خلقها بـ 7 أرواح حتى تحدث التوازن البيئي المطلوب مع الأرواح التي تتلوث بمرور الوقت. ويقولون عن القطط: بتاكل وتتكر وبتاكل ولادها، طيب ما هو طبيعي إنها إذا أكلت أولادها أن تأكل وتتكر! الناس مشكلتها عمومًا أنها مشغولة بالناس، مع إنك لو خليتك في حالك هتكسر الدنيا. الناس غريبة عمومًا، بل إن الناس أكثر غرابة مما يعتقد وائل جسار!.

قلت له: ولكن المنافسة سر دوران الكوكب يا برما، فقال: يا هناه اللي ينافس نفسه، خليك في نفسك، ولا تصدق نظرية الاستلواح سر النجاح، وابحث عن باب جديد في الحياة لتفتحه، ولتضع في يقينك أن الشخص الذي فتح الباب هو الذي اخترع الطريق، فامنح البشرية طريقًا جديدًا ولو بإشارة منك باتجاهه، البشر الذين يعيشون لهذا السبب هم الذين عاشوا بالفعل، وما سواهم من البشر إلا مجرد فخار بيكسَّر في بعضه!.

قلت له: ولكن الحياة صعبة يا برما، فقال: لولا الشطف والعصر مفيش حاجة هتنضف من بيجامة الواحد لحد قلبه، كن واثقًا أن كل صعوبة تقابلها هي صعوبة مخاض، هناك شيء جديد بداخلك يطلب الحياة، فتحمَّل حتى تفرح بالمولود.

سيطر الصمت على المكان، بينما ألم أشيائي لأنصرف وأنا أفكر في الكلام.

التفت فوجدت برما مبتسمًا، ابتسمت، فقال لي: يا صديقي، تذكر دائمًا حكمة الفيلسوف الهندي: الحياة بسيطة جدًّا، هي صعبة فقط لأنك لا تؤمن بذلك.

قلت له: أشكرك يا برما، وجودك في حياتي صنع فارقًا لم أحلم به. مش عارف من غيرك كنت هاعمل إيه؟!.

قال: أنا لو مكانك أروح أتعالج!.

قالها ثم اختفى.

☆ ☆ ☆

من أقوال برما

- سنموت قبل أن نعرف كيف استطاع أهالينا أن يربونا.

- الطيور في تحليقها تنظر إلى الأمام بحثًا عن الطريق، لكنها عندما تسير على أقدامها تنكس رأسها بحثًا عن الرزق.

- الحب من طرف واحد يشبه الشخص اللي بيغمس عيش بعيش.

- هل كان الفراعنة يقرأون المستقبل عندما نحتوا وجه أبو الهول بحيث ينظر ناحيتنا ممتعضًا طول الوقت؟

- فلتحسد من تزوَّج عن حب مرَّة، واحسد من أحب عن زواج ألف مرَّة، واحسد من لم يتزوج أصلًا حتى تموت أو يتزوج.

- لا يوجد داعٍ للقلق أو للتشاؤم، فالكوارث الحقيقية تأتي عادة بلا مقدمات.

- أول متحرش في العالم هو الشخص الذي اكتشف أن البقرة يمكن حلبها.

- هل الحكومة هي التي فرضت حالة الطوارئ، أم أن حالة الطوارئ هي التي فرضت الحكومة؟

- كمواطن مصري أصيل أمارس الرياضة طول الوقت، لعبت قفز الحواجز عند التزويغ من المدرسة، وأمارس الجري خلف المواصلات العامة، وأشارك طول الوقت في ماراثون أكل العيش، وأمارس تمارين التنفس التي توسع الصدر في أي مصلحة حكومية، وأمارس رياضة المصارعة طول الوقت من أجل الحصول على أبسط حقوقي كمواطن، وألعب الباليه المائي عندما تطفح المجاري في شارعنا، وأمارس الرياضة اليومية التي يمارسها كل رجل

مصري مع زوجته.. الملاكمة.

- أكبر دليل على أن ربنا ما يرضاش بالظلم، هو أن الجودزيلات انقرضت بينما بقيت الفراشات!

- هل تعلم أن مصل عضة الكلب مصنوع من أنسجة القرود، وأن الصندوق الأسود لونه برتقالي أصلًا، وأن الأوراق النقدية مصنوعة من القطن وليس من الورق، وأن الإنسان على الرغم من أنه من الثدييات فإنه أحيانًا يبيض؟

- احذر اللحظة التي ستندم فيها على التخلص من الكراكيب.

- لو وضعت كل عيوب الزواج في كفة، فإنها لن تصمد كثيرًا أمام كفة تحمل ميزة أن تقول لزوجتك: اهرشيلي في ضهري.

- يكفي ابتسامة المهزوم سخافة أنها تُنسي من يستحق النصر فرحته.. أذى نفسي مجاني يعني.

- نحن في وطن يصل فيه ساندويتش الماكدونالدز أسرع من النجدة.

- للنجاح حسبة أخرى لا يُشترط فيها الموهبة دائمًا، فهناك من يرى أن مصطفى نجح لأنه قمر، وهي وجهة نظر تحتمل الخطأ أو الصواب، لكنني متأكد جدًّا أن إيهاب نجح لأنه توفيق.

- السعادة لا تجلب المال.

- أكبر إثبات للنظرية المصرية التي تقول إن الشتيمة ما بتلزقش، نظرية أخرى تقول إن الشتيمة بتلف تلف وترجع لصاحبها.

- كانت لعبة الطفولة المفضَّلة عند كثيرين هي أن يفرد يديه كأنه ممسك بـدريكسيون ويجري في دوائر ومنحنيات وهو يصرخ: بيب.. بيبب.. بيبيب، ومعظمنا قادته اللعبة لأن يلبس في رجل مُسن فيأخذه ويسقط أسفله، أو لأن تضربه سيارة تمتلك بيب حقيقي. فشل معظمنا وتحول الناجحون لسائقي توك توك.

- كل بنت باباها أنجشها من دراعها لحد ما سلمها لعريسها، بتحتاج فترة عشان تفهم إن ده هو تسليم الأهالي بعينه.

- في الكوكب كله ليس هناك عمل أنبل من مساعدة شخص في عبور الطريق.

- النفاق أكثر تعقيدًا مما يبدو.

- أكثر شخص قادر على تشتيت أفكارك هو الشخص الفتَّاي: لا تعرف ما هي أمثل طريقة للتعامل معه، هل تصوب له طريقة تفكيره، أم تنهال عليه صفعًا، أم تتجاهله تمامًا وتتصرف بعد أن تودعه بـمعلش؟

- أجمل ما في الزواج أنه يصنع لك جذورًا في الحياة، وتقريبًا هذا هو أسوأ ما فيه أيضًا.

- المستحيلات الثلاثة: الغول، والعنقاء، وامرأة تدخل في الموضوع مباشرة.

- لا توجد غربة على كوكب الأرض، هناك مسافات.. مجرد مسافات.

- الواحد لازم يموِّت نفسه علشان يعرف يعيش.

- خلف كل راجل عظيم امرأة خلته يطلَّع همه في الشغل!

- الحياة طريق والناس حوادث.

- اسعى يا عبد، وأنا أسعى معاك، الصحبة التي لا يمكن أن يشعر الواحد معها بالحيرة.

- جلد الذات له صوت يشبه صوت البحر وهو يحطم نفسه فوق صخور الشاطئ.

- أعتقد أنه أمر مخيف جدًّا موضوع إن الدنيا ريشة ف هوا طايرة بغير جناحين ده.

- يتعلم الأطفال العوم أسرع من الكبار، لأنهم لا يتوقفون عند الخوف من الغرق.

- المحظوظ في الحب هو الذي يعثر على الشخص الذي لم يكن يبحث عنه قَطُّ.

- أول ما يجب على الواحد دراسته قبل اتخاذ أي قرار هو دراسة إمكانية الخلعان مستقبلًا.

- زمان واحد غلط، فانطرد من الجنة. دلوقتِ، كل ما واحد يغلط فيك، بتطرده من اللي إنت فاكرها جنتك.

- يرتبك الكاتب من مسألة توارد الخواطر، يفرحه أنه يفكر مثل الناس، وهذا تحديدًا هو ما يخيفه أيضًا.

- وضعت كل ما لديَّ من البيض في سلة واحدة، الأمر الذي نتج عنه عدد هائل من البيض. آن باتشيت.

- أحسن مكان الواحد يحوش فيه ويعمل رصيد هو الأب والأم. الرصيد اللي أولادك هيصرفوا منه عليك بعد كده.

- كان المتحدث اللبق بضاعة نادرة ومميزة يحتفي بها الجميع لأنهم يريدون أن يسمعوا، الآن يريد الجميع أن يتكلموا لذلك صارت العملة النادرة هي المستمع اللبق.

- في هذا البلد، وفي كل مجال، لا أحد يقطع الطريق على أهل السعي للنجاح سوى أهل السعي للشهرة.

- العيب فيكو يا ف حبايبكو لأن الحب أعمى أصلًا.

- ماما زمانها جاية، بدأت كجملة تبعث على الطمأنينة، ولسبب ما أصبحت الآن جملة تحذير.

- يمكن العيش بسهولة مع عدم وجود إجابات نموذجية، لكن ما يجعل الأمر صعبًا هو وجود أشخاص يعتقدون أنهم يمتلكونها.

- الحكومة الأسوأ على الإطلاق هي الحكومة التي من أجل أن تُوسِّع على نفسها بتضيِّق على الناس.

- هوَّ الأب إيه غير راجل عمَّال يلف في الشقة يطفِّي في الأنوار الزيادة!

- هناك كلب خارب الدنيا هوهوة تحت البيت، ومش عارفين ننام، باقول لأبويا أعمل له إيه عشان يروح يهوهو بعيد عني؟ قال لي اعمل له أكاونت.

- تقول القاعدة الشعبية الشهيرة إن الغايب حجته معاه، وهي قاعدة تشرح من أين تأتي كل هذه الجاذبية التي تحيط بـالغايب، فهو الشخص الوحيد الذي يمتلك تفسيرًا ما.

- عندي ابن جيران شاطر جدًّا، اتعلم الأذان في المدرسة وحفظه صم، طول اليوم كل نص ساعة يطلع يقف على كرسي في البلكونة ويأذن بحماس وبأعلى صوت، وده بيلخص مشكلة التعليم في مصر، علموه الأذان ونسيوا

يعلموه يأذن إمتى.

- من ستر ربنا على الواحد إنه يعيش وسط الناس بس يتحاسب لوحده.

- اللي بيمسك روحه علشان ما يقولش إفيه سخيف، دمه أخف بكتير من اللي بيقول إفيهات حلوة.

- أول ما تقدر تعود نفسك ما تعوزش حاجة، هتلاقي كل حاجة بين إيديك، وهتكتشف ساعتها إن مفيش حاجة تستاهل.

- أكبر تطبيق لمقولة الحي أبقى من الميت، أن أسماء الأحياء أضعاف أضعاف أسماء الأموات في صفحة وفيات الأهرام.

- معجزة أن أول ما تعلمه سيدنا آدم هو الأسماء، هذه النعمة الضخمة التي لولاها لظل العالم حتى يومنا هذا يقول على كل شيء في الوجود البتاع.

- أصبح العالم قرية صغيرة لا ينقصها شيء سوى أخلاق القرية.

- احترس، فكثرة التحذلق والفذلكة تؤدي إلى حدوث تسلخات في المخ.

- عندما لا يجد الواحد في جيبه فكة تصلح كبقشيش، يتحول إلى شخص عدواني.

- فتاة الأحلام في الأحلام، وسر السعادة سر.

- الوقت المناسب لا يأتي أبدًا في الوقت المناسب.

- بفضل شخص مختل نفسيًّا يملك الجرأة على تذوق ما يخرج من مؤخرات الدجاج، عرفنا جميعًا البيض.

- أوحش حاجة في فيس بوك وتويتر إنهم خلقوا ندِّية زائفة. إنت عندك أكاونت، وأنا عندي أكاونت. خلفية كل واحد مش موضوعنا، إحنا الاتنين عندنا نت.

- الغرور أشيك مقبرة.

- الواحد من عمر سنة تقريبًا، إلى ما شاء الله من السنين، كل ما يقع يقوم يجري على أمه ويعيط.

- القصايد الحلوة اللي عايشين بيها، الفضل فيها مش للشاعر بس، لكن للشخص اللي داس على قلب الشاعر.

- ليست صدفة - في مصر - أن بعض المرضى بعد تسريحهم من مستشفى الأمراض العقلية يُفضلون التواجد في الشارع لتنظيم المرور، هم لا ينظمون المرور هم يبحثون عن عقولهم في المكان الذي فقدوها فيه.

- ستعرف الكثير عن كل شيء إذا أجبت عن سؤال واحد: أين الآن أوائل الثانوية العامة في مصر على مدى الخمسة والعشرين عامًا السابقة؟ كم واحدًا منهم تضعه الدولة فوق رأسها؟ وكم واحدًا منهم ماشيين جنب

الحيطة؟

- الحب خطأ تقني قديم، يعتقد الواحد أنه يحب إنسانًا ما، والحقيقة أنه يحب نفسه من خلال هذا الإنسان. كلنا نعشق المرايا الصافية لأنها تُقدِّمنا لأنفسنا في الصورة التي ترضينا. المرآة لا تلمس قلوبنا، لكن صورتنا هي التي تمنحنا فرحًا ما. تدعي أنك تحب شخصًا وتتوهم أنك أسير عينيه، والحقيقة أنك أسير صورة نفسك في هاتين العينين. يخترع الواحد منا شخصًا يحبه بالروح نفسها التي اختُرعت بها الكهرباء، لا أحد يعشق الكهرباء، لكننا لا نستطيع أن نستغني عن كل ما يترتب عليها.

- فتش عن الحكمة لأنها ستقيك شر الحوار مع أحمق يسحبك إلى ملعبه، وتجعلك متيقظًا في مجتمع يُفضِّل النوم عملًا بقاعدة يؤمن بها تقول النايم في ذمة الصاحي، وتجعلك رحيمًا لكن قويًّا في الوقت نفسه بمنطق الخشب اللين ما بينكسرش، وتحميك من أن تكون شخصًا معقدًا ومنبوذًا، فهي تجعلك في أعين الجميع شخصًا بسيطًا بساطة واحد بيسأل الساعة كام. التعقيد شيء مقيت، ويخبئ خلفه فراغًا

هائلًا، ويجعلك تفهم ما قاله أحد الشيوخ الأكابر زمان عن كونك في احتياج للبهائم أكثر من احتياج البهائم لك.

- لا يوجد ما هو أرق من الاعتراف بالحب إلا الاعتراف بالأخطاء.

- صار العمق أمرًا مبتذلًا من فرط ادعائه طول الوقت. الشخص الذي يصطنع العمق هو أكثر كائن يخشى أن يظهر للجميع سطحيته، أما من يبحث عن البساطة فهو شخص يكافح للهروب من ظلمات عميقة في روحه يخشى أن يورط فيها أحدًا، البساطة هي أكثر الأشياء عمقًا في العالم، البساطة مجرد شبرين ميه، لكن تتعب فيهم سفاين وتتوه الطيارات على رأي أغنية الثمانينيات الحزينة.

- هناك نماذج في مهنة الفن عقابها الوحيد أن تحصل على الفرصة كاملة.

- الكُحل عزاء الروح.

- قل لي ساهمت في نجاح من، أقل لك من أنت.

- اللي بيتعلم منك بيلزق فيك، لكن اللي بتعلم في روحه بينكرك.

- أهم ما في اختراع الموبايل ليس أن تتكلم فيه، بل اللحظات التي يساعدك فيها على أن تعمل نفسك بتتكلم فيه، وهي خدمة لم تكن لتنقذك من سواق تاكسي رغاي من خمسة عشر عامًا إلا لو كنت بتنزل بتلفون البيت.

- أتمنى أن نعود جميعًا إلى نظام المقايضة علشان ما يبقاش كل اللي ما بينا فلوس وبس.

- اللايك على فيس بوك يشبه تصفيق الجمهور في قاعة المسرح، لذلك يوجد ناس على فيس بوك بتستموت في التمثيل.

- يوضع سره في أضعف خلقه. الضعيف مؤتمن على السر لأنه مستتر. ضعفه يحجبه عن عيون الناس. القوي مفضوح، ولا مفاجأة في حصوله على امتياز السر. نعرف قيمة السر عندما يبرز من أرض غير متوقعة كأرض الضعيف، فهو هنا سر ومعجزة في آنٍ واحد.

- أسرع أنواع الكانسر انتشارًا في جسم الإنسان كله هو كانسر سوء الظن.

(تم الكتاب بحمد الله)

برما شخصية لا أحد يعرف طريقها سوى عمر طاهر، الذي أجرى معه حوارات تمتلئ بالفلسفة الشعبية الساخرة التي جعلت هذه الشخصية أكثر شهرة وجماهيرية من مؤلفها.

يضم هذا الكتاب عملين بطولة برما هما: برما يقابل ريا وسكينة، والكلاب لا تأكل الشيكولاتة.


متميزون
للكتب النصية
E-Book

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات:

برما وشهوة البرنس

بالإذن

فهرس المحتويات: